الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة

معهد أصول الدين

عقيدة الخلاص والمسيح المخلص في اليهودية والنصرانية وصلتها بالإسلام

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في مقارنة الأديان

مقدمة من الطالب :
مسعود حايفي

تحت إشراف:
الدكتور : مولود سعادة

السنة الجامعية : 1998/1997م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

إلى نبع العطاء الذي لا ينضب ... إلى أمي.

إلى قرة عيني : زوجتي وولدي أكرم وأشرف.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

لا أظن نفسي أستطيع شكر أستاذي الدكتور مولود سعادة على كل ما قدمه لي من مساعدة في تتبع الرسالة من بدايتها إلى نهايتها، وعلى توجيهاته وملاحظاته التي استفدت منها كثيرا.

كما لا يفوتني أن أشكر صديقي السيد برنارد ماليه (BERNARD-MALLET) الذي مكنني من الحصول على ما أحتاجه من المراجع في الموضوع، وعلى التسهيلات التي خصني بها، عندما كنت أتردد على مكتبة ديلو (DILOU)

كما لا أنسى أن أتوجه بشكري إلى كل الذين ساعدوني وشجعوني على إنجاز البحث وإتمامه، أفرادا كانوا أم هيئات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن هذه الدراسة: عقيدة الخلاص والمسيح المخلص في اليهودية والمسيحية وعلاقتها بالإسلام، إسهام علمي متواضع، يهدف إلى إثراء المكتبة العربية في تخصص هو من أخصب مجالات البحث الديني في العصر الحديث، ألا وهو مقارنة الأديان.

وفي هذا البحث نود دراسة موضوع يمثل نقطة اشتراك بين كل الأديان التي عرفها الإنسان قديما وحديثا، سواء أكانت سماوية أم وضعية، ذلك أن جميع الأديان تجمع على أن هناك كائنا يحتاج إلى الخلاص، وأن هناك أمورا يبحث الإنسان عن الخلاص منها، الشيء الذي دفعنا إلى القيام بالبحث قصد التعرف على الأشكال التي عبرت بها الأديان عن الخلاص.

وإذا كان الإنسان القديم، وتحت ضربات قوى الطبيعة التي هددت وجوده، قد لجأ إلى البحث عن الخلاص، فإن الإنسان في هذا العصر، يبحث عن الخلاص بشكل أكثر إثارة، مدفوعا إلى ذلك بما خلفه التقدم التكنولوجي والصناعي من إفرازات كان لها الأثر الكبير على تركيبته النفسية.

الشيء الذي جعل موضوع الخلاص مجال بحث واسع، ومدارا لدراسات عديدة معظمها غريبة، إتسمت بما يلي:

1 ـ الإقتصار على إظهار الأبعاد الخلاصية للديانة المسيحية الحالية مما جعل نظرتها أحادية بعيدة عن المقارنة والموضوعية.

2 ـ إستبعاد كل اشكال التعبير والبحث عن الخلاص التي اعتقد فيها الإنسان على مر التاريخ، وخاصة الإسلام.

الشيء الذي يبرر قيامنا بهذه الدراسة، ذلك أن الإسلام قدم نفسه للعالم كسبيل للنجاة، وقد نجح حيث فشلت الأديان والفلسفات السابقة له وذلك في استقطاب أعداد كبيرة من مختلف الأجناس والأديان، وإنه يطرح نفسه اليوم بقوة كبديل عن الديانات والفلسفات الموجودة اليوم، في رسم طريق الخلاص للمجتمع البشري التائه عن حقيقة وجوده ومصيره.

إن فلسفات كثيرة تطرح نفسها كسبيل للخلاص في ظل التعتيم الفكري والسياسي على الصورة الحقيقية للإسلام، فإذا كانت الهندوسية واليهودية قد ظهرت عنصرية كل منهما،

وانحصارهما في الهنود واليهود، فإن البوذية والمسيحية مثلا تراهنان على كسب مودة إنسان العصر وتقدم كا منهما نفسها على أنها الأمل والطريق الوحيد إلى الخلاص.

وكنت في بداية الأمر أريد دراسة عقيدة الخلاص في الديانتين اليهودية والمسيحية، ثم تبين لي أثناء مراحل البحث أن قضية الخلاص كانت قضية الإنسان في كل زمان ومكان، وأن هناك أشكالا سابقة عن هاتين الديانتين، عبر من خلالها الإنسان القديم عن تصوره للخلاص والسبيل إليه. ولذلك بدا لي أنه من المنهجية والموضوعية التعريف بتلك الأشكال التي سبقت اليهودية والمسيحية أو تزامنت معهما في بعض الأحيان. وعندما فرغت من البحث ظهر لي أن هناك نقصا، وأن تصور الموضوع، لم يكتمل، لا من الناحية التاريخية، ولا من الناحية الواقعية، وإنني أمام حاجة ملحة إلى دراسة موضوع الخلاص في ديانة لها من التأثير الكبير ما يجعلها جديرة بالدراسة والبحث. تلك هي الديانة الإسلامية التي تطرح تصورا متميزا عن الخلاص والسبيل إليه.

وقد تعرضت خلال البحث إلى طرح السؤال النظري، للإشكالية التي أريد دراستها وهو: ماهي التصورات التي اعتقد فيها الإنسان ليعبر بها عن فهمه لموضوع الخلاص والسبيل إليه؟ وماذا ينسجم من تلك التصورات مع أبعاد الوجود الإنساني؟

ونظرا لتشعب مجال البحث، فقد اقتصرت على أهم تلك التصورات وأكثرها تأثيرا في مسار التفكير الديني عند الإنسان.

ولقد جعلت لبحثي هذا مدخلا تحدثت فيه عن الخلاص في التفكير الديني عند الإنسان القديم. فعرضت للموضوع في تفكير الإنسان المصري القديم، وفي تفكير إنسان ما بين النهرين، ثم في تفكير الإنسان الهندوسي، والجيني، والبوذي، وفي الأخير في تفكير الإنسان اليوناني القديم.

ثم خمسة فصول، جعلت الحديث فيها عن عقيدة الخلاص في الديانات السماوية الثلاث:

وجعلت الفصل الأول للحديث عن تاريخ الخلاص في اليهودية من عهد الآباء إلى عهد القضاة، وقسمت الفصل إلى ثلاثة مباحث: فكان المبحث الأول في الخلاص في مرحلة الآباء وحتى الخروج من مصر، وبينت من خلاله ما ميز العقلية اليهودية في تصورها للإنتخاب والوعد بالخلاص والأرض.

والمبحث الثاني كان لبحث التطور الذي طرأ على فكرة الخلاص بظهور فكرة الوسيط بين الرب وشعبه، والذي تكون مهمته خلاص شعب إسرائيل.

أما المبحث الثالث فكان لتتبع عقيدة الخلاص في مرحلة أخرى وهي الخروج من مصر وما حدث فيها من خلاص بني إسرائيل وهلاك للمصريين، وبينت من خلالها أن خلاص إسرائيل في هذه المرحلة ارتبط بهلاك الشعوب الأخرى، وحتى عهد القضاة.

وفي الفصل الثاني: الخلاص والمسيح المخلص في اليهودية من قيام المملكة إلى العصر الحديث، بحثت عقيدة الخلاص في مراحل من تطورها تميزت بتأصلها عند اليهود، ثم إبراز أهم التأثيرات التي خلفتها في العقلية اليهودية، وقد قسمت الفصل إلى ثلاثة مباحث:

كان المبحث الأول منه بحثا لعقيدة الخلاص في مرحلة من تاريخ اليهودية، وهي مرحلة قيام المملكة، وبينت من خلال ظهور فكرة المسيحانية لأو المسيح المخلص، ومدى ارتباطها بشخصية داود عليه السلام الملك النبي واهم الصفات التي ارتبطت بشخصية المسيح المنقذ ...

وفي المبحث الثاني عرضت إلى ما اصاب اليهود بعد انقسام المملكة، من ضربات كانت آخرها السبي البابلي، وكيف ترسخت عقيدة الخلاص وانتظار المسيح المخلص ودور أنبياء تلك الفترة في شحن اليهود، وتجديد الأمل لديهم في الخلاص. وبينت تطور مفهوم المسيحانية حيث أصبح لقب المسيح المنقذ يطلق على غير اليهود.

أما المبحث الثالث فبحثت فيه عقيدة الخلاص بعد العودة من السبي وحتى العصر الحديث، فبينت فهم اليهود للخلاص بعد السبي، كما بينت من خلال استقراء تاريخي لعدد من الشخصيات التاريخية، التي ادعت صفة المسيح المخلص، مدى تمسك اليهود بعقيدة الخلاص والمسيح المخلص، وكيف لم يكف الحلم في الخلاص وإقامة دولة اليهود على أرض فلسطين عن مداعبة الخيال اليهودي منذ القديم وحتى اليوم، كما بينت الدور الذي لعبته هذه العقيدة في جمع اليهود في إطار واحد رغم تباعد أماكن تواجدهم حتى أقاموا دولتهم في فلسطين.

وفي الفصل الثالث: وهو الخلاص في دعوة المسيح عيسى عليه السلام، بحثت عقيدة الخلاص من خلال ما جاء عن عيسى عليه السلام، وقد قسمت الفصل إلى ثلاثة مباحث:

ففي المبحث الأول درست البيئة التي جاء منها المسيح من جانبيها السياسي والثقافي، وبينت من خلال ذلك مدى تطلع اليهود إلى الأصل المسيحاني في عصر المسيح عليه السلام ودعوة يوحنا المعمدان التي مهدت لدعوة عيسى، ولقد قصرت بحثي لتلك البيئة على ما يتصل منها بموضوعي.

وفي المبحث الثاني ذكرت حياة المسيح، فتعرضت للمصادر النصرانية في معرفة حياته، وهي العهد الجديد بكل أسفاره، ثم بينت بعض جوانب حياة المسيح عيسى عليه السلام، والتي تتصل

بموضوع الخلاص، خاصة الإرهاصات التي تزامنت مع مولده، وما لوحظ عليه من تميز منذ حداثة سنه، وكيف ربط كتاب الأناجيل من خلال ذلك، بين عيسى وشخصية المسيح المنتظر.

وفي المبحث الثالث بحثت رسالة يسوع ودعوته وبينت مفهوم الخلاص في دعوته والسبيل إليه، وكيف يلتقي مع مفهوم الإسلام لأنهما صدرا من مشكاة واحدة، ثم بينت الإرتباط الموجود بين شخص يسوع ومسيح اليهود المنتظر وموقف يسوع من ذلك، وعرضت لنهاية المسيح حسب تصور النصارى له، لأنه مرتبط بموضوع الفصل الرابع.

وفي الفصل الرابع عرضت لعقيدة الخلاص في الديانة المسيحية بعد عيسى عليه السلام، حاولت من خلال ذلك أن أبين مدى الإختلاف الموجود بين عقيدة الخلاص في دعوة عيسى، وعقيدة الخلاص في المسيحية بعده، وما أصابها من تطور وتحريف.

ففي المبحث الأول تعرضت إلى الحديث عن أتباع يسوع ومدى الإنحراف الذي وقعوا فيه، عندما اعتقدوا في صلب المسيح وقيامته، وكيف تعارضت تلك النهاية المأسوية ليسوع مع رسالته المسيحانية الخلاصية، ومن ثم حاولوا أن يجدوا تفسيرا لتلك النهاية وقيامته بعد ثلاثة أيام.

وفي المبحث الثاني عرضت للحديث عن شخصية على جانب كبير من الأهمية في تاريخ الديانة المسيحية وتأثيرها عليها، بل وفي تحريفها وتشويه وجهها الحقيقي الذي أعلنه صاحب الرسالة. تلك هي شخصية بولس، شاؤول، التي درستها من جوانب تتصل بموضوعنا وخاصة مميزات شخصيته وتكوينه وتحوله من اليهودية إلى المسيحية، وإمساكه بزمام التبشير بها في العالم.

وفي المبحث الثالث عرضت عقيدة الخلاص كما فهمها بولس، وكما تأخذ بها الكنيسة اليوم. حيث تحول يسوع إلىوسيط للخلاص بين الله والناس وكيف فدى البشرية بموته، وتحمل أخطاءها وخلصها من خطيئتها الأولى التي ورثتها عن أبيها آدم.

وفي الفصل الخامس طرقت موضوع الخلاص في الإسلام، وبعد أن بينت اختلاف التسمية بين الإسلام واليهودية والمسيحية، قسمت الفصل إلى ثلاثة مباحث.

ففي المبحث الأول بحثت بعض العقائد والتي هي على جانب كبيرفي فهم عقيدة الخلاص، كعقيدة البعث، الحساب، ووزن الأعمال.

وفي المبحث الثاني عرضت لبيان مفهوم الخلاص في الإسلام والمتمثل في أمرين:

1 ـ النجاة من عذاب النار والشقاء الأبدي

2 ـ الفوز بنعيم الجنة والسعادة الأبدية

وبينت في هذاالمبحث الصفات التي تؤدي بالإنسان إلى الهلاك والخلود في عذاب النار، والسبيل إلى الفوز بالجنة والخلود في النعيم، وكيف يربط الإسلام بين السعادة في الدنيا والسعادة في الآخرة، من خلال التأكيد على العمل الصالح كشرط للفوز بالنجاة.

وفي المبحث الثالث بينت أهم ما يميز الخلاص في الإسلام من الخصائص فذكرت أن الخلاص من كسب الإنسان ولا يعطى مجانا، وأن المسؤولية فردية وأن كل إنسان مسؤول عن خلاصه، وأن الخلاص لكل الناس فهو عالمي ولا يعترف بالحدود المادية والمعنوية، وأن الإسلام يبقي على الأمل في الخلاص قائما مادامت هناك حياة.

ولا تخفى أهمية البحث في موضوع كالخلاص، ذلك أن استعراض مفهوم الخلاص في أي دين يكشف عن طبيعة ذلك الدين، وعلى مدى إستجابته وتلبيته للحاجة الإنسانية إلى الخلاص في مختلف الأوقات والبيئات.

وقد استعملت مصادر ومراجع متنوعة يمكن تصنيفها إلى ما يلي:

1 ـ المصادر الأصلية للبحث

2 ـ المصادر الثانوية

فبالنسبة للمصادر الأصلية لم نحصل على كل ما كان في حسابنا من قبل، وما حصلنا عليه كان بشق الأنفس، وخاصة كتاب قوانين مانو، وكتاب إنجيل برنابا الذي سمح لنا بالوقوف على مفهوم الخلاص في دعوة المسيح عيسى عليه السلام.

وبالنسبة للمصادر الثانوية فهي متنوعة، وكان بعضها باللغة العربية وبعضها الآخر باللغات الأجنبية، وقد عانيت الكثير كي أحصل عليها خاصة والمكتبات الجزائرية تفتقر إلى مصادر ومراجع في تاريخ ومقارنة الأديان. وكان لزاما علي أن أسافر أحيانا، وأن أستنجد بأصدقائي وبعض معارفي للحصول عليها شراء أو تصويرا، كي أقف على ما فيها حول الموضوع، كما كان لزاما علي أن أقوم بعمل مزدوج، وخاصة في الفصول الأربعة الأولى، والمدخل، فأقوم بالترجمة أولا ثم باستعمال ما أحتاجه من تلك الترجمات وهي كثيرة فاق حجمها حجم الرسالة نفسها.

أما بالنسبة للفصل الخامس فالمراجع الثانوية موجودة، كثيرة ومتنوعة كالتفاسير والكتب الفكرية والتي ساعدتنا على الإقتراب من تحديد مفهوم الخلاص في الإسلام.

وقد فرض علي البحث منهجا تاريخيا وصفيا، حيث كنت أتتبع الفكرة وتطورها في السياق التاريخي، كما فعلت بالنسبة لليهودية والمسيحية، مع اللجوء إلى التحليل والإستنتاج أحيانا، لإبراز ما طرأ على الفكرة من تطور، وأبعادها الإجتماعية والفكرية، والمقارنة أحيانا أخرى بين مفاهيم الخلاص المختلفة في الديانات التي سبق علاج الموضوع فيها، كما حدث في نتائج البحث وقد ابتعدت قدر المستطاع في الدراسة وخاصة في الديانات الأخرى غير الإسلام، عن النقد، وقصرت جهدي على محاولة إبراز مفهوم الخلاص كما هو في الديانة ذاتها، وكما يفهمه أهلها، وأرجأت الأحكام والمقارنات لأبرزها في نتائج الدراسة.

والله ولي التوفيق، وهو نعم المولى ونعم النصير.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مدخل إلى دراسة الخلاص

في ..

الفكر الديني القديم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يتفق الباحثون في تاريخ العقائد والأديان على أن فكرة الخلاص إعتقاد قديم شائع في العقائد والملل التي عرفتها البشرية عبر مراحل وجودها، ويرجع الباحثون أصل الإعتقاد في فكرة الخلاص إلى محاولة الإنسان إيجاد نوع من التوازن بين العقائد الغيبية ونظام الكون من جهة، وبينهما وبين ما يحدث في مجتمع بني البشر من جهة ثانية.

وقد اختلفت أشكال تعبير الإنسان عن فكرة الخلاص عبر تاريخ تفكيره الديني وتعددت وتنوعت الشيء الذي يبرر قيامنا بدراستها في محاولة منا لتتبع تلك الأشكال على إختلافها وتنوعها في ترتيب زمني يكاد يكون محل اتفاق بين الباحثين مع اللجوء إلى المقارنة أحيانا، قصد بيان تشابه تلك الأشكال أو اختلافها؛ ذلك أن دراستنا لهذه الفكرة وتطورها هي كشف عن مدى فهم الإنسان لمعنى الحياة البشرية والقدر.

فكرة الخلاص في تفكير الإنسان القديم:

1- مصر القديمة:

إن تتبع فكرة الخلاص في تسلسل زمني تاريخي سمح لنا بالوقوف على نتيجة وهي أن أقدم دليل مكتوب عبر من خلاله الإنسان القديم عن فكرة الخلاص وجد بمصر[1] وأن نصوص الأهرام والتي تعود إلى حوالي عام 2400 ق.م[2] تشهد بأن الإنسان المصري القديم اعتقد في الخلاص وفهمه على أنه رفاهية ينعم بها الإنسان بعد الموت، هذه الرفاهية تكون نتيجة لبراءة الشخص المتوفى من كل الاتهامات بما في ذلك تلك الموجهة من طرف الحيوانات.

وحتى ينجو الميت وينال الخلاص فإنه يحاكم بعد موته، ويجب أن يبرأ من كل التهم التي توجه إليه، وهذه المحاكمة لا يعفى منها أحد حتى الملك،"ليس هناك من متهم يمثل إوزة ضده وليس هناك من متهم يمثل ثورا ضده"[3].

إن هذه البراءة من الإتهامات لا تمثل السبيل الوحيد لنيل الخلاص في الفكر الديني المصري القديم بل أن القيام بكل عمل صالح والتحلي بكل خلق فاضل هي أيضا سبيل ينال به

P.P. WINNER. Dictionnory of the history of ideas
Article sin and salvation volume IV
page 224 بدون تاريخ

[2]- هي عبارة عن مجموعة غير مرتبة من صلوات، ابتهالات، أناشيد وخرافات من مصادر شتى وضعها كهنة هيليوبوليس اعتقادا منهم أنها ستضمن للفرعون المتوفى النعيم الدائم.

[3]- المرجع السابق ص224 .P. WINNER. Dictionnory of the history of ideas

الشخص المتوفي الخلاص لأن الرب مهتم بسلوك الناس ويرضى عن السلوك الحسن منهم، وهذا ما تكشف عنه بعض النصوص التي كتبت فوق بعض القبور ففي كتابة على قبر أحد النبلاء يسمى هرخوف (HERKHOF) يصرح:

"بأنه أعطى الخبز للجائعين وألبس العارين ونقل على الماء من لا سفن لهم، ويضيف بأنه لم يعمل شرا"[1].

ثم إن المصري القديم قاده تفكيره في الخلاص وكيفية الحصول عليه إلى التركيز على القلب وسلامته ففي كتابات أخرى حوالي سنة 2000 ق.م يظهر الشعور الأخلاقي عند المصري القديم أكثر إرهافا وتظهر أهمية السلوك الحسن وطهارة القلب في نيل الخلاص والرفاهية بعد الموت، ففي أمر الملك مريك رع (Merik RAA) يظهر أن سلوك ذي القلب السليم أكثر قبولا عند الرب من ثور فاعل الشر، وتحذر هذه الكتابات من أن المرء سيحاكم أمام الرب بعد الموت عن أفعاله خيرها وشرها والتي تكون يومها موضوعة أمامه أكواما أكواما[2].

وكتاب الموتى الذي ألف حوالي القرن السادس عشر ق.م لتمكين المتوفين الحصول على الخلاص والسعادة الأبدية يشهد على هذا التطور، فقد خصص فصلان من هذا الكتاب للمحاكمة التي ينبغي للميت أن يواجهها، كما يبرزان صورا لما تخيله المصريون القدامى بشأن هذا الامتحان العسير[3].

إن مشهد المحاكمة يظهر دوما كفتي ميزان ضخم وسط رواق الحقيقتين (MAATI). في إحدى كفتي الميزان ريشة رمز معت (MAAT) إلهة العدالة، وفي الكفة الأخرى الرمز الهيروغليفي لقلب المتوفي، ويشرف على عملية وزن القلب إله الموت أنوبيس (ANUBIS) ويتولى تسجيل نتيجة الوزن الإله توت (THOTH) والعملية هذه تحظى بحضور أوزيريس (OSIRIS) رب الأموات كما يشهدها بكل وجل وخوف الميت نفسه وعن مقربة من هناك وحش مخيف برأس تمساح هو الإله أم موت (AMMOT) آكل الموتى، كما ترافق مشهد المحاكمة قراءة نص من الفصل الثلاثين (30) من كتاب الموتى من طرف الميت، وهو صلاة يؤديها الميت لقلبه حتى لا يشهد ضده عند الحساب كي ينال الخلاص. وخلال المحاكمة على الميت أن

---

[1]- مرجع سابق ص 245 P.P.WIENER

[2]- Sous le direction D'HENRI-CHARLES-PUECH
- Histoire des religions
Tome I Paris 1970 page 84

[3]- المرجع السابق: ص85

يدلي بتصريحين أولهما يوجه إلى إله الموتى أوزيريس، والثاني موجه إلى إثنين وأربعين كائنا شريرا، وكل تصريح يحتوي على عدد من التوكيدات بالبراءة من جرائم معينة، وفيما يلي مثال عن هذه التصريحات:

"لم أقتل أبدا ... لم أسبب الألم لأحد ... لم أنقص الأطعمة المهداة داخل المعابد ... لم أمارس الجنس مع صبي ... لم أسرق خبز الموتى ... لم أطفف الكيل"[1]. ولكن تصريحات الميت هذه لا يمكن الأخذ بها حتى تثبت النزاهة الأخلاقية، وهذا ما تفصح عنه عملية وزن القلب، فإن كانت النتيجة إيجابية أعلن أنه ماخيرو (MEKHERO) أي صادق وبالتالي يكون بريئا من كل التهم وينال الخلاص ويسعد إلى الأبد. أما إذا كانت النتيجة سلبية فمصيره إلى الإله أم موت (AMMOT) آكل الموتى.

وإنه من الجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أن وثائق المصريين القدامى تظهر اهتمامهم بشكل آخر للخلاص كانوا يبحثون عنه بعيدا عن المسائل الأخلاقية، إنه خلاص من الموت ونتائجه، وإتخذوا إليه وسيلة هي مزيج من الطقوس السحرية والعمل الواقعي، ولذلك استعملت تقنية التحنيط التي اشتهر بها المصريون القدامى.

ورغم وجود هذا الشكل البارز يبقى ذلك المتمثل في السلامة من المصير المظلم الموحش الذي يلاقيه الميت بعد إجراءات المحاكمة التي سبق ورأيناها، وتبقى الوسيلة إلى نيل ذلك الخلاص السلوك الحسن والبراءة من كل الجرائم الأخلاقية وأيضا سلامة القلب، وإن هذا التفكير لدى الإنسان المصري القديم اعتبره أحد الباحثين فجر الضمير الإنساني.[2]

ولئن كان التفكير في الخلاص والسبيل إلى نيله قد أيقظ ضمير الإنسان المصري القديم وجعله يلتفت إلى الحياة التي يعيشها محاولا بذلك تحسين المستوى الأخلاقي، فإن إنسان بلاد ما بين النهرين كان له مفهوم آخر عن الخلاص وجد الباحثون تعبيرا عنه فيما تركه ذلك الإنسان من آثار.

---

[1]- سليمان مظهر: قصة الديانات - دار الوطن العربي، بدون تاريخ ص 19.

[2] - مرجع سابق ص P.P. WIENER 226

2 ـ الخلاص عند إنسان ما بين النهرين:

إن مفهوم الخلاص عند إنسان بلاد ما بين النهرين يختلف اختلافا كبيرا عن المفاهيم المصرية في هذا الشأن، ذلك أن شعوب تلك المنطقة كانت لا تؤمن بالسعادة بعد الموت، فالموت في تفكيرها يكسر الكائن النفساني الذي يكون الفرد وما بقي منه يتحول بصورة رهيبة ويهبط إلى كورنيجيا (CORNYGIA) أرض اللارجوع.والتي صورت كبئر ضخمة وعميقة تحت أركان العالم حيث يعيش الموتى في تعاسة تامة وسط الغبار، وكل الناس يذهبون إلى هناك عظيمهم وحقيرهم، خيّرهم وشريرهم لأن الآلهة في إعتقادهم نزعت هبة الخلود عن الإنسان.[1]

ونتيجة ذلك فإن البحث عن الخلاص من الموت وعواقبه لا أمل فيه كما أنه لا جدوى من التفكير في يوم الحساب لأنه قدر مشترك ينتظر الجميع.

إذا فمم الخلاص؟ وكيف السبيل إليه؟

إن الخلاص في تفكير إنسان ما بين النهرين هو الأمن مما قد يكون تهديدا مضرا ومدمرا للحياة الحالية، ولأجل الحصول على ذلك الأمن توجه الناس إلى الآلهة بالصلاة اعتقادا منهم أنّ لديها القوة لضمان الحياة المديدة والرفاهية؛ كان الاعتقاد سائدا أيضا، بأن الآلهة خلقت الناس لخدمتها ببناء المعابد وتقديم القرابين لها. وأن عدم القيام بهذه الخدمة يعتبر ذنبا تكون له عواقب وخيمة. ذلك أن الآلهة يمكن أن تنزع حمايتها عن أولئك الذين لا يقومون بهذه الخدمة تاركة إياهم تحت هجمات الشياطين التي تمثل كل الشرور.[2]

لقد عثر الباحثون على نصوص تسمى (تراتيل القدم) تبدو تعبيرا عن الإحساس بالندم نتيجة الذنب المرتكب في حق الآلهة بترك خدمتها ولا شك أنها كانت ترتل خلال طقوس معينة الغرض منها إبعاد المكاره ... ومن تلك النصوص نص يبين مدى الحيرة والريبة التي قد تصيب إمرأ أحاط به الشر وهو لا يدري أن السبب هو إهماله لواجباته الدينية: (نظرت إلى الوراء: مطاردة، شر ... كواحد لم يهد قربانا للرب ... لم يسجد له وجهه، ولم يعرف الركوع، توقف فمه عن الصلاة والتضرع بالدعاء)[3]

---

[1]ـ مرجع سابق P.P WIENER page 226 يراجع أيضا سليمان مظهر :قصة الديانات ص42

[2]ـ مرجع سابق P.P WIENER page 227

[3]ـ محمد جابر عبد العال الحسيني: في العقائد والأديان

طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ القاهرة سنة 1971 ص 72 ـ 73

إذن فليست النجاة عند الإنسان القديم لبلاد ما بين النهرين إلا حماية تضفيها الآلهة على من يخدمونها، حماية من المكاره الدنيوية والشرور التي تعكر صفو الحياة، أما الحديث عن النجاة من القدر المحتوم الذي يلقاه الناس بعد الموت فلا مجال له، ولا أحد يفكر فيه.

ولئن شغل الخلاص جزء من اهتمام وتفكير الإنسان المصري القديم أو إنسان بلاد ما بين النهرين، فإن إنسانا آخر شكل عنده الخلاص أو التحرر أو الإنطلاق كل الإهتمام، حيث أخذ بعقله وأصبح محور تفكير الإنسان الهندي وعقيدته.

الخلاص في المشرق الأقصى القديم:

شهد الشرق الأقصى القديم زخما من الأفكار والعقائد رأى فيها إنسان تلك المنطقة سبيلا نحو الخلاص. وإنّ تعدد وتنوع تلك العقائد والملل يحول دون الإلمام بها في مثل هذا المدخل، ولهذا نكتفي هنا بذكر أهمها، والتي رأيناها في عقائد وملل الإنسان الهندي عبر مراحل تفكيره الديني.

الخلاص في الديانة البرهمية:

إذا أردنا تلخيص مفهوم الخلاص في الفكر الديني الهندوسي نقول أنه خلاص مما يسمى "تكرار المولد" أو التناسخ، وتوضيح ذلك كما يلي:

إن الهندوس يعتقدون بأن في الكون قانونا للجزاء يسمى في اللغة السنسكرينية كارما (KARMA) وهذا القانون مسيطر على سائر حياة الكائنات في الكون، وليس لأحد أن يتملّص منه؛ فليس في الكون مكان، لا الجبال ولا السماوات ولا البحار ولا الجنات يفر المرء إليه من جزاء أعماله حسنة كانت أو سيئة[1].

وفي اعتقاد الهندوس أيضا أن جميع أعمال الإنسان الإختيارية والتي تؤثر في الآخرين خيرا كانت أم شرا لابد أن يجزى عليها بالثواب أو العقاب طبقا لناموس العدل الصارم، فنظام الكون إلهي قائم على العدل المحض، وإن العدل الكوني قضى بالجزاء لكل عمل وأن في الطبيعة نوعا من النظام لا يترك صغيرة ولا كبيرة من أعمال الناس دون إحصاء، وبعد إحصائها ينال كل شخص جزاءه على عمله، ويكون الجزاء في هذه الحياة[2].

---

[1]- د/ أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية - ط 8 ، 1986 ص65 - 66

[2]- المرجع السابق ص66.

ولكن نهاية الظالم دون القصاص منه، ونهاية المحسن دون أن يحسن إليه دفع الهندوس إلى القول بتناسخ الأرواح، ليقع الجزاء في النهاية في الحياة القادمة، إذا لم يتم في الحياة الحاضرة، ويطلق بعض الباحثين على هذه العقيدة الأخيرة تعبيرا إصطلاحيا آخر هو "تجوال الروح"، كما يطلق عليها البعض الآخر "تكرار المولد". ومضمونها واحد وهو رجوع الروح بعد خروجها من جسم العالم الأرضي في جسم آخر[1].

واعتقاد الهندوس في التناسخ، أو تكرار المولد، أو تجوال الروح، يرجعه الباحثون إلى عدة أسباب منها:

1 ـ أن الروح خرجت من الجسم ولا تزال لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادي لم تتحقق بعد.

2 ـ أنها خرجت من الجسم ولا تزال لها ديون كثيرة في علاقاتها بالآخرين لابد من أدائها، فلا مناص إذا من أن تستوفي شهواتها في حيوانات أخرى وأن تتذوق الروح ثمار أعمالها التي قامت بها في حياتها السابقة، فقد خلقت الميول لتستوفى، وإذا لم تستوف لم ينج الإنسان من تكرار المولد، وإذا إكتملت الميول ولم يبق للإنسان شهوة ما، وأزيلت الديون فلم يرتكب الإنسان إثما ولم يقم بحسنة تستوجب الثواب، نجت روحه وتخلصت من تكرار المولد وامتزجت ببراهما، سواء أكان الإكتمال في جسد واحد، أو في أجساد متعددة.[2]

فإذا حدث ما يسمى بالموت، مات الجسد المادي، أما الجسد اللطيف فلا يموت، بل يخرج ويعمل مدة من الزمن في آفاق الكون اللطيفة التي تشبه حالة أحلامنا، فيجرب هناك الجنة والنار ثم يعود مسوقا بالميول والأعمال الماضية كرة أخرة إلى هذه الحياة متقمصا جسدا جديدا، وتبدأ بذلك دورة جديدة لهذه الروح، وتكون هذه الدورة نتيجة الدورة الماضية، فتوجد الروح في جسد إنسان أو حيوان أو ثعبان، ويسعد الإنسان أو يشقى نتيجة لما قدم من عمل في حياته السابقة.[3]

ولكن ألا توجد سبيل إلى الخلاص من تكرار المولد ودورات تناسخ الأرواح؟

---

[1] ـ أحمد شلبي: مرجع سابق ص67.

[2] ـ المرجع السابق ص 67.

[3] ـ المرجع السابق ص 68.

إن دورات التناسخ تظل قائمة ومستمرة حتى تكتمل الميول والشهوات وتتوقف، وذلك إذا تغلب الإنسان على نفسه بحيث لا يبقي له شهوة ولا ميلا[1]، فإذا تم ذلك الإنقطاع عن الأعمال وعلائق الدنيا التي تستلزم تكرار المولد، إن تم له ذلك نجا من تكرار المولد وامتزج ببراهما، وهذه الحالة هي التي يعبرون عنها بالإنطلاق، فالإنطلاق هو الإمتزاج ببراهما، كما تندمج قطرة من ماء بالمحيط العظيم.

وهدف الحياة الأسمى عند الهندوس هو الإنطلاق من دورات الوجود المتوالية والإندماج في الكائن الأسمى.[2]

إن الحياة عند الهندوس عذاب، وعلى الإنسان أن يتحملها ليتخلص منها، ولا خلاص منها إلا باحتقارها والزهد فيها، وفي الزهد أكبر دليل على قدرة الإنسان، فالإنسان له قدرتان، القدرة على جسمه، والقدرة على نفسه عندما يجعلها تتحد بالروح وراء كل وراء أي بالروح المطلقة أي ببراهما.[3]

وقد ورد في كتب الهندوس "من لم يرغب في شيء ولن يرغب وتحرر من رق الأهواء واطمأنت نفسه، فإنه يعاد إلى الحياة ويتحد بالبراهما فيصير هو ويصبح الفاني باقيا.[4]إن معنى هذا بالنسبة لنا هو تخل عن الحياة بكل أبعادها وهذا منتهى السلبية الفردية والجماعية. هذه السلبية في الوجود التي ظلت ترافق الإنسان الهندوسي أحقابا طويلة من الزمن، وهي التي ثار عليها في العصر الحديث المهاتما غاندي محاولا تحطيم قيودها التي شلت حركة الإنسان الهندوسي.

الخلاص في الديانة الجينية:

الجينية تعني الإنتصار، والجينا هو المنتصر، هو الفاتح ... أما النصر فهو على رغبات الجسد، وعلى الخوف من الموت.[5]

---

[1]- العظمة الأخلاقية عند الهندوس هي جهاد الجسم في ميوله وشهواته أي (الإعتماد على الجسم في محاربة الجسم)

[2]- د/ محمد جابر عبد العال الحسيني/في العقائد والأديان ص 113.

[3]- أنيس منصور: ديانات أخرى - دار الشروق - الطبعة الأولى 1983 ص 21

[4]- إحسان حقي: منو سمرتي - دار النهضة العربية - الطبعة الأولى- ص 682 بدون تاريخ.

[5]- أنيس منصور: مرجع سابق ص 53.

ويعتقد الجينيون كما يعتقد الهندوس في قانون الكارما، ولكن مضمون الكارما عند الجينيين يختلف عما يعتقده الهندوس فيه. فالجينية تقول: إن الكارما كائن مادي يخالط الروح كأنه يمسك بتلابيبها ويحيط بها كما تحيط الشرنقة بالفراشة (كما تتحد الحرارة بالحديد، وكما يمتزج الماء باللبن كذلك يتحد الكارما بالروح، وبذلك تصير الروح في يد الكارما)[1]

ولا سبيل إلى تحرير الروح من رهنة هذا الكائن إلا شدة التقشف والحرمان من اللذات في كل مرحلة من مراحل الحياة، فهذه وحدها هي وسيلة تحرير الروح، وحياتها حياة أبدية حرة.

وقبل خلاص الروح من الكارما يظل الإنسان يولد ويموت حتى تطهر نفسه وتنتهي رغباته وإذ ذاك تقف دائرة عمله ومعها حياته المادية فيبقى روحا خالدا في نعيم خالد، وخلود الروح في النعيم بعد خلاصها من دورات الحياة المادية يسمى عند الجينيين "النجاة" وهو ما يعادل عند الهندوس الإنطلاق والنرفانا عند البوذيين.[2]

والنجاة هي غاية الوجود، وهي التطهر من أوساخ العواطف والشهوات الحيوانية، والتخلص من قيود الحياة ومن تكرار المولد والموت، وهي التمسك بالخير والتخلي عن إرتكاب الشر، والنجاة طور من الوجود يختلف عن أطوار الحياة الدنيا الفانية، وهي الفوز بالسرور الخالد الذي لا يشوبه ألم ولا حزن، ولا هم، ولا تكون للأرواح الناجية مطامع خاصة، ولا أهداف تستميلها، والشخص الناجي مطلق من جميع القيود، يكون دائما في سرور وطمأنينة واستقرار ونعيم مقيم وليس للنجاة نهاية فهي أبدية سرمدية.[3]

والسبيل إلى النجاة شاق وعسير ولا يطمع فيها إلا الخاصة من الرهبان، وللوصول إليها يتحتم على الناسك ألا يوقع أذى بإنسان أو حيوان وعليه أن يدرك أن إحترام الحياة أقدس ما عنى به (مها فيرا)[4] وعلى هذا يحرم عليه قتل الحيوان. وبالتالي أكل اللحوم ولابد للنجاة من قهر جميع المشاعر والعواطف والحاجات، ومؤدى هذا ألا يحس الراهب بحب أو كره أو سرور، ولا حزن، ولا بحر أو برد، ولا خوف أو حياء، ولا بجوع أو عطش، ولا بخير أو شر، وفي هذا يقول (مها فيرا):

---

[1]- د/أحمد شلبي مرجع سابق ص 100

[2]- سليمان مظهر مرجع سابق ص 140

[3]- د/أحمد شلبي: مرجع سابق ص 122.

[4]- مؤسس هذه الديانة وكان يدعى فاردهامانا، وكلمة مهافيرا تعني البطل العظيم.

- في داخل نفوسكم الخلاص
- فليس بالصلاة ولا بالقرابين
- ولا بعبادة الأصنام والأوثان

يمكن للمرء أن يجد الخلاص[1]

إن الخلاص يناله الشخص بمجهود ذاتي في محاولة للسيطرة على نفسه وشهواتها، حيث يصل الإنسان إلى حالة من الذهول والخمود حتى أنه لا يشعر بمن حوله وينعزل عن الحياة والأحياء وهي السلبية نفسها التي سبق الحديث عنها في الديانة البرهمية.

الخلاص في الديانة البوذية:

مهما كان تطور الفكر البوذي عبر مراحل تاريخه الطويل، فالديانة البوذية تبدو أساسا في جميع الحالات كطريق نحو التحرر، وفكرة الخلاص فيها تعتبر عنصرا أساسيا.

ولكن ماهو مفهوم الخلاص عند البوذيين؟ وقبل هذا مم يتحرر الإنسان؟

إن التحرر في البوذية يكون من ظرف يقود الإنسان إلى الألم، ليس فقط الألم في الوجود الآني في حياته الحاضرة، ولكن في الوجود الأبدي في الولادات التي يخضع لها الإنسان. فالموت ما هو إلا عبور نحو مرحلة جديدة من الوجود. فالمشكلة عند الإنسان البوذي هي التحرر من الدائرة في الخروج من عجلة الولادات المتكررة، التحرر من الوجود الذي يقيدنا، ومن ثم من الألم الذي ينتج عنه.[2]

ويعتقد البوذيون أن السبيل إلى الخلاص أو التحرر لا مجال للبحث عنه في الفلسفة ولا في الطقوس والعبادات ولا في الزهد فلا وسيط يمكننا من الخلاص. فبوذا[3] نفسه ليس إلا معلما، لقد لاحظ هذا المعلم تسلسل الأسباب التي تسير حياتنا نحو الألم وبحث في أعماق النفس الإنسانية، فاكتشف أن هناك خطوطا لكارما داخلي والذي أحدث فينا آثاره لأننا لم نعرف كيف نتحرر منه، وجهلا منا بقانون وجودنا، فقد تركنا ميولنا الداخلية تزدهر لتؤكد النزعة الفردية والرغبة في المظاهر الوهمية والتي تدخلنا في عجلة الوجود ثانية، ولكي نصل إلى الخلاص والتحرر يجب علينا أن نقتل في أنفسنا الرغبة، ليس فقط الرغبة المتمثلة في التعطش إلى

---

[1]- جوزيف كايد/ حكمة الأديان الحية، ترجمة حسين الكيلاني - دار مكتبة الحياة - بيروت بدون تاريخ نشر ص 142

[2]- Pierre GRELOT - sens crédien de l'ancien Testament DESCLEE PARIS 1962. Page 96

[3]- بوذا كلمة تعني المستنير، وتطلق على مؤسس الديانة البوذية (غوتاما) ولد حوالي سنة 560 ق.م

الأحياء ولكن إلى غاية قتل التعطش في الوجود وهذا لنستأصل جذور الألم في ذاتنا وبالتالي ندخل في النرفانا، هذا القطب السلبي العدمي للنشوة حيث الشيء الوحيد الذي يمكن إدراكه هو جلب نهاية لكل وجود.

وهكذا نرى أن الإنسان البوذي لا يتلقى الخلاص من الأعلى فكل فرد يتحرر بنفسه، والتحرر عنده هروب ليس فقط من العالم ولكن من كل وجود قابل للإدراك، الأمر الذي يجعل الإنسان البوذي سلبيا مثله مثل الهندوسي والجيني.[1]

وبعد هذا يمكننا القول بأن ما يميز فكرة الخلاص في الفكر الديني الهندي على تعدد الديانات واختلاف العقائد والملل، والتي عرضنا لبعضها فقط، أن فكرة الخلاص هذه مرتبطة أساسا بفكرة الألم الناتج عن الوجود المادي، فالخلاص هو تحرر أو إنطلاق أو نجاة من الألم المتكرر في دورات الحياة المتعددة والناتج أساسا عن الرغبة الإنسانية في الوجود.

فالإنطلاق عند الهندوس والنجاة عند الجينيين والتحرر عند البوذيين كلها مصطلحات لمضمون واحد هو الخلاص من دورات الحياة المختلفة والمتعددة والتي تتم عن طريق تناسخ الأرواح أو تكرار المولد، ولا سبيل إلى الخلاص عند الهنود على إختلاف دياناتهم إلا بالإعتماد على النفس، وذلك بالقضاء على رغباتها فليس هناك وسيط أو منقذ منتظر يتم على يده الخلاص.

الخلاص في ديانة اليونان القديمة:

إن ما يستفاد من دراسة ديانة اليونان القديمة أنها ليست في جوهرها ديانة خلاص، ولكن يمكننا القول أنها تحتوي على فكرة مفادها اعتقاد الإنسان اليوناني القديم بأن هناك قدرا محتوما يضغط على الإنسان، هذا القدر يفرض نفسه عليه، وقيده من المستحيل كسره[2]. ويعتقد اليونانيون القدامى أن الحياة الدنيا حيث تعيش أجسامنا ميدان لأشياء غير ثابتة للزمن، للتاريخ، وأيضا عالم للمعاناة والشر، ولكن هناك في الأعلى عالم آخر، عالم الآلهة، عالم الشهداء، عالم الخالدين، الذين لا يموتون، ذلك هو العالم الحقيقي لأنه يفلت من التغيرات وضربات القدر، وهذا العالم لا نعرفه إلا بعد الموت عندما تحلق أرواحنا التي لا يطالها الموت بالعالم العلوي.

---

[1]- مرجع سابق ص 98 - 99 Pierre-GRELOT

[2]- المرجع السابق ص93

إن الخلاص في اعتقادهم هو الإفلات من الموت، والخلود هو تحرر من العالم الحسي والتاريخي حيث كانت أرواحنا مسجونة، أرواحنا التي هي بالأساس إلهية والتي كانت الحياة الدنيا بالنسبة لها انحطاطا حقيقيا.[1]

إن الخلاص هنا يتعلق بالتطهر من المادة لإعادة بناء الطبيعة السماوية (الإلهية) إلى الروح بداخلنا، وفي نفس الوقت للتحرر من قيود القدر، لأن هذا الأخير ليست له سلطة إلا على المادة. فإعادة النقاء والصفاء للعنصر السماوي معناه العودة إلى الطبيعة الإلهية، العودة إلى الله.

وهذا التطهر لا يكون بنظام أخلاقي فليس بالإمكان إزالة خطيئة أصيلة فوق الجميع، فالروح مدنسة بمجرد أنها متحدة بالجسد، وهي تعود إلى طهارتها في حالة ما إذا تحررت منه.

وهكذا فالخلاص كما تصوره الوثنية الإغريقية بأشكالها المختلفة والأكثر تفاؤلا هو هروب وفرار من المحسوس، من المتغير، من التاريخي، ومن الزمني.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]- المرجع السابق ص 94

الفصل الأول

الخلاص في اليهودية

من عهد الآباء إلى عهد القضاة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن فكرة الخلاص في الديانة اليهودية قديمة ومتأصلة، إن تاريخ الإنسان من منظور هذه الديانة هو سلسلة من فترات السقوط والبعد عن الله، ومن فترات الخلاص الذي حصل عليه بعودته إلى الله بعد أن شعر بضعفه واكتشف غروره، وتاريخ الإنسان تاريخ لمخطط الخلاص الذي رسمته العناية الإلهية، بدايته البشارة التي حصل عليها آدم بعد سقطته، ونهايته خلاص شعب إسرائيل شعب الله المختار من كل أعدائه ومناوئيه وسيطرته عليهم.

إن دراسة فكرة الخلاص في الديانة اليهودية تظهر للباحث الخيوط التي نسجت العقلية الإسرائيلية عبر تاريخها الطويل، خيوط هي مزيج من حب التميز والعنصرية والأنانية، ومن كراهية الشعوب والأمم ثم التمرد والعصيان واتباع الهوى والخروج عن طاعة الله.

إن المصدر الأول من مصادر الديانة اليهودية، وهو العهد القديم بأقسامه الثلاثة : التوراة، الكتب، والأنبياء، هو تاريخ للخلاص، خلاص يبدو في بداية مراحله إنسانيا عاما، ثم يصير خلاصا عنصريا خاصا بشعب الله المختار، وطبيعة هذا الخلاص مادية بحتة، إنه ليس خلاصا من مصير غير مرغوب فيه يكون بعد الموت، وليس خلاصا قريبا يحصل عليه الفرد بعد عملية تطهير للنفس، ولكنه خلاص جماعي لشعب إسرائيل بأكمله، ومن وضعية تاريخية صعبة تعرض لها خلال تاريخه الطويل المليء بالنكبات، والتي كانت حسب المعتقد اليهودي نتيجة لإبتعاده عن الشريعة وعدم حفظه لوصايا الرب ونقضه لعهده معه.

وخلاص إسرائيل يكون في بعض الأحيان بتدخل من يهوه نفسه، وفي أحيان أخرى بوسيط من قبله يختاره لخلاص شعبه، هذا الوسيط الذي رسمت الذهنية الإسرائيلية صورته وأخذت تطور معالمها حتى إكتملت تلك الصورة، وأصبحت فكرة مجيء هذا الوسيط المنقذ عقيدة من أهم عقائد الديانة اليهودية.

ولشدة الإرتباط بين تاريخ إسرائيل وتطور فكرة الخلاص عند اليهود، فإننا وجدنا أنفسنا مدفوعين إلى الكلام عن تاريخ إسرائيل منذ مراحله الأولى إلى العصر الحديث، غير أننا لم نأخذ من ذلك التاريخ إلا ما يخدم موضوعنا ويتصل به مباشرة، وأهملنا تحليل ذلك التاريخ من جوانب أخرى رأيناها بعيدة عن موضوعنا.

المبحث الأول

الخلاص في مرحلة الآباء إلى الخروج من مصر :

• الخطيئة والخلاص :

يعرض العهد القديم في أسفاره الأولى التي يطلق عليها اليهود اسم التوراة تاريخ البشرية من آدم عليه السلام. ويربط بطريقة متقنة بين الخطيئة والخلاص. فآدم أبو البشر ارتكب خطيئة بمخالفته أوامر الرب، حيث كان قد تلقى أمرا بالأكل من جميع شجر الجنة ونهيا عن الأكل من شجرة معرفة الخير والشر، لكنه خالف ما قيل له، وكانت زوجته سببا في ارتكابه تلك الخطيئة كما تروي التوراة :

« ورأت المرأة أن الثمرة طيبة للأكل وشهية للعيون، وأن الشجرة منية للعقل فأخذت من ثمرها، فأكلت وأعطت بعلها أيضا معها فأكل ».[1]

كانت خطيئة آدم سببا في طرده من الجنة مع زوجته حواء إلى الأرض إلى الشقاء والعناء والتعب، ولكن آدم وحواء وبعد سقوطهما هذا بشرا بخلاص[2] بعيد، وهو الذي يطلق عليه المسيحيون اسم « البشارة السابقة » Protévongile.

ويربط العهد القديم أيضا، بين مراحل التاريخ البشري ويصورها على أنها حلقات في سلسلة طويلة من فترات السقوط والإنحطاط الإنساني تبعتها فترات من الخلاص، إن التاريخ البشري كما يصوره العهد القديم هو تاريخ لمخطط الخلاص الذي رسمته العناية الإلهية للإنسانية بعد سقوطها، إن خطايا البشر أضحت كثيرة ككثرة عددهم، وعلى رأس تلك الخطايا جريمة القتل التي يبرزها كاتب سفر التكوين عندما يسرد قصة قايين (قابيل) وقتله لأخيه هابيل[3].

لقد كثر الفساد والشر، وخالف البشر أوامر الله ووحيه، وكان لابد من أن تتدخل الإرادة الإلهية لتصحيح مسيرة التاريخ البشري وتخليص الإنسان من الشر، لكن الثمن سيكون كبيرا، سيهلك الله كل الأشرار من بني البشر، ويبقي على الأبرار الذين سلكوا سبيل الله، سيكون البر

---

[1]- الكتاب المقدس - منشورات دار المشرق - بيروت لبنان 1983

العهد القديم - سفر التكوين الإصحاح1 الفقرة 27

[2]- قد يكون هذا الخلاص بمفهومنا نحن المسلمين التوبة التي تلقاها آدم من الله عز وجل قال تعالى:"فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم" البقرة /37

[3]- سفر التكوين الإصحاح 4 الفقرات من 1 إلى 17.

والتقوى سبيلا لنيل الخلاص، وسيكون نوح أول من يخلص وسط الفساد العام وسيوعد بنظام جديد للعالم : «كان نوح رجلا بارا كاملا في أجياله وسلك نوح مع الله ».[1]

وتروي الإصحاحات السادس، السابع، الثامن، والتاسع من سفر التكوين كيفية هلاك الأشرار وذلك بالطوفان المدمر، والذي نجا منه نوح وبنوه[2] بفضل بره والعهد الذي أقامه الله معه « وأقيم عهدي معك فتدخل التابوت أنت وبنوك وامرأتك ونسوة بنيك معك، ومن كل حي من كل ذي جسد اثنين من كل تدخل التابوت يحيا معك، ذكرا وأنثى تكون ».[3]

كان خلاص نوح ومن معه من الطوفان المدمر أولى مراحل مخطط الخلاص الذي رسمه الله لإنقاذ البشرية، وكان هذا الخلاص كما يروي العهد القديم بفضل عهد أقامه الرب مع نوح لما رآه منه من بر وتقوى.

الخلاص في مرحلة الآباء : (PATRIACHES)

الإنتخاب، العهد، والوعد بالأرض والخلاص

إن الطوفان وهلاك الأشرار من بني البشر لم يكن ليطهر الإنسانية والأرض من الفساد والشر، لقد استمر كل ذلك مع الإنسان في تاريخه بعد الطوفان وربما بصورة أشد وأبشع. ولكي يحقق الله المخطط الذي رسمه لخلاص البشر، إختار رجالا صديقين أوفياء، إئتمنهم على سره وأرادهم أن يكونوا منفذي قصده وصورة مسبقة للمخلص المنقذ والفادي كما يعتقد اليهود والمسيحيون.[4]

وكان أول المختارين إبراهيم عليه السلام، أو أبرام كما تطلق عليه التوراة ثم الآباء الأقدمين. ففي وسط العالم المملوء شرا وفسادا اختار الله رجلا (أبرام) وأمره أن يخرج من بلده وأرضه : «وقال الرب لأبرام انطلق من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك إلى الأرض التي أريك »[5]

---

[1]- سفر التكوين الإصحاح 6 الفقرة 10.

[2]- تفصيل هذا في القرآن الكريم ذكر في عدة مواضع منها سورة هود الآيات من 37 إلى 48

[3]- سفر التكوين الإصحاح 6 الفقرة 14

[4]- الأب بولس إلياس اليسوعي: خلاصة الدين المسيحي، منشورات دار المشرق بيروت لبنان - الطبعة الثالثة 1987 ص88

[5]- سفر التكوين الإصحاح 2 الفقرة 1

ويظهر من هذا النص أن كاتب السفر أراد أن يربط بين الوعد بالخلاص والوعد بالأرض - أرض فلسطين -

ومن ذرية أبرام وفي كل جيل يختار الرب الإبن الذي يتخذه أمينا على مخططه الخلاصي، ويتبع هذا الإختيار أو الإنتخاب دخول المختار مع الرب في عهد :

« وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك مدى أجيالهم عهد الدهر لأكون إلها ولنسلك من بعدك ».[1]

وبعد إبرام العهد مع إبراهيم المنتخب يعده الرب بإعطائه أرض كنعان، وهي فكرة متأخرة ذكرها كاتب سفر التكوين حتى يظهر حق الشعب الإسرائيلي في أرض فلسطين رابطا إياها بأصول العقيدة اليهودية، لتصبح الفكرة بعد ذلك جزء لا يتجزأ من عقائد اليهود أبد الدهر.

« وأعطيك أرض غربتك لك ولنسلك من بعدك أرض كنعان ملكا مؤبدا وأكون لهم إلها ».[2]

ومقابل هذا الوعد بالأرض يلتزم أبرام وبنوه من بعده في كل جيل بعهد الرب، وذلك بأن يحفظوا وصاياه ويعملوا حسب مشيئته.

« وقال الرب لأبرام وأنت فاحفظ عهدي ونسلك من بعدك مدى أجيالهم ».[3]

وكعلامة على إستمرار هذا العهد وحفظ الوصايا من قبل نسل إبراهيم، فإن الرب قد طلب من إبراهيم وبنيه أن يختنوا كل مولود ذكر منهم مدى أجيالهم :

« هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم، وبين نسلك من بعدك يختن كل ذكر منهم، فتختنون القلفة من أبدانكم ويكون ذلك علامة عهد بيني وبينكم ».[4]

إن كاتب العهد القديم وخاصة الأسفار الأولى منه، وهو يذكر قضية الإختيار والإنتخاب يشير إلى أن هذا الأخير هو نتيجة للبر الذي يظهره المختار المنتخب، وأنه ليس منحة مجانية، كما أن الوعد بالخلاص لا يتحقق إلا بالإلتزام ببنود العهد مع الرب وأولها حفظ الوصايا والأوامر.

ويروي كاتب أسفار التوراة بعد ذلك أمورا تبدو فيها سمات العقلية الإسرائيلية من حب للتميز وإظهار انتخاب الله واختياره للشعب اليهودي، إن الرب حسب كاتب التوراة فضل إقامة عهده مع إسحاق على إقامته مع اسماعيل مع كونه الإبن البكر لإبراهيم، ورغم أن إبراهيم، كما يذكر الكاتب نفسه، قد طلب إقامة العهد مع اسماعيل ابنه :

---

[1]- سفر التكوين الإصحاح 17 الفقرة 8.

[2]- سفر التكوين الإصحاح 17 الفقرة 9.

[3]- سفر التكوين الإصحاح 17 الفقرة 10.

[4]- سفر التكوين الإصحاح 17 الفقرتان 11 و12.

«قال ابراهيم لله : لو أن اسماعيل يحيا بين يديك، فقال اللـه : بل سارة امرأتك ستلد لك ابنا وسمه اسحاق وأقيم عهدي معه عهدا مؤبدا لنسله من بعده ».[1]

وبعد هذا لن يكون هناك ذكر لإسماعيل ولا لنسله لأن الإختيار سيكون من نسل إسحاق. كما أن الرب امتحن ابراهيم في ابنه ليتحقق من مدى اخلاصه له، وكان الإبن محل الإختبار اسحاق، لا إسماعيل كما هو معلوم عند المسلمين. ومرة أخرى يظهر كاتب التوراة والعهد القديم ككل مدى حب التميز الذي يصبغ العقلية اليهودية، ومن دون شك وكما هو معلوم من الدراسات المقدمة في نقد التوراة، فإن نصوص هذه الأخيرة تكون قد كتبت في مرحلة متأخرة، كانت فيها العقلية اليهودية القائمة على الخصائص التي ذكرناها سابقا، قد شكلت بصورة تكاد تكون نهائية.

وستضيق دائرة الخلاص بعد هذا ليصبح مقتصرا على الشعب العبري المختار، وأول مظهر لخلاص هذا الشعب، كان حينما أنجى الله إسحاق الأب الأكبر لليهود من الذبح وتقديم الكبش لإبراهيم ليذبحه فداء لإبنه وشعب الرب المختار.

وتستمر رواية العهد القديم، ويسلط الكاتب الأضواء على إسحاق ونسله الذي سيكون الشعب الإسرائيلي فيما بعد، هذا الشعب الذي سيكون محلا لتنفيذ مخطط الخلاص، وأول ما يذكره كاتب سفر التكوين أن الرب بارك إسحاق، هذه البركة التي استحقها بفضل أبيه :

«فتجلى له الرب تلك الليلة وقال : أنا إله إبراهيم، لبيك لا تخف فإني معك أباركك وأكثر نسلك من أجل عبدي إبراهيم ».[2]

وكما أظهر كاتب سفر التكوين العنصرية الإسرائيلية عند حديثه عن ابني إبراهيم، إسماعيل وإسحاق، أظهرها أيضا عند ذكره لقصة ابني اسحاق عيسو ويعقوب[3]، فيذكر السفر أن عيسو هو الإبن البكر لإسحاق، ولكن يعقوب تمكن من اغتصاب حق البكورية[4] منه بحيلة أرشدته إليها أمه رفقة التي كانت تفضله على أخيه، وتأمل أن يأخذ البركة عن أبيه ».[5]

---

[1]- سفر التكوين الإصحاح 17 الفقرة 20.

[2]- سفر التكوين الإصحاح 17 الفقرة 25.

[3]- تفسر التوراة كلمة يعقوب "بأنه خرج من بطن أمه ممسكا بعقب أخيه عيسو" تكوين 26/25 - 27.

[4]- للإبن الأكبر عند اليهود حظوة كبيرة فهو مثلا يرث نصف تركة أبيه.

[5]- سفر التكوين الإصحاح 17 الفقرات من 1 إلى 46.

ويصور كاتب السفر بعد ذلك الصراع الذي نشأ بين يعقوب وعيسو وهذا الأخير الذي توعد الأول بالقتل، كما يذكر خروج يعقوب إلى حاران حيث خاله لابان بن ناحور هاربا من أخيه، كما يذكر زواجه من ابنتي خاله «لئية» و «راحيل» مقابل خدمته لخاله سبع سنين على كل واحدة منهما، ثم يسرد الكاتب بعد ذلك أسماء أبناء يعقوب الإثني عشر :

- فقد ولدت له لئية كلا من : روبني، شمعون، لاوي، يهوذا، يساكر، وزبولون.
- وولدت له راحيل كلا من : يوسف، وبنيامين.
- وولدت له بلهة : دان، ونفتالي[1] وكان يعقوب حسب رواية العهد القديم ـ يمنح مزيدا من العطف والحب ليوسف وبنيامين ابنيه من راحيل الحظية عنده، مما أثار حقد إخوتهما عليهما، الذين أخذوا يدبرون المكائد ضد يوسف أكبر الإثنين وأحبهما إلى يعقوب.

ويقص كاتب سفر التكوين كيف تخلصوا منه بطريقة ماكرة دنيئة حيث ألقوه في بئر وادعوا أمام أبيهم بأن الذئب قد أكله.

إن تأزم العلاقة بين يوسف وإخوته، والذي أدى إلى أن يلقى يوسف هذا المصير، هو نقطة هامة في تاريخ الشعب الإسرائيلي في مراحله الأولى، وفي مخطط الخلاص الذي رسمه الرب لشعبه المختار. فيوسف قد أخرج من البئر وبيع بمصر لرئيس الشرطة، لينشأ هناك ويكبر ويمتحن، فقد زج به في السجن بعد أن اتهم كذبا بمحاولة الإعتداء على شرف زوجة سيده، وفي سجنه يتعرف على رئيس سقاة فرعون الذي كان سببا في الإفراج عنه، وبعد خروجه من السجن استخلصه فرعون لنفسه ومنحه مكانة عظيمة، لقد جعله فوتي فارغ أوفوفيطار فرعون من ملوك الأسرة السادسة عشرة من القرن السابع عشر ق.م[2] مديرا عاما لخزائن الطعام بمصر، وهو منصب يماثل منصب وزير التموين في العهد الحاضر، ويوسف بمنصبه هذا كان سببا في خلاص أهله، يعقوب ونسله، والخلاص هذه المرة كان من الجوع الذي أوشك أن يأتي على آباء شعب الله المختار. فقد هيأ منصب يوسف هذا ليعقوب وأولاده أن يرحلوا إلى مصر فرارا من الجوع الذي عم بلادهم. لقد رأى فرعون مصر حال إخوة يوسف فعرض عليهم الإقامة بمصر :

---

[1] ـ سفر التكوين الإصحاح 29 الفقرة 30.

[2] ـ د/أحمد شلبي: اليهودية الطبعة الثامنة ـ مكتبة النهضة العربية القاهرة 1986 ص 57

«خذوا أباكم وبيوتكم وتعالوا إلي فأعطيكم خير أرض مصر، وتأكلوا دسم الأرض، خذوا لكم من أرض مصر عجلات لأولادكم ونسائكم واحملوا أباكم وتعالوا، ولا تحزن عيونكم على أثاثكم لأن خيرات جميع أرض مصر لكم » [1]

يذكر بعض الباحثين أن سبب استقدام فرعون ليعقوب وأهله إلى مصر، هو أن الذين كانوا يحكمون مصر في تلك الفترة هم الرعاة العماليق (الهكسوس) الذين اغتصبوا السلطة بمصر. ولم تفتأ حركات المواطنين تعمل للإيقاع بهم، لأنهم كانوا لا يظهرون الولاء لمصر، فكان تفكيرهم أن يتعاونوا مع غير المصريين للقضاء على تلك الحركات الثورية. ولكن هذا التفسير بعيد عن الحقيقة

في رأينا ذلك أن يعقوب وأهله لم يكن عددهم ليتجاوز بعض عشرات من الرجال والنساء هذا العدد الذي لم يكن ليؤثر في ترجيح كفة قوة على حساب كفة قوة أخرى، أما السبب الحقيقي في رأينا هو أن صنيع يوسف بإدارته لخزائن الطعام بمصر وإخراجه لهذا البلد من مأزق كان يهدد وجوده، فكان أن كافأ حاكم مصر يوسف باستقدام أهله وانقاذهم من خطر الجوع، وهذا ما ينسجم مع ما قلناه سابقا من أن منصب يوسف هو الذي كان سببا في خلاص شعب الله المختار في مراحل تاريخه الأولى.

إسرائيل وبنوه في مصر :

قدم يعقوب وبنوه إلى مصر وأقاموا بها، وعاشوا فيها سنينا من الرخاء، فاض خلالها الخير عليهم، ذلك أن يوسف أسكنهم أفضل أرض مصر :

«فأسكن يوسف أباه وإخوته، وأعطاهم ملكا في أرض مصر في أفضل الأرض ».[2]

وحدث بعد ذلك أن كثر عدد الإسرائليين وقوى نفوذهم الإقتصادي خاصة، وأخذ وجودهم يلفت الأنظار، ذلك أن الإسرائليين وخلال إقامتهم بمصر كان يلاحظ عليهم الإنعزالية التامة وعدم الإختلاط بأصحاب الأرض الأصليين. ويصف أحد الباحثين هذه الظاهرة فيقول : »كانوا لا يزالون في عزلتهم، ولكن العزلة أنذاك أصبحت تستلفت نظر المصريين، وكثر تخوفهم، فهي لم تعد عزلة بضع عشرات من الرجال والنساء ولكنها أصبحت عزلة قوم لهم قوة ومنعة فغدوا يكونون دولة داخل الدولة.

---

[1] - سفر التكوين الإصحاح 45 الفقرات من 17 إلى 21.

[2] - سفر التكوين الإصحاح 17 الفقرة 11.

كما يقال في الإصطلاح الحديث، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد نجح أمراء طيبة المصريون في التغلب على الرعاة العماليق، وطردهم أحمس (فرعون) خارج البلاد، وأقام حكما وطنيا قويا في مصر كلها، إبتداء من الأسرة الثامنة عشرة، ولم يتعرض أحمس لبني إسرائيل بسوء لأنه فيما يبدو كان مشغولا بالعدو الأكبر، فلما قامت الأسرة التاسعة عشرة ومن ملوكها رمسيس الثاني، ظهر الشعور العدائي ضد بني إسرائيل ونقم الحكم على أمرهم، ثم إن الحكم الجديد كان يخشى أن يتآمر بنو إسرائيل ضده في محاولة للإنتكاس، بل يرى بعض من الباحثين أن شعب مصر اكتشف بالفعل أن بني إسرائيل كانوا يتآمرون عليه. »[1]

ونتيجة ما سبق من موقف بني إسرائيل نشأ الصراع بينهم وبين المصريين ويختلف الباحثون حول الأسباب والدوافع فمنهم من ذهب إلى أن بني إسرائيل تعودوا الحياة الممتازة منذ عهد يوسف، ونالوا الكثير من رعاية الهكسوس وإيثارهم ثم جاء من الفراعنة من طلب منهم أن يحرثوا الأرض كغيرهم من المصريين المنتجين، وأن يشتركوا في تشييد المباني وإقامة العمران، لا أن يختصوا بصياغة الذهب والفضة وتجارتهما وبتنمية المواشي بواسطة الرعي دون جهد، فثار بنو إسرائيل لفقدان امتيازاتهم وقاوموا الحكم الجديد، وربما يكون من الإستطراد أن نذكر أن بني إسرائيل كانوا يحرصون على حياة الإمتياز والكسب السهل على مر التاريخ في مختلف البلاد، وأنهم ثاروا هنا وهناك عندما خافوا أن تضيع منهم هذه الإمتيازات.

هذا ويذكر الأستاذ أحمد شلبي أن سبب تأزم العلاقات بين بني إسرائيل والمصريين كان الإضطراب الصحي الذي نتج عن التزايد المطرد في تعداد بني إسرائيل، ذلك أن حياة الغنى كان ينعم بها سادتهم، أما الأكثرية العظمى من الشعب فكانت تعيش في فقر مدقع، وكانت القذارة تنتشر بينهم بشكل واضح، فظهرت بينهم الأمراض وأصبحوا مصدر قلق فرعون وشعب مصر.[2]

لقد أصبحت الكراهية والحذر الطابع المميز لعلاقة المصريين ببني إسرائيل، ولذلك استعمل المصريون وسائل للتخلص من نفوذ الإسرائيليين وكسر العزلة التي كانوا يفرضونها على أنفسهم، فسخروهم في الأعمال الشاقة :

---

[1]- سليمان مظهر : مرجع سابق ص28.

[2]- د/ أحمد شلبي - اليهودية ص 61.

« فاستخدم المصريون بني إسرائيل بقسوة ونغصوا حياتهم بخدمة شاقة بالطين واللّبن وسائر أعمال الأرض وجميع خدمتهم التي استخدموهم كانت بقسوة »[1]. ثم انتهى تفكير فرعون إلى أن تكاثر رجال بني إسرائيل يهدد الدولة واستقر رأيه على التخلص من الأطفال الذكور واستبقاء الإناث فإذا تم ذلك، وتزوجت الإسرائيليات من المصريين انتهت العزلة وتم الإندماج وزال الخطر.

« فأمر فرعون جميع شعبه قائلا : كل ذكر يولد لهم (لبني إسرائيل) فاطرحوه في النهر وكل أنثى فاستبقوها ».[2]

إن الشعب المختار مهدد في وجوده، ومن وراء هذا تهديد لمخطط الخلاص نفسه الذي رسمه الرب لشعبه، إنه منذ زمن يوسف إلى حد الآن لم يذكر كاتب التوراة أن الرب بارك أحدا من بني إسرائيل كما كان يفعل من قبل مع رجل من كل جيل، فهل يعني هذا أن الرب تخلى عن شعبه؟ وهل هي نهاية مخطط الخلاص الذي رسمه الرب لشعب إسرائيل؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]- سفر الخروج الإصحاح 1 الفقرتان 14 و15

[2]- سفر الخروج الإصحاح 1 الفقرة 23.

المبحث الثاني

ظهور فكرة الوسيط في الخلاص

موسى وسيط الخلاص بين الرب وشعبه:

لقد شرع المصريون في قتل كل ولد ذكر من الإسرائليين، كما أخذ بعض المصريين يتزوج من النساء الإسرائيليات، تنفيذا لمشروع فرعون الهادف إلى القضاء على خطر الإسرائليين الناتج عن عزلتهم، وبهذا تنتهي الأحداث ببني إسرائيل إلى مرحلة أصبح وجودهم فيها مهددا، وظهر لهم أن الرب تخلى عن خلاصهم وعن العهد الذي قطعه مع آبائهم من قبل، لكن وفي هذا الظرف بالذات ولد في بني إسرائيل ولد سيكون خلاص شعب إسرائيل على يديه، هذا الولد لم تستطع أمه إخفاءه عن المصريين، فأخذت له سفطا من البردي وطلته بالحمر والزفت وجعلت الولد فيه، ووضعته بين الخيزران على حافة النهر لتلتقطه ابنة فرعون بعد ذلك، حين نزلت تغتسل من شاطئ النهر، وقد ساعدتها أخت موسى على العثور على مرضعة ـ والتي كانت أمه ـ وقد سمته ابنة فرعون موسى [מֹשֶׁה][1] لأنها انتشلته من الماء.[2]

وتتفق الكتب المقدسة[3] حول بعض الأحداث من حياة موسى، فرغم أنه شب ونشأ بالقصر الملكي في أحضان فرعون، إلا أنه كان لديه شعور قومي بإنتمائه لبني إسرائيل، ونتيجة هذا الشعور انتصاره للرجل الإسرائيلي الذي استغاث به وضربه المصري وقتله إيّاه، الأمر الذي سيدفعه إلى الخروج من مصر واللجوء إلى أرض مدين.

---

[1]ـ يعلق بعض النقاد ومنهم فرويد في كتابه ـ موسى والتوحيد ـ استنادا إلى دراسة اللغة العبرية أن اسم "موسى" اسم فاعل بمعنى المنتشل. أما في الرواية ـ رواية العهد القديم ـ فقد وقع عليه فعل الإنتشال، ولذلك فلا يصلح التفسير المذكور.

[2]ـ G.RICCIOTTI: Histoire d'ISRAEL- traduit par PAUL AUVARY- Editions AUGUSTE PICARD- PARIS 1939 page 208.

[3]ـ القرآن الكريم والعهد القديم.

إقامة موسى بمدين إلى موت ملك مصر [فرعون]:

أقام موسى بمدين وتزوج فيها مقابل خدمة ثمان حجج (سنوات) كمهر لزوجته، وكان أن مات ملك مصر وتنهد بنوإسرائيل وصرخوا وصعد صراخهم إلى الله من الخدمة، فسمع الله أنينهم وذكر[1] عهده مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب؛ كما يذكر العهد القديم، وهذا يعني أنه سيتدخل لإنقاذ بني إسرائيل كوفاء بالعهد المبرم مع آبائهم، وهذه المرة سيكون الخلاص بوسيط هو موسى عليه السلام. ولكن كيف يتم الخلاص وموسى بعيد عن مصر؟ بعيد عن قومه بني إسرائيل؟

حدث عندما كان موسى يرعى غنم حميه بمدين وبالضبط عند جبل حورين، أن تجلى له ملاك الرب في لهب من نار، فذهب موسى لينظر ذلك المنظر، وعندها ناداه الله وطلب منه خلع نعليه لقداسة المكان، وذكر له ماهو بصدد إنجازه من خلاص بني إسرائيل وإخراجهم من مصر: "إني نظرت إلى مذلة شعبي الذين بمصر وسمعت صراخهم من قبل مسخريهم وعلمت بكربهم فنزلت لإنقاذهم من أيدي المصريين وأخرجهم من تلك الأرض إلى أرض طيبة واسعة، أرض تدر لبنا وعسلا إلى موضع الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحوبيين".[2]

ثم بعد هذا أمره بالعودة إلى مصر لإخراج قومه بني إسرائيل منها وإنقاذهم من أيدي فرعون والمصريين ووعده بأنه سيكون معه.

إننا هنا بصدد معرفة مرحلة جديدة من مراحل مخطط الخلاص، إن الخلاص هذه المرة لن يكون لفرد أو لجماعة صغيرة، بل سيكون للشعب، شعب الله المختار، وإنه ولأول مرة ترد في سفر الخروج كلمة الشعب. كما أن الرب ينسبه إليه (شعبي).[3]

وإن موسى الذي كلف بتخليص الشعب الإسرائيلي من العبودية ومن خدمة المصريين وعذابهم. زود بمجموعة من الآيات والمعجزات تسّهل عليه القيام بالمهمة التي كلف بها، ويذكر سفر الخروج هذه المعجزات وهي: العصا التي تتحول إلى حية تسعى، ثم اليد التي تتحول إلى

---

[1]- هذا ما يصف به اليهود الله سبحانه وتعالى وهو وصف لا يليق في حقّ من يتصف بكل صفات الكمال المنزه عن كل صفات النقص عز وجل.

[2]- سفر الخروج الإصحاح 3 الفقرات 7 -8 -9

[3]- سفر الخروج الإصحاح 3 الفقرة 11.

بيضاء، وماء النهر الذي يلقيه موسى على الأرض ليتحول إلى دم، ثم تدعيمه بأخيه هارون أداته لإبلاغ بني إسرائيل ما كلف به.

يعود موسى إذا إلى مصر ويلقاه أخوه هارون ليبلغا جميع شيوخ بني إسرائيل بما كلفهما به الرب، وأظهر موسى ما معه من الآيات أمام الشعب، فآمن الشعب.

بعد هذا يبلغ موسى وهارون فرعون بما أمرا به من إطلاق سراح بني إسرائيل وإخراجهم من مصر أرض العبودية، فيرفض فرعون أن يستجيب لهذا الأمر:"من هو الرب فأسمع لقوله وأطلق إسرائيل، لا أعرف الرب ولا أطلق إسرائيل"[1]. ولم يكتف فرعون بأنه رفض إطلاق سراح بني إسرائيل بل أصدر أمرا بالتشديد عليهم في أعمال السخرة:

"ليثقل العمل على الشعب فيشتغلوا، ولا يلتفتوا إلى كلام الكذب".[2]

وهذا الأمر تسبب في تذمر بني إسرائيل من موسى وهارون، فقد بدا لهم أن ما يلاقونه من المصريين كان بسببهما.

ولما رأى موسى أن بني إسرائيل قد تذمروا منه ومن أخيه، وأن اليأس والإحباط قد أخذ منهم مأخذه توجه إلى الرب طالبا منه أن يتدخل لإنقاذ شعبه، فكان رد الرب بأنه سيخرج شعبه وبأنه سيعطيهم الأرض التي وعد بها آبائهم:

"لقد سمعت أنين بني إسرائيل الذين استعبدهم المصريون فذكرت عهدي، لذلك قل لبني إسرائيل أنا الرب لأخرجكم من تحت أثقال المصريين وأخلصكم من عبوديتهم ... واتخذكم لي شعبا وأكون لكم إلها ... وسأدخلكم الأرض التي رفعت يدي مقسما أن أعطيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب فأعطيها لكم ميراثا أنا الرب".[3]

إن خلاص إسرائيل الذي وعدهم به الرب، وخروجهم من مصر لن يكون إلا بعد ضربات عديدة يتلقاها فرعون وقومه، وهي :

1-) تحول عصا موسى إلى ثعبان يتلقف ما يلقيه السحرة من حبال.

2-) تحويل مياه النهر إلى دم .

---

[1]- سفر الخروج الإصحاح 5 الفقرة 2.

[2]- سفر الخروج الإصحاح 5 الفقرة 10.

[3]- سفر الخروج الإصحاح 6 الفقرات من 5 إلى 8.

-3) انتشار الضفادع في جميع أرض مصر.

-4) البعوض والذبان

-5) موت المواشي.

-6) ضرب المصريين بالوباء.

-7) البرد القاتل للإنسان والحيوان

-8) الجراد.

-9)الظلام الذي دام ثلاثة أيام.

-10) موت كل بكر في أرض مصر حتى أبكار البهائم.[1]

وما يلفت الإنتباه في توالي هذه المعجزات هو أن:

1 ـ بني إسرائيل كانوا بعيدين عن أن يصابوا بها.

2 ـ أن فرعون كان يطلب تدخل موسى لرفع ما أصابه وقومه بعد كل ضربة كان يتلقاها.

3 ـ أن هذه الضربات كانت لإشعار فرعون بأن خروج بني إسرائيل من أرضه هو أمر إلهي يجب عليه تنفيذه.

قرر يهوه إذن أن يضرب الضربة القاضية الفاصلة، يضرب كل أطفال مصر بدء من فرعون إلى حاشيته وخدامه وحتى قطعانه، ونجت إسرائيل من المصيبة، حيث وضعت كل أسرة من بني إسرائيل شيئا من دم خروف الفصح على دعائم وعوارض أبواب البيت، هذا الدم الذي يصرخ تجاه السماء حتى يحمي أبناء إسرائيل من بطش ملاك يهوه، ولذلك سميت تلك الليلة ليلة الفصح، وفيها حدث صخب وجلبة كبيرين في مصر وطلب فرعون خروج أبناء إسرائيل في الحين[2].

---

[1]ـ سفر الخروج الإصحاحات 7، 8، 9، 10، 11، و12

[2]ـ BERNARD SESBOÜE Les récits du salut DESCLEE PARIS 1991 page 91.

وسيحتفل شعب إسرائيل بهذه الليلة وتصبح عيدا له على مر الأجيال، "وعندما يسألك أبناؤك: ماذا يعني هذا الطقس؟ قل لهم: إنه قربان عيد الفصح على شرف يهوه الذي مر بالقرب من منازل بني إسرائيل في مصر ولم يؤذهم بشيء"[1]

وإحياء هذا العيد واجب على كل الإسرائليين بأمر من الرب كشكر له على تخليصهم من المصريين:"ويكون علامة لك على يدك وذكرا بين عينيك حتى تكون شريعة الرب فيك لأن الرب بيد قديرة أخرجك من مصر، واحفظ هذه الفريضة في وقتها سنة فسنة".[2]

إن إحياء هذا العيد بإمكانه أن يسمح مجددا لمشاركين جدد أن يصبحوا بأنفسهم وبدورهم ممثلين للحدث، هذا الأخير الذي سيبقى الحدث المؤسس لشعب إسرائيل كشعب يهوه، وستكون ليلة الخروج مناسبة تاريخية يحتفل بها كذكرى للنجاة والخلاص وتكون رمزا للحضور المتكرر والمستمر لعطاء يهوه لشعب إسرائيل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]- سفر الخروج الإصحاح 12 الفقرتان 26 و27.

[2]- سفر الخروج الإصحاح 13 الفقرات 8 ـ 11.

المبحث الثالث:

الخلاص من الخروج من مصر إلى عهد القضاة:

الخروج من مصر وإنجاز الخلاص:

ندم فرعون على أنه سمح للإسرائليين بالخروج وهم شعب به نفع كبير لمصر، فكان أن بعث وراءهم جنوده، وعندما رأى الإسرائليون الجنود بدأوا يتدمرون ويسبون موسى، فالشعب الخارج من مصر مازال في أعماقه يفضل البقاء كشعب مستعبد على أن يتحمل تبعات الحرية والتحرر، إنه شعب مكب على وجهه لا يعرف الطريق السوي لذلك نراه يعيد الجحود والكفر:

"ولما قرب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم فإذا المصريون في أثرهم فخافوا جدا وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب وقالوا لموسى: أمن عدم القبور بمصر أخرجتنا لنموت في البرية؟ ماذا صنعت بنا فأخرجتنا من مصر؟ أليس هذا ما كلمناك به في مصر؟ قائلين: دعنا نخدم المصريين فإن خدمتنا لهم خير من أن نموت في البرية".[1]

وسيتردد هذا العصيان وهذا التذمر في تاريخ إسرائيل كثيرا، ولكن موسى يرد قائلا:" ليس بيدكم ما تفعلونه".[2]

إن هذا يعني أن الخلاص تدبير الإله القادر على تخليص شعبه الذي هو في خوف وفزع كبيرين، إن الإله سيستعرض قدرته وعزته لإنقاذ أبنائه على حساب فرعون وجنوده، وسيكون عبور الإسرائليين البحر ونجاتهم المعجزة الكبرى للتحرير والخلاص في تاريخ إسرائيل، ذلك أنه من وجهة النظر البشرية البحتة كان من المستحيل الإفلات من جنود فرعون، لقد كانت الإرادة الإلهية تعمل وحسب التقاليد المصرية، فالحدث كله كان مسيرا من طرف الإله، فالإله هو الذي غلظ قلب فرعون، وهو الذي أعطى موسى القدرة على أن يأمر البحر مرتين، الأولى من أجل أن ينفلق وينجو الإسرائليون، والثانية من أجل أن يغمر المصريين، حتى ينجز المخطط الذي رسمه لخلاص شعبه من عبودية المصريين.

---

[1]- سفر الخروج الإصحاح 14 الفقرات من 10 إلى 12

[2]- سفر الخروج الإصحاح 15 الفقرات 12

وكان هذا التدخل الواضح للإله هو الذي أخفت كل الأصوات التي ارتفعت من قبل معلنة التذمر واللوم على موسى، وزرع الإيمان في الشعب:

"وشاهد إسرائيل القوة العظيمة التي صنعها الرب بالمصريين، فخاف الشعب الرب وآمنوا به وبموسى عبده"[1] ذلك أن الخلاص لا يناله إلا من آمن واطمأن قلبه، فالشعب قد نجا بفضل إيمانه،

وسيبقى حدث الخروج الحد الفاصل المفجع بين الإسرائيليين والمصريين حيث كان خلاص الأولين على حساب الآخرين، فهو طوفان وخلق جديد، طوفان بالنسبة للمصريين، وخروج من الماء لحياة جديدة بالنسبة لأبناء إسرائيل، فموت المصريين كان بمثابة بعث الإسرائيليين.

ومن ناحية ثانية كان حادث الخروج ترويضا للشعب، وتخليصا له من قوى الشر والهلاك، إنه رجوع إلى الحياة، إنه خلق جديد، خلاص كا ن ثمنا اشترى به يهوه شعبه واكتسبه به[2] ولهذا تكررت في الخروج عبارة "شعبك الذي اشتريت" الشعب الذي اشتريت"[3]

ويسبح الشعب الإله ويقدسه اعترافا له بفضله على تخليصه، وكثيرا ما يتردد هذا التسبيح في العهد القديم كله، ولعله يكون تذكيرا من كتاب الأسفار المتأخرين بما صنعه الرب لشعب إسرائيل" الرب عزي وتسبيحي لقد كان لي خلاصا، هذا إلهي فإياه أمجد، إله أبي فإياه أعظم".[4]

ويسلط الباحثون في تاريخ إسرائيل كثيرا من الأضواء على هذه الفترة، ويعدها بعضهم أنها مرحلة وضع الأسس للعقيدة اليهودية، ذلك أنها المرحلة التي شهدت أول لحظة تاريخية يتحقق فيها الوعد الإلهي المعطى للآباء الإسرائيليين ولموسى، فالخروج يعتبر تحقيقا للوعد الإلهي، وهو أيضا رمز الخلاص، وبهذا الشكل يتم لدينا تطور مفهومي الوعد والخلاص اللذين أصبحا من أسس الديانة اليهودية"[5] ويرى بعض المحللين للفكر الديني الإسرائيلي، أن حادثة الخروج تعتبر أيضا بداية الشعور القومي الحقيقي لدى الإسرائيليين، فخروجهم من مصر في شكل جماعة تحت قيادة

---

[1]- سفر الخروج الإصحاح 14 الفقرة 13.

[2]- ANDRE NEHER MOÏSE et la Révolution Juive
Editions du Seuil FRANCE 1956 page 127

[3]- سفر الخروج الإصحاح 15 الفقرة 16.

[4]- سفر الخروج الأإصحاح 18 الفقرة 2.

[5]- د/محمد خليفة حسن أحمد: دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية ـ دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة 1985 ص 57.

موسى أعطاهم صفة القومية، وكانت في نفس الوقت بداية الإحساس بالشعور التاريخي، ولأن حادثة الخروج معجزة إلهية فقد أضافت بعدا دينيا للإحساس القومي التاريخي.[1]

لكل الأسباب المتقدمة كانت حادثة الخروج من أهم مراحل مخطط الخلاص الذي رسمه يهوه لشعب إسرائيل، ومن أهم الأحداث في تاريخه نظرا لما لها من تأثير على العقلية الإسرائيلية وعلى ضوء هذه الحادثة يمكن تفسير بقية التاريخ الإسرائيلي.

الخلاص في صحراء سيناء:

بعد خروجه من مصر، وأثناء سيره الطويل في الصحراء أصاب شعب يهوه العطش والجوع، ويعود أفراده مرة أخرى فيتهامسون على موسى وهارون، لماذا نجاهم الإله وأخرجهم من مصر ليتركهم يضيعون في الصحراء؟

إنها بداية امتحان ثان فمن جهة الإله يضع شعبه موضع امتحان عسير حتى يرفع من إيمانه، ومن جهة أخرى الشعب يضع الإله في امتحان:

"وسمي ذلك الموضع المحنة والخصومة بسبب مخاصمة بني إسرائيل وامتحانهم الرب قائلين:"أبيننا الرب أم لا؟"[2]

وكرد على موقف الشعب هذا، سيتصرف يهوه كأب ومرة أخرى كمرب، فهو كأب يطعم ويسقي أولاده، وكمرب يعلمهم الإيمان والثقة والطاعة حتى يعرف بنفسه بأنه الإله.

فيهوه "يمطر" خبزا من السماء، ويعطي المن والسلوى أيضا، ويغير طعم الماء المر إلى ماء عذب، كل هذا ليعطي لشعبه الثقة التي تجبرهم على الطاعة.

إن كاتبا متأخرا من محرري أسفار العهد القديم لم يسعه إلا أن يذكّر بفضل الرّب على شعبه في صحراء سيناء بعد الخروج من مصر، يذكّر إسرائيل الشعب المنحرف دوما:"أعطيت شعبك طعم الملائكة باستمرار وأنزلت له من السماء خبزا جاهزا، قادرا على أن يلبي كل الملذات

---

[1]- المرجع السابق ص 57

[2]- سفر الخروج الإصحاح 17 الفقرة 7.

والأذواق، إن المادة التي تقدمها تظهر رقتك تجاه أبنائك لكونها تأخذ الذوق الذي يريده كل واحد منهم".[1]

إلى هذا الحد يمكن القول أن يهوه قد خلص شعبه بطريقة يمكن أن توصف بأنها في اتجاه واحد أي أنه منحة من الرب لشعبه، لقد استمع إلى شكواه بمصر، وأخرجه منها بأيدي قوية، وبذراع مبسوطة، لكن من الآن سيعرض يهوه على إسرائيل عهدا ذا طابع ثنائي، فمن جهة يطلب يهوه من شعبه الإمتثال لأوامره، ومن جهة أخرى يضمن له الخلاص والحماية. وسيكون هذا العهد أيضا عقد ملكية متبادلة، والمعبر عنه في الجملة المتكررة في العهد القديم:

"أكون إلهكم وتكونون شعبي:"والآن إن أمتثلتم أوامري وحفظتم عهدي فإنكم تكونون لي خاصة من جميع الشعوب لأن جميع الأرض لي، وأنتم تكونون لي مملكة أحبار وشعبا مقدسا."[2]

وفي هذه المرحلة بالذات من تاريخ إسرائيل تأكد ظهور الفكرة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بفكرة الخلاص ألا وهي فكرة الوسيط الذي يخلص يهوه شعبه على يديه، وموسى أول الوسطاء سيكون حاضرا عند إبرام العهد بين يهوه وشعبه، وسيكون المكان قمة جبل سيناء، ينزل يهوه في سلسلة من الغمام ويصعد موسى ليسمع إلى الإله كصديق يكلم صديقه، لكن من غير أن ينظر إلى وجهه ويعمل موسى على نقل كلام الإله إلى الشعب.

فأجاب الشعب بصوت واحد وقالوا: جميع ما تكلم به الرب نعمل به"[3]

إن خلاصة العهد، هي كلمة الإله وهي الوعد الذي يجعل به إسرائيل شعبا له، وبالنظر بشيء من العمق في بنية العهد يفهم كبنية للخلاص، ومهما كانت التغيرات الأدبية التي ستلحق به فيما بعد والتي سيأخذها العهد كنموذج، فإن بنية العهد تشمل نقاطا أساسية ستا هي:

1 ـ تثبيت اسم الإله الذي أعلنه بنفسه

2 ـ مقدمة تاريخية توضح الأعمال الخيرة

3 ـ إعلان العهد وكذلك إعلان الوفاء به

4 ـ إعلان شروط العهد (الوصايا العشر)

---

[1] ـ سفر الحكمة الإصحاح 16 الفقرتان 20 و21.

[2] ـ سفر الخروج الإصحاح 19 الفقرتان 5 و6.

[3] ـ سفر الخروج الإصحاح 24 الفقرة 3

5 ـ إشهاد السماء والأرض على العهد

6 ـ وأخيرا البركات أو المصائب التي هي نتائج الوفاء بالعهد أو خيانته.

إن الوصايا العشر تفصح عن طبيعة علاقة العهد التي بين يهوه والشعب، إن الإنتماء إلى يهوه يكون بممارسة الوصايا العشر. لهذا ستصبح هذه الوصايا قانونا للعهد لما فيها من أوامر دينية، إجتماعية وسياسية. وستكون في فترات لاحقة الطريق الذي بواسطته ينقلب الشعب ويعود إلى ربه. إن الرجوع إلى ممارسة هذه الوصايا وحفظها سيكون السبيل إلى الحصول على الخلاص في فترات حرجة من تاريخ إسرائيل.[1]

القطيعة السريعة للعهد:

لقد دعي موسى إلى الجبل للمرة الثانية ليتلقى اللوحتين الحجريتين للشريعة، لذلك فإنه قد دخل في تأمل طويل في عظمة وعز يهوه لمدة أربعين يوما وأربعين ليلة، لكن هذه المدة بدت طويلة بالنسبة للشعب الذي تركه موسى عند سفح الجبل، هذا الشعب الذي كان في حاجة لرؤية ربه في الصورة التي يريد:

"ورأى الشعب أن موسى قد أبطأ في النزول من الجبل، فاجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم فاصنع لنا إلها، إله حسب تصورنا، لأن موسى الذي قادنا من مصر لا ندري ماذا حدث له"[2] فجعل[3] لهم عجلا من ذهب وقال لهم:"هذا إلهك ياإسرائيل الذي أخرجك من أرض مصر"[4]

إن الشعب يخل بواجبه نحو العهد، ويتخلى عن يهوه، إنه ثالث خطأ يرتكبه شعب إسرائيل في الصحراء، ولكن يهوه لم يأخذ ولو مرة قرارا ضد هذه المقاطعات المتكررة، وبالتالي فإن العهد أتاح فرصة لتجديدات متكررة حتى الإعلان عن العهد الجديد من طرف أرميا[5] .

---

[1]ـ د/محمد خليفة حسن أحمد: مرجع سابق ص 58.

[2]ـ سفر الخروج الإصحاح 20 الفقرة 6

[3]ـ ينفي القرآن الكريم صدور هذا العمل عن هارون النبي، ويذكر أن الذي أضل بني إسرائيل هو السامري، يراجع هذا بالتفصيل في سورة طه الآيات 83 – 97

[4]ـ سفر الخروج الإصحاح 32 الفقرة 4

[5]ـ BERNARD -SESBOUE: Les récits du salut page 92

وفي ظل هذه الظروف فإن موسى الوسيط سيصبح شفيعا لشعبه، لقد مارس قبل الآن وساطة من الأعلى إلى الأسفل، تكلم وعمل باسم الإله لتنفيذ مخطط الخلاص، لقد أنقذ قبائل إسرائيل وأخرجها من مصر، وقادها نحو العهد حسب إرادة يهوه، وهو الآن إلى جانب شعبه، يكون معه جسدا واحدا، طالبا العفو، مذكرا بالوفاء لوعد إبراهيم واسحاق ويعقوب، إنه يمارس وساطة من أسفل إلى أعلى، إنه يهدأ من غضب يهوه ليحصل على الإبقاء على العهد، العهد الذي يضمن به شعب إسرائيل الحماية والخلاص، ولكن لامتصاص غضب يهوه كان على موسى أن يجعل نفسه شاهدا على شعبه، ذلك أن موسى الوسيط يمثل الإله أمام الشعب من جهة، ويمثل الشعب أمام الإله من جهة ثانية:

"يا رب قد خطئ الشعب خطيئة عظيمة وصنعوا لهم إلها من ذهب، والآن إن غفرت خطيئتهم وإلا فامحني من كتابك الذي كتبته".[1]

لقد صار العهد قديما لأن الشعب خرقه، ولهذا فقد وجب تجديده، والتجديد هو السبيل الوحيد للإبقاء عليه حيا، ومجسدا، وتاريخ العهد بين يهوه وإسرائيل هو تاريخ لإختراقه وتجديده. ويبقى العهد بين الإله وشعبه وعدا بالسعادة والخلاص لأن البركة - التي هي جوهر العهد - تعبير عن الرحمة الإلهية بالشعب، هذه الرحمة التي تضمن له الخلاص في كل مرة. أما المصائب وهي ما يلقاه الشعب من التشريد والشتات على مر تاريخه فتبقى أداة لترويض هذا الشعب بعد ابتعاده عن وصايا يهوه وشريعته.

قطيعة أخرى للعهد:

بعد أن صفح يهوه عن شعبه (بوساطة موسى) نادى الرب موسى قائلا "ها أنا بات عهدا أمام جميع شعبك أصنع لهم معجزات لم ير مثلها في جميع العالم بين جميع الأمم فينظر كل الشعب الذين أنت فيهم فعل الرب، إن الذي أنا صانعه مخيف، احفظ ما أنا آمرك به اليوم، ها أنا طارد من بين يديك الأموريين والكنعانيين والحيثيين ..."[2]

---

[1]- سفر الخروج الإصحاح 32 الفقرة 31.

[2]- سفر الخروج الإصحاح 34/الفقرات 10، 11 و12

وبعد هذا أمر يهوه موسى أن يرسل جواسيس يتحسسون أرض كنعان، وتنفيذا لهذا الأمر، بعث موسى رجلا واحدا من كل سبط من أسباط إسرائيل، وبعد أن قاموا بالمهة التي كلفوا بها عادوا إلى الشعب وهم يحملون انطباعات حسنة على الأرض وما فيها من خيرات، وأخرى سيئة عن أهلها وشدة بأسهم، وكان لهذا الإنطباع الأخير أثره على الشعب. لقد أحدث خيبة في أوساطه، وحمله على التذمر على موسى وهارون، ككل مرة لا تسير فيها الأمور على حسب ما يريد:

"فرفع كل الجماعة أصواتهم وصرخوا وبكى الشعب في تلك الليلة، وتذمر على موسى وهارون جميع بني إسرائيل، وقال لهما كل الجماعة يا ليتنا متنا في أرض مصر، يا ليتنا متنا في هذه البرية، لماذا أتى الرب بنا إلى هذه الأرض حتى نسقط تحت السيف، وتصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة؟ أليس خير لنا أن نرجع إلى مصر؟".[1]

إن هذا الموقف من شعب إسرائيل نقض صارخ للعهد الذي قطعه مع يهوه، وجدد بوساطة موسى بعد أن خرق مرات عديدة. وكان نتيجة هذا الموقف أن أخبر الرب موسى بأنه سيضرب إسرائيل بالوباء ويقرضهم، ويجعل من موسى أمة أعظم وأكثر من بني إسرائيل، ولكن موسى طلب العفو والصفح عن الشعب، فصفح الرب عنه، معنى الصفح هذه المرة أن يبقى الرب على العهد بينه وبين شعبه، ولكنه سيعاقبه أيضا، يعاقب الشعب المتمرد باستمرار على أوامره ووصاياه، وعقوبته هي حرمانه من دخول الأرض التي وعد بها من قبل. فكل الشعب الذي أخرج من مصر، بعد أن خلصه يهوه من عبودية المصريين، لن يدخل أرض كنعان:

"إن جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي صنعتها في مصر وفي البرية وجربوني عشر مرات ولم يسمعوا لقولي، لن يدخلوا الأرض التي أقسمت عليها لآبائهم"[2]

حتى موسى وهارون لن يدخلا الأرض الموعود بها، فسيموت موسى ويدفن على مشارف هذه الأرض، لقد كان يراها ولا يدخلها.

أما الجماعة الإسرائيلية المتمردة على وصايا الرب، الخارقة لعهده الذي بموجبه يضمن لها الخلاص والنجاة، فإنها ستقضي فترة من الزمن في صحراء سيناء، وهي الفترة التي يطلق

---

[1]- سفر العدد الإصحاح 14 الفقرات من 1 إلى 3.

[2]- سفر العدد الإصحاح 14 الفقرتان 22 و23.

عليها القرآن الكريم اسم "التيه" والتي تميزت بإمتزاج الأبعاد الدينية والتاريخية والسياسية لتعطي للجماعة اليهودية شكلا جديدا في هيئة جماعة منظمة تنظيما دينيا إجتماعيا، كما تميزت بإزدياد قوة الشعور القومي عند أفرادها، فاستطاعوا تمييز أنفسهم كشعب أو جماعة تختلف عن الشعوب الأخرى، وهذا ما يؤهلهم للدخول في مرحلة أخرى من تاريخهم السياسي الديني، وهي مرحلة دخول أرض كنعان والإستقرار فيها.[1]

إكمال الوعد بالخلاص ودخول أرض كنعان:

لقد مات هارون في فترة التيه ودفن بجبل هور من جبال سيناء التي في البرية، أما موسى فأمره الرب أن يصعد إلى جبل نبو وينظر أرض الموعد دون أن يدخلها ففعل ومات ودفن هناك، وتولى يوشع بن نون قيادة بني إسرائيل بعد موسى، وكان يوشع أحد أصفياء موسى، ولقد اختاره قبل موته لقيادة بني إسرائيل.

إتجه يوشع ببني إسرائيل إلى الشمال شرقي الأردن، ثم أخذ يعد العدة لعبور الأردن ودخول فلسطين. وبعد أن تم له ولأتباعه هذا العبور كانت أولى المدن التي استولوا عليها مدينة أريحا التي قتلوا كل ما بها من إنسان أو حيوان" [2]

ويصف أحد المؤرخين دخول العبرانيين أرض كنعان فيقول: "كانت هزيمة العبرانيين للكنعانيين مثلا واضحا لإنقضاض جموع جياع على جماعة مستقرين آمنين، وقد قتل العبرانيون من الكنعانيين أكثر من استطاعوا قتلهم منهم، وسبوا من بقي من نسائهم، وجرت دماء القتلى أنهارا، وكان هذا القتل كما تقول نصوص الكتاب المقدس فريضة الشريعة التي أمر بها الرب موسى وزكاة للرّب، ولما استولوا على إحدى المدن قتلوا من أهلها اثني عشر ألفا وأحرقوا وصلبوا حاكمها، ولسنا نعرف في تاريخ الحروب مثل هذا الإسراف في القتل والإستمتاع به وقد كان موسى من رجال السياسة المتصفين بالصبر والأناة، أما يوشع فلم يكن إلا جنديا فظا، وقد حكم موسى حكما سليما لم تسفك فيه دماء، أما يوشع فقد أقام حكمه على قانون الطبيعة الذي يقول: إن

---

[1]- د/محمد خليفة حسن أحمد: مرجع سابق ص 59.

[2]- د/أحمد شلبي - اليهودية ص70

أكثر الناس قتلا هو الذي يبقى حيا، وبهذه الطريقة "الواقعية" التي لا أثر فيها للعواطف استولى اليهود على الأرض الموعودة".[1]

إن قراءة هذا النص وغيره من النصوص التي تصف وقائع دخول اليهود أرض فلسطين، وربطها بنصوص العهد القديم التي وردت في نفس الموضوع، تسمح لنا بالقول:"إن اليهود قد ربطوا بين التفكير الديني التعبدي والتفكير العسكري، حيث أن القتل وسفك دماء غير اليهود كانت قرابين يتقرب بها اليهود إلى يهوه، وعملية الربط هذه تعود أصولها الأولى إلى فكرة الإله المحارب المدافع عن شعبه لإنقاذه. فقد كان يهوه في نظر الإسرائليين أحد أولئك الألهة، حيث تصفه التوراة "بإله الجنود" أو "رب الجيوش" وغيرها من الصفات الحربية".[2]

وتحت قيادة يشوع بن نون أخذت الجماعة العبرية صفة الجماعة الغازية، حيث تبلورت الخدمة الدينية والخدمة العسكرية في عقلية وتفكير الإنسان العبري، وأصبحت من صفاته المميزة، وأصبحت العسكرية عقيدة لها أصولها الدينية.[3]

لكل ما تقدم فإن أصدق وصف لدخول العبرانيين أرض كنعان أنه غزو إمتزجت فيه العسكرية بالعقيدة، فالأرض المغزوة (أرض كنعان) وصفت بأنها أرض الميعاد، والغزو فسّر بأنه ضرورة لتحقيق الإرادة الإلهية التي تمثلت في الوعد المعطى للآباء الإسرائليين، وفسرت كل الأحداث السابقة ابتداء من الخروج من مصر وأحداث سيناء على أنها خطوات في طريق تحقيق الوعد الذي أعطاه الإله للشعب.

وهذه المرحلة من تاريخ بني إسرائيل هي مرحلة تحول كبير، حيث إزداد الشعور القومي عند الإسرائليين، وازداد تآلف الأسباط المكونة لشعب إسرائيل، وفي هذا الصدد يقول أحد الباحثين: "إن هذا الحادث كان عملية انتقال في تاريخ بني إسرائيل لأنه كون أمة من أشتات من العبيد".[4]

---

[1]- ول ديورانت: قصة الحضارة ترجمة محمد بدران - دار التأليف والترجمة والنشر - القاهرة 1964 - الجزء الثاني من المجلد الثالث ص322.

[2]- جاء في سفر التثنية:" الرب إلهكم السائر أمامكم هو يحارب عنكم حسب كل ما فعل معكم في مصر أمام أعينكم" الإصحاح 30

[3]- د/ محمد خليفة حسن أحمد: مرجع سابق ص 60.

[4]- د/أحمد شلبي - اليهودية ص 71.

وبدخول الإسرائليين أرض كنعان يكون وعد يهوه للشعب المختار قد أوشك على الكمال، فهو قد خلصه من العبودية والإضطهاد وأخرجه من أرض مصر، وخلصه مرة ثانية بضمان الطعام والشراب له وهو بصحراء سيناء وأدخله في آخر مراحل مخطط الخلاص عندما أنجز الوعد الذي قطعه لإبراهم والآباء الإسرائليين بإعطائهم أرض كنعان في انتظار اكتمال هذه المرحلة الأخيرة بقيام ملك بني إسرائيل عليها. ويبقى استمرار هذه الحالة من الخلاص والرخاء متعلقة بمدى تمسك شعب إسرائيل بوصايا يهوه وشريعته.

دخول بني إسرائيل فلسطين واستقرارهم فيها:

بالصورة التي ذكرناها آنفا، والتي هي محل اتفاق بين مجموعة كبيرة من الباحثين في تاريخ إسرائيل، تم لليهود اغتصاب فلسطين. ويمكن أن نقسم حياة بني إسرائيل بها إلى ثلاث مراحل هي:

1 ـ عهد القضاة

2 ـ عهد الملوك وقيام المملكة

3 ـ عهد انقسام المملكة وزوال الملك

وسنقتصر في هذا الفصل على معالجة المرحلة الأولى فقط، وما يتصل فيها بقضية الخلاص.

عهد القضاة:

لم يفتح العبرانيون من أرض الميعاد إلا منطقة التلول الداخلية، ولم يزيدوا عليها شيئا، أما مدن الساحل فقد استطاعت أن تصمد لهجوم العبرانيين، وظلت أسباط بني إسرائيل أجيالا عديدة شعبا مغمورا يعيش في منطقة التلال الخلفية مشغولا بمناوشات لا نهاية لها مع الفلسطنيين وغيرهم من القبائل الأخرى.

وقد حفظ لنا سفر القضاة نزاع بني إسرائيل مع أهالي الأرض الموعودة وما أصابهم من نكبات في تلك الفترة. وكان حكام اليهود في أرض كنعان قضاة من الكهنة، ينتخبهم كبار االشعب،

وكان من بين هؤلاء القضاة بعض النساء كـ دبورة زوجة لفيدوت التي ورد ذكر اسمها وحكمها في سفر القضاة.[1]

وكانت الأرض المفتوحة مقسمة بين الأسباط، وظلت الأسباط الإثني عشر يستقل كل منها عن الأسباط الأخرى استقلالا واسعا أحيانا، وضيقا أحيانا أخرى، وكان نظام الحكم عند الإسرائليين لا يقوم على أساس الدولة بل على أساس الحكم الأبوي في الأسرة، فكان شيوخ العشائر يجتمعون في مجلس من الكبراء هو الحكم الفصل في شؤون القبيلة، وهو الذي يتعاون مع زعماء القبائل الأخرى إذا ألجأتهم إلى هذا التعاون الظروف القاهرة التي لا مفر من التعاون فيها[2]. وكان إذا فشل التقاضي أمام هؤلاء لجأ المتقاضون إلى القاضي الذي كان يمثل الرئيس في الجماعات اليهودية.

وقد استمر عهد القضاة حوالي أربعة قرون بناء على حساب سفر القضاة، ولكن أحد المحققين يقرر أن عهد القضاة لا يزيد عن قرن واحد، ذلك ان موسى خرج ببني إسرائيل حوالي سنة 1210 ق.م وتزعمهم يوشع حوالي 80 سنة أي حتى سنة 1130ق.م، وهي السنة التي مات فيها يوشع، وبدأ بذلك عهد القضاة الذي استمر حتى سنة 1030 ق.م.[3]

وفي عهد القضاة وضعت أسس الحياة الجديدة لليهود، كما وضعت أسس الفكر اليهودي، فقد بدأت حياة اليهود تتغير رويدا رويدا، فبدأوا ينتقلون من حياة البدو إلى حياة الإستقرار، ومن حياة الخيام إلى القرى البسيطة، كما بدأوا يعرفون الزراعة بجانب الرعي الذي كان عملهم، ومصدر ثرائهم الوحيد، وتعلم العبرانيون من الكنعانيين ومن الشعوب المجاورة، التي اتصلوا بها عن طريق التجارة، بعض التقدم في الصناعة، ومن جهة أخرى ظهر في هذا العهد أيضا، ميل الشعب إلى سلوك مسالك الضلالة والإثم والانحطاط الخلقي، وعبادة الآلهة الأجنبية، فهو فترة تاريخية مشحنة بالفساد والفوضى واختلال النظام والتحزبات القبلية، وهذا ما كان سببا في محن تعرض لها شعب إسرائيل بتخلي يهوه عن خلاصه بسبب بعده عن شريعته، وعدم حفظه لوصاياه، فكانت الشعوب المجاورة توقع بشعب إسرائيل من حين لآخر ضربات موجعة قاسية، وفي كل مرة يستدعي الشعب زعيما أي قاضيا يحاول استعادة الشريعة وقهر الأعداء والرجوع بالشعب إلى حياة صالحة تحفظ

---

[1]- سفر القضاة الإصحاح 4 الفقرة 4.

[2]- ول ديورانت - قصة الحضارة الجزء 2 المجلد 3 - ص 2293

[3]- محمد عزة دورزة تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم. مكتبة الفلاح الكويت - الطبعة الأولى - دون تاريخ - ص140

فيها الوصايا والشريعة من قبل الشعب ويتولى يهوه أمر الخلاص، ولهذا يعتبر عهد القضاة دورات متلاحقة من السقوط والنهوض والإثم ثم التوبة ...[1]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]- د/مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم - إصدار جامعة الدول العربية - معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة سنة 1968 ص 65

الفصل الثاني

الخلاص والمسيح المخلص

في اليهودية

من قيام المملكة إلى العصر الحديث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:

الملكية في إسرائيل وظهور فكرة المسيحانية:

شاؤول، داود وسليمان:

لم يكن النظام الإسرائيلي في عهد القضاة والقائم على أساس العشيرة وزعامة القاضي، ليساير التطورات الجديدة التي حدثت في تفكير الإنسان الإسرائيلي وفي حياته. ولم يكن ليقوى على مواجهة الأخطار المحدقة بشعب إسرائيل من قبل الشعوب والأمم المجاورة لها بأرض كنعان، وتطلب هذا البحث عن نظام جديد يساير تلك التطورات من جهة، ويرد عن شعب إسرائيل خطر تلك الشعوب التي تهدد كيانه ووجوده من جهة ثانية، وكان النظام الجديد هو نظام الملك، وقد جاء نص في سفر صموئيل الأول يصور ما ذكرناه:

"لما شاخ صموئيل جعل ابنيه قضاة لبني إسرائيل، ولكنهما لم يسلكا طريقه، ومالا وراء المكسب وأخذا الرشوة وعوّجا القضاء، فاجتمع شيوخ بني إسرائيل وجاؤوا إلى صموئيل وقالوا له: أنت قد شخت وابناك لم يسيرا في طريقك فالآن اجعل لنا ملكا كسائر الشعوب[1]، فصلى صموئيل إلى الرب، فقال له الرب: اسمع لصوتهم إنهم لم يرفضوك أنت ولكنهم رفضوني أنا، إنهم تركوني وعبدوا آلهة أخرى، فاسمع لصوتهم ولكن اشهد عليهم.

قال صموئيل لبني إسرائيل: إن الملك الذي سيملك عليكم سيأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه، ويأخذ بناتكم عطارات وطباخات وخبازات، ويأخذ حقولكم وكرومكم وزيتونكم ويأخذ جواريكم وشبانكم الحسان وحميركم... فأبى الشعب أن يسمع لصموئيل وقال: بل يكون علينا ملك مثل سائر الشعوب يخرج ويحارب حروبنا".[2]

وإن قراءة سريعة لهذا النص تقودنا إلى تبين الأسباب التي دعت الشعب الإسرائيلي إلى البحث عن نظام جديد، نظام الملكية، يحل محل النظام القديم الذي كان محل نقد ورفض من طرف جميع الشعب والتي نجملها فيما يلي:

1 ـ إنهيار عهد القضاة وعدم استجابته لمطالب الحياة الجديدة.

---

[1]- يشير القرآن الكريم إلى هذه الحادثة في قوله تعالى:"ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله" الآية 246 سورة البقرة

[2]- سفر صموئيل الأول الإصحاح الثامن الفقرات من 5 إلى 21

2 ـ الفساد الأخلاقي للقضاة في آخر عهدهم

3 ـ الحاجة الملحة إلى من يرد الأخطار المحدقة بشعب إسرائيل من قبل الشعوب المجاورة. وكان بنو إسرائيل يرون في نظام الملك وفي الملك نفسه خلاصا لهم من أخطار الشعوب المجاورة التي كانوا في حرب مستمرة معها، ولهذا يعلق الباحث أدولف لودز على هذا بقوله:"فالمهة الكبيرة للملك كانت القتال ضد الفلسطنيين".[1]

4 ـ ومن جملة الأسباب ميل الإسرائليين إلى تقليد الشعوب المجاورة في أمور كثيرة، والتقليد صفة اتصف بها اليهود عبر كل مراحل تاريخهم.

وقد اختار لهم النبي صموئيل شاؤول[2] ليكون أول ملك عليهم، وكان مسح صموئيل لرأس شاؤول بالزيت أو الدهن علامة على تقليده الملك وحكم بني إسرائيل:

"فأخذ صموئيل قارورة من الدهن وصب على رأسه وقبله وقال بأن الرب قد مسحك قائدا على ميراثه"[3].

وهكذا تم التغيير، وانتقل الإسرائليون من نظام القضاة إلى نظام الملك، وقد أظهر شاؤول أول ملوكهم شجاعة كبيرة في قيادتهم خلال معاركهم التي خاضوها ضد أهالي فلسطين أنذاك[4]، ولكن شاؤول ـ كما يذكر العهد القديم ـ لم يستقم بعد ذلك في حكمه لبني إسرائيل ولم يعمل بأمر الرب، ولهذا أوحى الرب إلى النبي صموئيل قائلا "إني ندمت[5] على إقامتي شاؤول ملكا لأنه مال عن اتباعي ولم يقم كلامي".[6]

وقد أمر الرب صموئيل أن يذهب إلى بيت يسّى (أبو داود) ببيت لحم لأنه سيختار من أولاده ملكا، وقد فعل النبي صموئيل ما أمر به الرب، فعاين كل أبناء يسّى ولم يختر الرب منهم

---

[1] ـ ADOLPH-LODS: ISRAËL des origines jusqu'au milieu de 8eme siecle Editions ALBIN MICHEL page 413 PARIS 1949

[2] ـ جاء ذكره في القرآن الكريم باسم طالوت، قال تعالى:"وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا" 247 من سورة البقرة.

[3] ـ سفر صموئيل الأول الإصحاح العاشر الفقرة 1.

[4] ـ مرجع سابق ص416 .ADOLPH-LODS

[5] ـ هذا ما يقوله اليهود عن الله، وهو وصف لا يليق في حقه عز وجل المتصف بكل صفات الكمال.

[6] ـ سفر صموئيل الأول الإصحاح 15 الفقرة 11

أحدا، وعندما عاين داود الذي كان غائبا يرعى الغنم قال له الرب "قم فامسحه لأن هذا هو، فأخذ صموئيل الدهن ومسحه من بين إخوته"[1].

وما نلاحظه هنا على بداية ظهور نظام الملك في إسرائيل، أن تعيين الملك المختار من قبل الرب يقترن بطقس المسح بالدهن، وهي البداية الساذجة والبسيطة التي ظهرت بها فكرة المسيحانية.

والمسيحانية أو المشيحانية نسبة إلى مسيح أومشيخ،وهومن مسح بالزيت،والمسيح كلمة أطلقت أيضا على من اختاره الله للقيام بمهمة.وتطلق في العهد الجديد على يسوع الذي مسحه الرّب أما المسيحانية فهي كل ما تعلق بهذا المشيح من أفكار وتصورات ومواصفات،والتي خضعت لتطورات كبيرة جدّا عبر مراحل التفكير الديني الإسرائيلي[2]

لم يكن شاؤول ليرضى بأن ينزع الملك منه، ولكن حدث وأن إلتقى بنو إسرائيل مع الفلسطنيين في إحدى المعارك. وقد دعا قائد الفلسطنيين جليات[3] بني إسرائيل إلى المبارزة، وتغلب على كل من خرج منهم فلم يجرؤ منهم أحد على مبارزته بعد ذلك لما رأوه منه من شجاعة وشدة بأس، وخرج داود لمبارزته وتغلب عليه لأن جليات لم يتأهب لمبارزته واحتقره[4]. كان هذا الحدث أول مظاهر الخلاص الذي أظهره الرب على أيدي داود. وقد رأى بنو إسرائيل صنيع داود هذا فعظم في أعينهم، فأثار هذا حقد شاؤول عليه حتى عزم على قتله لئلا يزاحمه على الملك. ولهذا أخذ يطارده مطاردة شديدة حتى لجأ داود إلى الفلسطنيين مرتين هاربا من شاؤول، وقد انتهز الفلسطنيون فرصة هذا الخلاف بين شاؤول وداود، فهاجموا بني إسرائيل وأوقعوا بهم الهزائم وسقط شاؤول قتيلا في إحدى هذه المعارك وأخذت دروعه ودق جسمه بالمسامير على أسوار بيت تان.

---

[1]- سفر صموئيل الأول الإصحاح 16 الفقرتان 12 و13

[2]-يراجع هذا بالتفصيل في معجم الإيمان المسيحي:تأليف صبحي حموى اليسوعي منشورات دار المشرق بيروت 1994 مادة: مسح

[3]- ويسميه القرآن جالوت.

[4]- يذكر القرآن الكريم هذه الحادثة في قوله سبحانه وتعالى:"قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله مع الصابرين، ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وءاتاه الله الملك والحكمة" البقرة الأيات 249،250،251.

بعد موت شاؤول قام صراع بين داود وأشبوشت بن شاؤول بتأييد من أبنير قائد جيوش شاؤول، وقد تغلب عليهما داود فاستقر له الملك، فأصبح الملك الثاني لبني إسرائيل، وأقبل جميع أسباط إسرائيل إلى داود في حبرون وأعلنوا بأنه خلاصهم من كل ما يتهددهم من أخطار الشعوب والأمم المجاورة وأن الرب هو الذي أمره برعاية شعب إسرائيل وأن يكون قائدا له، وبعد ذلك قطع الملك داود مع شيوخ قبائل بني إسرائيل عهدا ثم مسحوه ملكا على إسرائيل.[1]

وكقائد لبني إسرائيل ومخلص لهم، فإن داود الملك استولى على أهم مدن فلسطين وهي أورشليم ومعناها محلة السلام أو مدينة السلام واتخذها عاصمة له، ونقل تابوت العهد إليها، وأعد بها مساحة منبسطة فسيحة ليشيد عليها الهيكل المقدس، وقد كسب داود أيضا، بسبب انتصاره الحاسم على فلسطين صداقة صور كما احتل إمارتين أراميتين هما دمشق وزوباح، الأمر الذي اكسبه صداقة حماه[2].

إن ما حققه داود من توطيد لأركان الدولة الإسرائيلية والتي أصبحت في عهده امبراطورية، كان خلاصا لبني إسرائيل على حساب الدول المجاورة، حيث أشرقت فترة الرخاء الوحيدة التي قدر لشعب إسرائيل أن يعرفها على مدى الدهر كله.[3]

ومن ناحية أخرى يعتبر الباحثون في مجال الفكر الإسرائيلي مملكة داود التحقيق النهائي لعقيدة العهد بين الإله والشعب، وهو الوعد المعطى للآباء الإسرائليين بالأرض أولا ثم بالخلاص ثانيا، وفي عهد الملك داود يكتمل الوعد بالأرض والخلاص معا، ويصبح داود نموذج الملك ودولته نموذجا للمملكة أو الدولة في تاريخهم[4].

---

[1]- سفر صموئيل الثاني الإصحاح 52 الفقرات من 1 إلى 4.

[2]- أرنولد توينبي - تاريخ البشرية، نقله إلى العربية د/نقولا زياده، نشر دار الأهلية للنشر والتوزيع - بيروت 1985 الجزء I ص 178

[3]- د/أحمد شلبي - اليهودية ص75

[4]- د/حسن ظاظا - الفكر الديني الإسرائيلي تطوره ومذاهبه إصدار قسم البحوث والدراسات الفلسطينية القاهرة 1975 ص 62.

• ومثال على ذلك أن اليهود اليوم يؤمنون أن دولتهم يجب أن تمتد إلى الحدود التي امتدت إليها مملكة داود، كما أن علمهم يحمل نجمة داود السداسية.

المملكة في عهد سليمان:

بعد موت داود انتقل الملك إلى إبنه سليمان[1] الذي بدأ حكمه بقتل[2] أخيه الأكبر أو دنيا، وقتل يؤاب رئيس جيش أبيه وعزل أبياتار الكاهن.[3]

وفي عهده قام بتقسيم البلاد إلى اثني عشرة قسما إداريا تخضع كلها لحكمه وتعمد أن تكون حدودها متفقة مع حدود منازل الأسباط الإثني عشر، وكان هدفه من وراء هذا إضعاف النزعة الإنفصالية بينهم وأن يؤلف منهم شعبا واحدا يقدر على الصمود أمام هجمات الأعداء.[4]

ثم أقدم سليمان على عمل آخر وهو بناء الهيكل الذي يعرف في التاريخ باسمه، فقد أرسل سليمان إلى حيرام ملك صور مخاطبا إياه:"هاأنذا قد نويت أن أبني بيتا لإسم الرب إلهي، كما كلم داود أبي قائلا إن ابنك الذي أقيمه ملكا على عرشك هو يبني بيتا لإسمي".[5]

ومما يؤخذ من سفر الملوك أن سليمان استعان بحيرام ملك صور على بناء الهيكل فكان يبعث إليه بخشب الأرز والسرو وبالخدم أي اليد العاملة المؤهلة، وفي مقابل ذلك كان سليمان يبعث إلى حيرام بالحنطة وزيت الزيتون كل سنة[6]

ويذكر سفر الملوك الأول أن بناء الهيكل تم في السنة الرابعة لملك سليمان[7].

ويسجل نفس السفر السابق طول وعرض وارتفاع الهيكل وكيفية بنائه والتركيب الداخلي له، ليذكر بعد ذلك أن سليمان نقل تابوت العهد إلى الهيكل بعد أن كان في خيمة نصبها داود لإيواء تابوت العهد بصهيون بحضور شيوخ إسرائيل ورؤساء الأسباط.

كان بناء الهيكل بأورشليم وجها آخر للخلاص بالنسبة لشعب إسرائيل، إن الشعب الذي كان مضطهدا بمصر، أصبح اليوم حرا، قويا يعيش على الأرض التي وعد بها الرب أباءه، وهاهو بنى بيت لإلهه، ليعبده فيه ويتوجه إليه بالشكر على ما صنعه له.

---

[1]- يشير القرآن الكريم إلى هذا في قوله تعالى:"وورث سليمان داود" النمل 16

[2]- هذا لايليق بنبي من أنبياء الله، وهو وصف ناتج عن تصور اليهود لداود وسليمان كملكين فقط وهو بعيد عن تصور المسلمين لهما كنبيين أولا وكملكين ثانيا.

[3]- سفر الملوك الأول الإصحاح 2 الفقرات من 24 إلى 27.

[4]- د/أحمد شلبي - اليهودية ص 80

[5]- سفر الملوك الأول الإصحاح 19/5

[6]- سفر الملوك الأول الإصحاح 19/5-32

[7]- سفر الملوك الأول الإصحاح 6/الفقرة1

وكان لما أنهى سليمان بناء بيت الرب وبناء بيت الملك وكل ما أحب أن يعمله، أن تراءى له الرب ثانية وخاطبه بأنه قد سمع صلاته وتضرعه، وبأنه قد قدس البيت الذي بناه لأجله إلى الأبد ثم قال له:

"وأنت إن سرت بكل ما أمرتك به وحفظت فرائضي وأحكامي أثبت عرش ملكك على إسرائيل للأبد كما كلمت داود أباك قائلا لا ينقطع لك رجل عن عرش إسرائيل وإن ارتددتم ارتدادا عن السير ورائي أنتم وبنوكم ولم تحفظوا وصاياي وفرائضي التي جعلتها نصب عيونكم وذهبتم وعبدتم آلهة أخرى وسجدتم لها فإني أقرض إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيته إياها والبيت الذي قدسته لإسمي أنبذه من حضرتي فيكون إسرائيل حديثا وسخرية بين الشعوب بأسرها، وهذا البيت يكون خرابا فكل ما مر به يندهل ويصفر ويقول لماذا فعل الرب هكذا بهذه الأرض وهذا البيت؟ فيجاب: لأنهم تركوا الرب إلههم الذي أخرج أباءهم من أرض مصر وتمسكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها لذلك أنزل بهم الرب كل هذا البلاء"[1].

لاشك أننا أمام نص يكون قد كتب بعد خراب إسرائيل ويهوذا ودمار الهيكل، هذا ما يقودنا إليه تحليل هذا النص على ضوء قراءة الأحداث التاريخية لإسرائيل، إن صاحب النص يريد أن يبرز أن حفظ الفرائض والوصايا الإلهية هي ضمانات لإستمرار العهد المبرم بين يهوه وشعب إسرائيل بالخلاص والحماية، وأن ترك الفرائض والوصايا وعبادة آلهة أخرى هي أسباب الدمار الذي يلحق بشعب إسرائيل في كل مرة يتخلى فيها يهوه عن خلاصه، ويظهر من خلال هذا النص وغيره أن شخصية داود أصبحت تحلق فوق إسرائيل. فأصبحت تقوى وأمانة هذا أو ذاك من خلفائه تقاس بأمانته وتقواه للرب.

وهكذا نجد في سفر الملوك: "وأحب سليمان الرب سائرا على سنن أبيه"[2]ولكن هذا السير على سنن داود لم يكن إلى آخر أيام سليمان كما يروي العهد القديم، فيروي سفر الملوك الأول أن سليمان أحب نساء غريبات حتى أنه صاهر فرعون مصر (شيشنق) حيث تزوج أخته وأتى بها إلى أورشليم، وأن هؤلاء النساء استمالت قلبه إلى إتباع آلهة أخرى[3]، فلم يكن قلبه مخلصا للرب إلهه كما كان قلب داود أبيه، وهذا كان سببا في غضب الرب عليه:

---

[1]- سفر الملوك الأول الإصحاح 1/9 ـ 9

[2]- سفر الملوك الأول الإصحاح 3 الفقرة 3

[3]- كما سبق وأن ذكرنا فإن هذا الوصف ناتج عن تصور اليهود لسليمان كملك فقط، وهو لا يليق بنبي وبعصمة أنبياء الله. كما نعلم ذلك من القرآن الكريم

"بما أن أمرك هذا، ،وأنت لم تحفظ عهدي وفرائضي التي أمرتك بها فسأنتزع الملك وأسلمه إلى عبدك، إلا أني لا أفعل ذلك في أيامك نظرا لداود أبيك بل من ابنك انتزعه ولا أنتزع الملك كله ولكن أعطيه سبطا واحدا نظرا لداود عبدي ونظرا لأورشليم التي اخترتها".[1]

ولقد اجتمعت عدة أسباب لتضعف ملك سليمان منها ثورة هدد الأبرمي الذي فر إلى مصر من قبل وعاد بعد موت داود ثم ثورة رزون بن إلياداع الذي فر إلى دمشق وصار خصما لإسرائيل، وأخيرا ثورة يربعام الذي انشق عن أبيه سليمان في حياته، والذي أراد سليمان قتله فقام وهرب إلى مصر إلى شيشنق ملكها، ومكث هناك إلى وفاة سليمان أبيه.

ومما يؤخذ هنا أن العهد القديم سجل أن الرب هو الذي كان يثير هؤلاء الخصوم ضد سليمان لإضعاف ملكه"[2]

إن هذه الأحداث التي جرت في آخر أيام سليمان هي وكما يروي العهد القديم ـ نتيجة تخليه عن فرائض ووصايا الرب وأتباعه لميول زوجاته، وأن هذا سيؤدي إلى تخلي الرب عن خلاص شعبه ـ وستكون أول مظاهر تخلي يهوه عن خلاص شعب إسرائيل. مرارة الإنقسام الذي سيؤدي إلى زوال ملك اليهود نهائيا بعدما كانوا ينعمون بالإستقرار والرخاء.

عهد الإنقسام وزوال ملك بني إسرائيل:

دام ملك سليمان على إسرائيل أربعين سنة، وبعد وفاته حوالي سنة 935 ق.م، نصب رحبعام نفسه ملكا على دولة اليهود وبايعه سبطا يهوذا وبنيامين في أورشليم على ذلك، ثم اتجه إلى الشمال لأخذ البيعة من باقي الأسباط، فرفض شيوخ الأسباط في الشمال أن يبايعوه، وبايعوا يربعام ملكا، وأراد رحبعام أن يحارب أخاه، ولكن النبي شمعيا نصحه بالعدول عن الحرب، وهكذا انقسمت المملكة إلى مملكتين جنوبية اسمها يهوذا وعاصمتها أورشليم، وشمالية اسمها إسرائيل وعاصمتها شكيم[3]. وكان هذا أول مظهر من مظاهر تخلي الرب عن حماية شعب إسرائيل وخلاصه بسبب بعده عن أحكامه وعدم حفظه لوصاياه.

كانت مملكة إسرائيل تمثل أغلبية الأسباط وكانت أوسع رقعة من مملكة يهوذا، ولكن مملكة إسرائيل كانت مضطربة كثيرا، في حين كانت مملكة يهوذا أكثر استقرارا وهدوءا،

---

[1]- سفر الملوك الأول الإصحاح 11 الفقرات 11، 12، 13

[2]- سفر الملوك الأول الإصحاح 11 الفقرات 11 إلى 24

[3]- هي نابلس اليوم.

ونتيجة هذا تعاقب على عرش مملكة إسرائيل ملوك من أسر متعددة وتغيرت عاصمتها مع الإنقلابات أكثر من مرة، أما يهوذا فقد ظل الملك فيها في سلسلة متصلة من ذرية سليمان وظلت عاصمتها أورشليم.[1]

بقيت مملكة إسرائيل نحو مائتين وخمسين سنة، وكان أول ملوكها يربعام الذي خشي أن يرجع رعاياه إلى طاعة رحبعام ملك يهوذا إذا صعدوا إلى أورشليم في الأعياد ليعبدوا يهوه في الهيكل، فأقام عبادة كاذبة في مملكته وصنع عجلين من ذهب للشعب عبدوهما باسم إله إسرائيل وحدد أعيادا وعين كهنة. وبذلك أصبحت ديانة مملكة إسرائيل ديانة وثنية، وظلت هذه الديانة مدة حكمه وحكم خلفائه.

وأما مملكة يهوذا فبقيت مائة وثلاثين سنة بعد سقوط مملكة إسرائيل ودخلت الوثنية هذه المملكة أيضا.[2]

وبعد سقوط مملكة داود نهائيا أصبحت فكرة غيبية لإستحالة تحقيقها تاريخيا، وارتبطت فكرة إعادة هذه المملكة الغيبية ـ مملكة الله ـ بفكرة المسيح المخلص وهي أيضا عقيدة غيبية تقوم على أساس أن خلاص شعب إسرائيل سيتم على يد مسيح منتظر من نسل داود.[3]

---

[1] ـ د/ أحمد شلبي اليهودية ص83.

[2] ـ د/ مراد كامل مرجع سابق ص11.

[3] ـ د/ حسن ظاظا ـ الفكر الديني الإسرائيلي ص62.

المبحث الثاني:

أنبياء بني إسرائيل بين الإنذار والتبشيروالخلاص:

نظرا للفساد الديني والسياسي والإجتماعي، ظهر في المملكتين، إسرائيل ويهوذا، عدد كبير من الأنبياء، وكان أعظم أنبياء إسرائيل النبي إيليا - أو إيليا هو - وكان أعظم أنبياء مملكة يهوذا النبي أشعيا.

لقد كان ظهور هؤلاء الأنبياء في بني إسرائيل ضرورة تاريخية، فقد أدى انقسام مملكة داود وسليمان إلى ضعف أصاب ملوك وحكام بني إسرائيل في هذه العصور، بل وأدى في بعض الأحيان إلى غياب الحكم، ومن هنا كان ظهور الأنبياء المستمر والمتكرر لتغطية هذا العجز السياسي الواضح، واطلعت النبوة بدور الحكم فأصبح الأنبياء مسؤولين مسؤولية مباشرة عن إدارة شؤون جماعة بني إسرائيل في أوقات السلم والحرب وأضيفت إلى أعبائهم الدينية أعباء سياسية اقتضاها هذا الوضع الخاص للتاريخ الإسرائيلي من بعد عصر مملكة داود وسليمان[1] كما وفق الأنبياء في مقاومة سياسات ملوك وحكام بني إسرائيل فوقفوا ضد الولاء السياسي لبلاد النهرين أو لمصر أو للفرس وطالبوا الولاء لدين الإله الواحد[2].

وبالإضافة إلى العاملين السياسي والديني هناك عامل ثالث لا يقل أهمية ويتعلق بالتغيرات الإجتماعية التي بدأت في الظهور مع قيام المملكة وما أدت إليه من تناقضات إجتماعية وإقتصادية على إثر التغيير الذي حدث في البنية الأساسية للمجتمع الإسرائيلي القديم، فقد كان للنقلة من الحياة البدوية القبلية إلى حياة الدولة والمدينة تأثيرها المباشر الذي يبدو في الشعور بالتحرر من سلطة الإله الإسرائيلي (يهوه) السياسية، ومعنى هذا أن الرابطة الدينية القديمة التي ربطت بين الإله والشعب في عهد أبدي بالحماية والرعاية والخلاص ... هذه الرابطة العصبية بدأت تفقد قوتها مع قيام الدولة وازدياد الشعور بأنها هي التي تتولى حماية وخلاص الشعب بدلا من الإله أو نيابة عنه[3]

---

[1]- د/ محمد خليفة حسن أحمد - تاريخ النبوة الإسرائيلية دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة 1985 ص 12

[2]- المرجع السابق ص 13

[3]- المرجع السابق ص 14

وقد شعر الأنبياء بهذا الإنفصال على المستوى الاجتماعي والاقتصادي الذي أدى إلى إنتشار الأمراض الإجتماعية والفساد بكل مظاهره و أبعاده، ومن ثم كانت دعوتهم إلى إصلاح هذه الأوضاع الإجتماعية المتدهورة.

إذا فدور الأنبياء في تلك الفترة تعددت أبعاده ومجالاته، وهو وضع خاص لم تشهد له النبوة الإسرائيلية مثلا من قبل، ويعلق الأستاذ مراد كامل عن دور الأنبياء في تلك الفترة فيقول:

"وكان لمهمة الأنبياء في هذا العصر وضع خاص، فهم رجال سياسة وهم معلمون للدين والأدب ...

وكان أساس مهمتهم الدفاع عن ديانة يهوه ضد الإتجاه القوي إلى عبادة الأوثان، كما كانت مهمتهم الدفاع عن الشريعة وتفسيرها والتدليل على مصير الظلم والطمع والخلاعة وسوء المعاملة، وقد نادى الأنبياء بكل هذا في شجاعة لا تعرف الخوف مجاهدين في سبيل الله لمقاومة رذائل الملوك والشعب"[1].

الأنبياء ينذرون بخراب المملكتين:

لقد كان من مهمة الأنبياء ـ كما سبق وأن ذكرنا ـ محاربة الفساد في كل أبعاده السياسية والدينية والإجتماعية. ورغم كثرة الأنبياء وتلاحقهم وكثافة جهودهم، إلا أن ذلك لم يحل دون السقوط الديني والإجتماعي ثم السياسي والذي كثيرا ما حذر منه الأنبياء. لقد كان الأنبياء يوبخون الشعب على ضلاله ويتهددونه بعقاب يهوه الشديد ويتنبأون بأن القوى السياسية والعسكرية الأجنبية ستكون أدوات إلهية لتوقيع العقاب الإلهي على جماعة بني إسرائيل بسبب بعدها عن عبادة يهوه، ونكثها العهد معه.[2]

ونتيجة هذا كان أن سقطت مملكة إسرائيل في الشمال سنة 721 ق.م حيث محا الأشوريون في عهد الملك سرجون الثاني ملك مملكة إسرائيل من الوجود، كما تنبأ أنبياء آخرون بخراب مملكة الجنوب يهوذا ودمار عاصمتها أورشليم، فالنبي حزقيال في المرحلة الأولى من عمله النبوي لا ينفك يبشر بخراب أورشليم وهدم الهيكل ونفي السكان. ذلك أن

---

[1]ـ د/ مراد كامل : مرجع سابق ص 71

[2]ـ د/ محمد خليفة حسن أحمد: تاريخ النبوة الإسرائيلية ص 13.

خطايا الشعب قد عظمت والكيل قد طفح، فمن الآن فصاعدا سيتخلى الرب عن خلاص شعبه، بل إنه سيستخدم الشعوب الوثنية لينجز عقوبة لتطهيره.

ومن الأنبياء الذين تنبأوا بدمار مملكة يهوذا النبي أشعيا، الذي نقرأ في السفر المنسوب إليه ما يلي:

"إستمعي أيتها السماوات وانصتي أيتها الأرض، فإن الرب قد تكلم، إني ربيت بنين وكبرتهم لكنهم تمردوا علي، عرف الثور مالكه والحمار معلف صاحبه، لكن إسرائيل لم يعرف وشعبي لم يفهم. ويل للأمة الخاطئة. الشعب المثقل بالآثام، ذرية أشرار وبنين فاسدين إنهم تركوا الرب واستهانوا بقدوس إسرائيل (الرب) وارتدوا على أعقابهم، علام تضربون أيضا إذا ازددتم تمردا؟

الرأس كله مريض والقلب كله سقيم، من أخمص القدم إلى الرأس لا صحة فيه، بل جروح ورضوض وقروح مفتوحة لم تعالج ولم تعصب، ولم تلين بدهن، أرضكم خراب ومدنكم محرقة بالنار وأرضكم يأكلها الغرباء أمامكم ... فبقيت بنت صهيون (أورشليم) ككوخ في كرم"[1]

سقوط يهوذا وتدمير أورشليم

بعد ان تم سقوط مملكة إسرائيل على يد سرجون الثاني ملك أشور، الذي اعتقل هو شع بن أيله آخر ملوكها، ونفاه مع عدد من رجاله إلى مملكته وأقام على إسرائيل واليا يحكم باسمه، زحف فرعون مصر سنة 608 ق.م على مملكة إسرائيل التي كانت قد سقطت تحت سلطة الأشوريين، وقد ثار لذلك ملك بابل نبوخذ نصر الذي آل إليه السلطان على آشور، فزحف على فلسطين فهزم فرعون مصر واستعاد مملكة إسرائيل ثم احتل مملكة يهوذا وقتل صدقيا بن بواقيم آخر ملوكها ونهب أورشليم ودمرها ودمر معبد سليمان، ويعرف هذا بالتدمير الأول للمدينة والمعبد[2]. وكان ذلك سنة 586 أو 587 ق.م على اختلاف الروايات.

---

[1]- سفر أشعيا الإصحاح الأول: 20 - 28.

[2]- سفر الملوك الثاني الإصحاح 24/ 10 - 12.

السبي البابلي والأمل المسيحاني:

عقب التدمير الذي ألحقه نبوخذنصر بأورشليم ومعبد سليمان كان جلاء أهل هذه المدينة إلى بابل كأسرى، هذا الحدث الذي عرف في تاريخ إسرائيل بالسبي البابلي، وكما يروي سفر الملوك الثاني فإن نبوخذنصر جلا الضباط ورجال الحرب، كما جلا جميع الحدادين، و جلا ملك يهوذا وأمه وأزواجه، وكل العظماء، ولم يبق إلا على الفقراء[1].

ومن الملاحظ هنا، أن نبوخذنصر تفطن إلى الروح القومية عند بني إسرائيل ورأى أن إضعافهم يكون بإضعاف هذه الروح، ولذلك عمد إلى سبي وجلاء أصحاب الرأي والأمر من اليهود حتى يحقق هذه النتيجة.

ويعلق الأستاذ شارل جنيبر على هذا التوجه من الملك البابلي نبوخذنصر فيقول:"وفي تنفيذه خطة السبي رأى ملك بابل أن يهتم بالعائلات المعروفة التي كان لها قدر من السطوة، أما أهل الريف وعامة الشعب فقد ظلوا يمارسون دين إسرائيل القديم"[2]

حياة المنفيين اليهود ببابل:

رغم يقيننا بأن كل ما يعيشه الإنسان من ظروف مختلفة يمثل شبكة لا يمكن عزل خيوطها عن بعضها البعض، ورغم أن كل ما يمر بالإنسان كفرد أو كجماعة يترك بصماته بصورة مباشرة أو غير مباشرة في حياته الخاصة والعامة. فإننا سنعمد هنا إلى التطلع إلى معرفة حياة المنفيين في جانب واحد فقط رغم صعوبة هذا الطرح، إذ سنقتصر على معرفة الجانب الروحي من حياة اليهود المنفيين ببابل أثناء فترة السبي لا لشيء إلا لأن معرفة هذا الجانب يساهم في إضاءة جوانب من فكرة الخلاص التي بدأت تتجذر في هذه المرحلة بالذات من مراحل تاريخ إسرائيل.

---

[1]- سفر الملوك الثاني الإصحاح 24/ 14 - 15

[2]- شارل جنيبر - المسيحية نشأتها وتطورها - ترجمة د/ عبد الحليم محمود ص32 منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت بدون تاريخ.

الوضعية الروحية للمنفيين:

إن رد فعل المنفيين إزاء وضعية السّبي والتشرد الذي تعرضوا له كان مختلفا، إذ بإمكاننا هنا التمييز بين موقفين: فبالنسبة لذوي النفوس الضعيفة الذين كانوا يأملون دائما في انتصار كبير للمصريين على حساب الجيوش البابلية، والذين يحلمون بتحرير مجيد لأورشليم، فالضربة كانت قاسية، فمنذ ذلك فيهوه بالنسبة لهم لم يعد قادرا على حماية وخلاص شعبه فآلهة بابل في نظرهم قد انتصرت على إله إبراهيم، ولم يعد هناك أمل في الخلاص[1]، وعلى هذا ودون أن تترك عبادة يهوه نهائيا فإن هذه الفئة من المنفيين قد صارت شيئا فشيئا تميل إلى الإبتهال إلى آلهة أرض الرافدين، إنها إنتفاضة جديدة وفي الحقيقة مؤسسة للنزعة التلفيقية، ومن هنا فالهوية اليهودية بالنسبة لهذه الفئة تبدو أنها محكوم عليها باختفاء لا مفر منه.[2]

وباستثناء هذه الفئة التي دفعها اليأس من الخلاص إلى عبادة أصنام المنتصرين فإن بقية المنفيين كان عندها شعور بالإثم والمسؤولية وتهيؤ لقبول الحالة المتمثلة في خروج الشعب من الأرض كفعل لقضاء إلهي[3]، ذلك أنهم وجدوا أنفسهم مضطرين إضطرارا إلى إعمال الفكر في صلتهم بيهوه وفي العهد القائم بينه وبين شعبه، وفي أسباب محنتهم، ثم راحوا يتخيلون لأنفسهم سبيلا إلى المستقبل أفضل ووسيلة للخلاص من مثل تلك الكوارث التي حلت بهم، واعتقدوا أن المحن التي مرت بها إسرائيل كان سببها عدم الوفاء بالعهد، وأن الطريق إلى الخلاص منها هو إرضاء الرب والخضوع له في عبادته لحرفية النصوص والتمسك بالشعائر المفروضة في غير ما لين أو تحرر أي في الواقع:

اتباع شعائر غاية في الدقة والحرص تمنع تسرب أدنى نزعة إلى الوثنية ويرجع الفضل في تثبيت هذه الشعائر وفي تدعيم الإتجاه نحو شرع محدد إلى أنبياء المنفى وعلى الأخص منهم النبي حزقيال.[4]

1- HENRI-GAUBERT L'EXIL à babylone
PARIS 1966 page 220

2- المرجع السابق ص 221.

3- ROLF-RENDTORFF - INTRODUCTION a l'ancien testament
Les Editions du CERF . PARIS 1989 page 99

ينظر: شارل جنيبر: مرجع سابق ص 32.

4- شارل جنيبر: مرجع سابق ص 33.

رسالة حزقيال:

إعلان الخلاص ومجيء المسيح المخلص:

سبق وأن رأينا أن النبي حزقيال كان منادي شؤم يقتصر على الإنذار بالشؤم المحتوم، لكنه وبعد دمار أورشليم ومعبدها وجلاء أهلها إلى بابل تحول إلى مبشر بالخلاص، لقد غير هذا النبي لهجته ليصبح نبي الرجاء لما رأى شعبه منفيا في أرض غريبة لا هيكل شرعيا ولا عبادة منظمة.

وأمام احتجاج الأبناء المنفيين على دفع ثمن أخطاء آبائهم، وأمام صرخة اليأس التي تبين وضعية يهود تائهين على ضفاف الفرات، يرفع حزقيال مبدأ المسؤولية الفردية وهو أمر لم يكن معروفا من قبل في إسرائيل.[1]

وبناء على هذا فإن يهوه يحافظ على الأبرياء، هؤلاء الذين بإمكانهم التجمع وتكوين "البقية الصغيرة" التي كثيرا ما تكلم عنها الأنبياء، وهذه البقية الصغيرة ستكون نواة إسرائيل الجديدة .. إن حزقيال هنا يبشر بعقيدة أمل متألقة. فإله العهد كما يقول قوي وحاضر في كل الأمكنة حتّى على ضفاف الفرات، فلا داعي إذن لليأس وفقدان الشجاعة، ومن خلال الرؤيا الشهيرة، رؤيا العظام اليابسة التي أنعشها روح الله بنفخة من فيه يبشر النبي حزقيال بتجديد الشعب المختار:

"فمن رميم العظام يبعث الرب شعبا جديدا"[2]

إن حزقيال يؤكد هذه النبوءة، ويؤكد أن شعب الله سيعود إلى أرضه مجددا، فمحررة من الوثنين سترى الأرض الموعود بها وفي أجل قريب عودة المنفيين، وهناك سيتحد شعب الله المطهر مع يهوه في عهد قوي خاص ولكنه عالمي أيضا، وهذا الأمر سيستدعي إذابة الجماعة وإعادة تنظيمها من جديد. إنه يريد إقصاء المفاسد التي قادت إسرائيل إلى الدمار، ويرى هذا النبي النشيط مستقبل الشعب المختار قد أعيد تأسيسه في أمة واحدة، وقد أعيدت إقامته بجبل صهيون:

"ها أنذا آخذ بني إسرائيل من بين الأمم التي ذهبوا إليها وأجمعهم من كل جهة وآتي بهم إلى أرضهم واجعلهم أمة واحدة في هذه الأرض. ولا يكونون بعد اليوم أمتين ولا ينقسمون بعد

---

[1]- مرجع سابق ص221 :H.GAUBERT

[2]- سفر حزقيال الإصحاح 37/ 1 ـ 14

اليوم إلى مملكتين أبدا ... فيكونون لي شعبا وأكون لهم إلها[1]

إنه تصوير لمستقبل مشرق لشعب إسرائيل، يبعث من خلاله النبي حزقيال الرجاء في شعبه، والأمل في الخلاص.

إعلانه مجيء المسيح المخلص:

كان النبي أشعيا قد سبق حزقيال في التبشير بقدوم المسيح المخلص، ورسم بعض صفاته، فقد جاء في سفر أشعيا: "ويخرج غصن من جدع يسّى وينمي فرع من أصوله ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة ... وفي ذلك اليوم يعود السيد (الرب) فيمد يده ثانية ليفتدي بقية شعبه ... فيقول (الشعب) في ذلك اليوم هو ذا الله خلاصي ... وستسقون المياه من ينابيع الخلاص"[2]. وعلى هذا فالمسيح المنقذ الذي يأتي لخلاص إسرائيل يكون من نسل داود ويكون ممتلئا من روح النبوة والملك وينشر بين البشر البر ويأتي بالخلاص لشعبه.[3]

وبعد تبشير أشعيا بالمسيح المنقذ، جاء النبي حزقيال لإعلان مجيء هذا المسيح، إنه الملك والقائد المثالي، وهنا يستوحي حزقيال رسما من النبي أرميا[4]، إنه وبكل بساطة وكتعويض لرعاة القطيع الأشرار الذين فقدوا القدرة على أداء مهمتهم، فيهوه سيوكل أمر المخلصين إلى راع واحد فقط هو "المسيح" الذي يسميه "خادمي" (خادم يهوه)

وبإعلانه مجيء المخلص يكتمل العمل العظيم الذي قام به النبي حزقيال، إن إعلانه الخلاص وعودة المنفيين إلى فلسطين على يد مخلص منقذ يظهرعظيم إرادته ورغبته في بعث الروح القومية، وتجديد الدين، إنه يضع القواعد لتنقيح عميق للعبادة التي يجب أن تؤسس خط الدفاع المجدد عن الهوية ومواجهة الإغراءات الوثنية.[5]

---

[1]- سفر حزقيال الإصحاح 1/37 ـ 4

[2]- سفر أشعيا الإصحاحان 11 و12

[3]- د/ جعفر هادي حسن: فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام ـ دار المغرب العربي للنشر والتوزيع ـ الجزائر 1989 ص 11

[4]- جاء في سفر أرميا الإصحاح 23/ 5 ـ 6

"ها إنها ستأتي أيام يقول الرب أقيم فيها لداود نبيا بارا [المسيح] يملك الملك بتصرف وحكمة، ويجري الحكم والبر في الأرض، في أيامه يخلص يهوذا ويسكن إسرائيل في أمان"

[5]- مرجع سابق ص224 .H.GAUBERT

وبهذا العمل الجبار من النبي حزقيال استطاع اليهود أن يبقوا على أمل العودة إلى فلسطين، وكمقدمة لذلك رسموا لأنفسهم حياة خاصة بهم، فقد استمروا في استعمال لغتهم العبرية، كما حرص القادة واجتهدوا على أن يبقوا أوفياء محافظين على تقاليد الأجداد وعلى المناسبات الدينية، وبحماس متزايد أحيا المنفيون في حدود ما سمحت به ظروف حياتهم الجديدة عودة الأعياد الكبيرة: عيد الفصح، عيد العفو، عيد التبرناخ، وأعياد أخرى.

كما طبقوا الأحكام الخاصة بالختان والسبت، وحافظوا على الإمتناع عن الإقتراب من الأشياء المحرمة، وحافظوا أيضا على صيام التقوى.[1]

وما تجب الإشارة إليه هنا هو تحول مفهوم الديانة إلى ديانة داخلية، فالأتقياء بدأوا يفهمون أن الخضوع لإرادة الله وطاعة الشريعة والصلاة المستمرة هي أمور أكثر فعالية من تقديم قرابين الحيوانات بفناء المعبد، وبهذا وعت الجماعة الصغيرة من اليهود في المنفى ضرورة التغيير الداخلي الذي يقربها من الخالق ونيل الخلاص، وهذا نتيجة الإلحاح الكبير من النبي حزقيال على القيمة الكبيرة لصلاة القلب.[2]

كما تمّت رسم صورة المسيح المنقذ حسب مواصفات كانت سائدة في تلك الفترة بالذات وأهمها:

1-أن يكون المسيح المنقذ من نسل داود.

2-أن يحلّ عليه روح الله أو وحيه، ومعنى هذا اتّصافه بالحكمة.

3-اتصافه بالقوّة وشدّة البأس.

4-أنه يكلف من قبل يهوه بتخليص شعب إسرائيل من أيدي أعدائه .

5-وهو الملك.

6-القائد المثالي.

7-الراعي الوحيد لقطيع بني إسرائيل.

8-خادم يهوه.

---

[1]- المرجع السابق ص 225

[2]- H.GAUBERT: La Renaissance D'ISRAËL
5e - 2e Av.J.C PARIS 1967 Page 102

النبي أشعيا الثاني يكمل عمل النبي حزقيال في:

التبشير بالخلاص والمسيح المخلص:

لقد عمل النبي حزقيال على تقوية العاطفة الدينية وغرس الأمل في نفوس اليهود. ولقد كان هذا العمل سببا فيما قام به اليهود من إلتزامات للحفاظ على الهوية والحرص على عدم الذوبان في المجتمع البابلي الذي عاشوا فيه فترة السبي. ونظرا لطول مدة السبي التي امتدت إلى حوالي نصف قرن (587 ـ 538 ق.م) فإن اليهود، وليواصلوا حياتهم على نفس النمط، كان لابد لهم من تجديد النفس، وكان لابد لهم من مجدد، وقد ظهر النبي أشعيا الذي يطلق عليه اليهود اسم أشعيا الثاني، في هذا الوقت بالذات، ولقب بصاحب البشارة الجديدة[1]، ذلك أنه حمل الأمل ثانية لليهود في الخلاص من السبي والعودة إلى الأرض الموعود بها حيث تكرر هذه البشارة في سفر هذا النبي اثنتين وعشرين مرة.

ولقد بين للمنفيين أن في تخليص يهوه لشعبه دليلا على محبته الأمينة وعنايته الدائمة بهذا الشعب، وقد أوضح لهم أنها عناية راع برعيته "يرعى قطيعه كالراعي يجمع الحملان بذراع"[2]. وحماية ملك لرعيته "أنا الرب قدوسكم خالق إسرائيل وملككم"[3] وفوق هذا هي عناية الأب ببنيه وبناته "هلم ببني من بعيد وبناتي من أقاصي الأرض"[4]

وكذلك هي عناية أم بأولادها:"قالت صهيون: تركني الرب ونسيني سيدي: أتنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها؟

حتى وإن نسيت النساء فأنا لا أنساك"[5]

وتبلغ محبة يهوه بشعبه حتى الصفح عن خطيئته مهما تكررت وتقلت وإلى محوها، وقد بين أشعيا أن للخلاص الذي يهبه يهوه لشعبه وجهين:

- فالله من ناحية يحرر وينقذ ويعتق ويفدي شعبه
- ومن ناحية ثانية فهو يجمع شمل المشتتين ويوحدهم في أمه واحدة.

---

[1]- H. GAUBERT: L'exil à babylone page 239

[2]- سفر أشعيا الإصحاح 40 الفقرة 11

[3]- سفر أشعيا الإصحاح 41 الفقرة 21

[4]- سفر أشعيا الإصحاح 43 الفقرة 6

[5]- سفر أشعيا الإصحاح 49/ الفقرتان 15 و16

وإن الخلاص هذه المرة سيتم كما أعلنه أشعيا، بطريقة صريحة وقاطعة لليهود المساكين رفاقه في السبي، على يد قورش الرجل المرسل من قبل العناية الإلهية لهلاك مملكة بابل،

ولم يخش أشعيا الثاني شيئا عندما ألحق بعض الألقاب العجيبة والمثيرة للدهشة بقورش فقد وصفه بأنه محرر إسرائيل، بل ذهب إلى أبعد من هذا حين أطلق عليه لقب "المسيح"، مع أن هذا اللقب خاص برجل كان من المفروض أن يكون من نسل داود:

هكذا تكلم يهوه لمسيحه

لقورش الذي أخذت بيمينه

لأخضع الأمم بين يديه[1]

ويضيف كاتب سفر أشعيا فيقول:

أنا اقمته للبر

وسأقوّم جميع طرقه

هو يبني مدينتي[2]

إن إلحاق لقب المسيح المخلص برجل كقورش غريب عن اليهود، دليل يشهد على تطور كبير لمفهوم فكرة المسيحانية، إن هذا اللقب لم يكن يطلق إلا على رجل من اليهود وبالضبط من نسل داود ليعيد مجد وملك أبيه، ونراه في هذه الفترة يطلق على قورش الفارسي، مما يسمح لنا بالقول بأنه محاولة من المحاولات التلفيقية التي كانت تهدف إلى تكييف المعتقدات اليهودية مع الأوضاع التي يعيشها الشعب الإسرائيلي.

كان قورش في هذه الفترة بالذات قد حقق سلسلة إنتصارات ولقب بملك مدين وفارس (549 ق.م)، وحدث هذا على أبواب بابل. وهكذا بدأ اليهود المنفيون يركزون النظر على هذا الغازي الصغير الذي من المحتمل أن يكون مغيرا للنظام السياسي آنذاك، لقد توسعت امبراطوريته من فارس إلى بحر إيجا ولم يكن أمامه إلا الهجوم على بابل ولذلك كان ظهور الجيوش الفارسية منتظرا من لحظة إلى أخرى على أرض الفرات، وكان الإسرائيليون المنفيون ينتظرون باضطراب وبفرح مكتوم أيضا وصول الأمير المدهش الذي سيخلصهم من الأسروسيسمح لهم بالعودة إلى أورشليم.[3]

---

[1]- سفر أشعيا الإصحاح 45/ الفقرة 10

[2]- سفر أشعيا الإصحاح 45/ الفقرة 13

[3]- H.GAUBERT: L'exil a babylone page 240

لكن الأماكن التي مرّ بها قورش كانت تتطلب مجهودات كبيرة ومعارك شاقة، وهكذا تمر السنون والمنفيون ببابل يصيبهم القلق بصفة جدية، حتى أخذوا يتساءلون:

هل يرجع قورش عن غزو بابل؟ هل سيهلك ويجد حتفه في معركة من المعارك المظلمة وتنتهي بذلك كل الأحلام في الخلاص وإعادة بناء إسرائيل إلى الأبد؟[1]

وفي هذا الوقت بالذات اجتهد النبي أشعيا الثاني في رفع معنويات الإسرائليين، وضاعف من جهوده التي تزرع التفاؤل ولم يتوان لحظة في إعلان العودة القريبة لقورش وسقوط بابل،

وفي سنة 539 ق.م انتصر قورش على الإمبراطورية البابلية الجديدة وضمها إلى سلطانه بما في ذلك البلاد الواقعة إلى الغرب من نهر الفرات[2]،

وبذلك أصبح قورش ملكا على أكبر إمبراطورية لم يشهد لها التاريخ مثيلة من قبل في هذا الجزء من العالم[3].

تحقيق الخلاص: قورش يمنح للمنفيين ببابل حريتهم:

من الأعمال الأولى التي قام بها ملك بابل الجديد ـ قورش سماحه لعدد كبير من مخيمات المنفيين بأرض الفرات بالعودة [إن كانت لهم الرغبة في ذلك] إلى أورشليم وقد أصدر هذا الملك سنة 538 ق.م مرسوما متعلقا بيهود المنفى ببابل، والذي يقدم العهد القديم بشأنه روايتين، نورد منهما الأولى التي جاءت في سفرعزرا، والتي يمكن أن تكون صدى للإعلان الذي أصدر بالعبرية للمنفيين:

"في السنة الأولى لقورش ملك فارس يتم ما تكلم به الرب على فم أرميا، نبّه الرب روح قورش ملك فارس فأطلق نداء في مملكته كلها قائلا: هكذا قال قورش ملك فارس: جميع ممالك الأرض أعطانيها الرب إله السماوات، وأوصاني بأن أبني له بيتا في أورشليم التي في يهوذا، فمن كان منكم من شعبه أجمع فإلهه يكون معه فليصعد إلى أورشليم التي في يهوذا ويبن بيت الرب إله إسرائيل"[4]

---

[1]- المرجع السابق ص 243

[2]- أرنولد توينبي: تاريخ البشرية ـ جزء I ـ ص 215.

[3]- مرجع سابق صROLF-RENTORFF 105

[4]- سفر عزرا الإصحاح 1 / الفقرات من 1 إلى 4.

وهكذا تتحقق نبوءة أنبياء السبي البابلي، التي بشروا من خلالها بتحقيق خلاص اليهود من وضعية النفي والجلاء عن الأرض الموعودة. كما يتحقق الوعد الذي قطعه يهوه على نفسه أمام شعب إسرائيل بتحقيق الخلاص له إن هو تمسك بوصاياه وفرائضه.

كما تجدر الإشارة إلى أنه وحتى الآن فإن نيل الخلاص كان يعتمد على تدخل فرد فيه صفات معينة، كانت تتغير من مرحلة إلى أخرى، هذا الفرد هو المسيح المخلص حتى وإن لم يكن من اليهود كما حدث ذلك مع قورش.

وهذا ما يشهد على التطور الذي طرأ على مفهوم المسيحانية في تلك الفترة حيث لم يعد من الضروري أن يكون المسيح المخلّص من نسل داود بقدر ما تكون رسالته الخلاصية في فائدة بني إسرائيل، إنّ قورش الفارسي هو المسيح لأنّه خلّص بني إسرائيل من الأسر البابلي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث

الخلاص والأمل المسيحاني بعد العودة من السبي

بعد العودة من المنفى وفي العام الثاني 536 ق.م، قام اليهود بإرساء قواعد الهيكل من جديد، لكن ومع الضربات الموجعة التي كان يسددها المعتدون، ومع ضعف عائد المحصول الزراعي، فقدوا الأمل في الخلاص، وبالتالي علقوا أعمالهم المتعلقة ببناء الأماكن المقدسة، وابتداء من سنة 520 ق.م عمل اثنان من أنبياء بني إسرائيل هما حجاي (Aggee) وزكريا (ZACHARIE) على إعادة الحماس وإلى اليهود بوعود مسيحانية جديدة.[1]

فالنبي حجّاي وفي إشارات إلهية موجزة أوحى إلى قومه بأن تأخير الخلاص، والمعاناة والحرمان الذي يكابده شعب الله هو من عمل يديه، وتهاونه في إتمام بناء بيت الرب:

" ها قد مضى عشرون سنة على عودتكم، لقد أعدتم بناء بيوتكم وها أن بيت الرب لا يزال خرابا"

وعلى إثر هذه التحريضات عاد الإسرائيليون إلى بناء الهيكل بقيادة الحاكم زروبابل (ZAROBABEL) والكاهن الأكبر يشوع، وأثناء عملية البناء الجديدة لا ينسى حجاي إعادة إسماع صوته لتشجيع رفاقه وبعث الأمل في الخلاص:

"إنه آجلا سيزلزل يهوه السماوات والأرض والبحار والأمم بأجمعها، وعندها تكون كل كنوز الأرض والسماوات من نصيب أورشليم لتزيين الهيكل ليصبح بعدها أكثر جلالا من القديم"[2]

ومع هذه الوعود الحماسية يعمل اليهود بجد ومثابرة، وبعد ان اكتمل بناء المعبد وأعيد تنظيم سدانة الهيكل، ظهر نبي آخر يدعى ملاخي وعوض أن يبشر كسابقيه بأن وعود الخلاص من المستعمر ستحقق، كان كلامه إلى الشعب بأنه غير أهل بتلك الوعود لأن الإنتهاكات ارتكبت كثيرا، سواء في أوساط عامة الشعب، أو في الدّور المقدسة.

وبعد أن لام الكهنة على الفساد، ألقى لومه على أفراد عامة الشعب وعلى المتزوجين منهم خاصة، الذين يتخلون عن زوجاتهم ويتزوجون بالوثنيات ولام الذين لا يخلصون ولا يصدقون في خدمتهم ليهوه، ولكنه لم يلبث أن بشر الشعب بأن يهوه لن يتأخر عن خلاصه،

---

[1]- Dictionnaire de la bible. Publie par F. Vigouroux avec la collaboration d'un grand nombre d'auteurs. Paris 1895

[2]- سفر حجاي الإصحاح 2 الفقرات من 1 إلى 9.

فسيظهر يهوه، وسيكون ظهوره رهيبا، وذلك اليوم يكون نارا، وسيكون مرفوقا بملاك العهد الحارس للأمة اليهودية، وبعد مجيئه يعتلي يهوه كرسي القضاء، وسيحرق المذنبين كالتبن، أما الذين يخشون يهوه فسيعيشون تحت حمايته حيث يكتب أعمالهم الصالحة في كتاب، وعندما يأتي يوم الرب عندئذ تشرق شمس العدالة.[1]

ولكن اليهود لم يعرفوا الإستقرار خلال الحكم الفارسي، كما لم يعرفوه من قبل، فقد وقعوا تحت حكم اليونانيين وذلك من سنة 333 إلى سنة 63 ق.م، فبعد موت الإسكندر وقعت فلسطين تحت سيطرة اللاجئين من سنة 333 إلى سنة 198 ق.م، وأمام المد الهائل للحضارة اليونانية تمسك اليهود داخل فلسطين بإيمانهم وبالشكل الذي عبر عنه حتى ذلك الوقت في الممارسات والطقوس، كما حافظوا على أحلامهم في الخلاص المسيحاني[2].

وتبع حكم اللاجئين حكم السلوقيين، حيث انتزع الملك السلوقي أنطيوخس الثالث من مصر سيطرتها على فلسطين سنة 198 ق.م، وقد فرض السلوقيون بالقوة الثقافة والدين اليوناني على اليهود ففي سنة 167 ق.م ألغى أنطيوخس الرابع امتيازات اليهود وحرم السبت والختان ودنس الهيكل إذ جعل فيه شناعة الخراب ـ أي تمثالا لزوس[3]

وجاء في أحد الأيام موفد من أنطيوخس الرابع يفرض تقدمة الذبائح للأوثان فذبحه ماتياس أحد الكهنة، وكان ذلك العمل إشارة العصيان، وبداية الثورة التي قام بها هذا الكاهن سنة 167 ق.م وقد هزم فيها ماتياس وهرب ومات في العام التالي، وتولى ابنه ماكابياس قيادة الثائرين، وقد دفع هذا الأخير حياته سنة 161 ق.م ثمنا لعصيانه، ولهذا الكاهن تنسب اسرة المكابيين التي حاولت دون جدوى تخليص إسرائيل وتحقيق الإستقلال[4].

ويحاول كاتب سفري المكابيين الأول والثاني أن يظهر أن ملحمة المكابيين كانت من عمل يهوه الذي أراد تحرير شعبه وإنقاذه من الشقاء.

إن هذه الحوادث الجسام المتعاقبة التي تعرض لها اليهود، بدء من زوال ملك إسرائيل، إلى تدمير المملكتين، إلى السبي، ثم النكبات التي تلت في فترة العودة من السبي، أكدت بصفة

---

[1]ـ سفر ملاخي الإصحاحان الثالث والرابع

[2]ـ د/ مراد كامل: مرجع سابق ص 28.

[3]ـ الأب اسطفان شربنتيه: دليل إلى قراءة الكتاب المقدس منشورات دار المشرق بيروت الطبعة الثانية 1986، ص 85

[4]ـ د/ أحمد شلبي ـ اليهودية ص 87.

راسخة فكرة الأمل المسيحاني، أي مجيء المسيح المخلص، حتى غدت من أركان العقيدة اليهودية.[1]

ذلك أن الأمل في المسيح المخلص المنتظر كان شوقا إلى إعادة ملك داود، الذي كان عصرًا ذهبيا لليهود: لتزول به مصائب الحاضر، وقد استمر هذا الأمل طوال هذه الفترة الأخيرة من التفكير الديني اليهودي، وصار محور العقيدة والفكر اليهوديين، كما اصبح نقطة البدء للوحي المسيحي فيما بعد.[2]

ولذلك فمعالجة ظاهرة المسيحانية في الفكر اليهودي ضرورية لفهم موضوع الخلاص ومدى الأهمية التي يعلقها اليهود على المسيح المنقذ المنتظر في تحقيقه ومن جهة أخرى بيان مدى تأثيرها على عقلية اليهود وتفكيرهم.

اليهود والأمل المسيحاني إلى العصر الحديث

إن الحلم المسيحاني لم يكف عن مداعبة خيال الإنسان اليهودي إلى غاية القرن العشرين، وككل الأحلام التي تداعب خيال الشعوب، ظهر الحلم المسيحاني اليهودي على مدى التاريخ بعدد كبير من اليهود الذين ادعى كل واحد منهم أنه المسيح المنتظر وقائمة الذين ادعوا المسيحانية في تاريخ اليهود طويلة جدا، ولئن اختلفت أزمنة وأمكنة ظهور هؤلاء المسحاء فإن هدفهم لم يختلف، فكل واحد منهم جاء لتخليص اليهود من الأوضاع التي عاشوها خلال تاريخهم الطويل وكذلك لإستعادة ملك اليهود الضائع وبناء دولة اليهود كما بناها داود من قبل.

ففي حدود عام 44 م ادعى شخص يدعى ثيوداس بأنه نبي وأقنع كثيرا من اليهود بأن يأخذوا أقنعتهم ويتبعوه إلى نهر الأردن حيث يفلقه بأمر منه، كما فلق موسى البحر، ولكن الحاكم الروماني (فيسس) أرسل جيشا فاجأه، فقتل الكثير من أتباعه، وأسر منهم جمعا، وكان ثيوداس ضمن الأسرى، فقطع الحاكم رأسه وحمله إلى أورشليم.[3]

---

[1]- د/ حسن ظاظا: مرجع سابق ص 128.

[2]- سبنتيو موسكاتي: الحضارات السامية القديمة: ترجمة د/ السيد يعقوب بكر، دار الرقي - بيروت 1986 ص153

[3]- د/ جعفر هادي حسن مرجع سابق ص 16

يراجع أيضا د/ حسن ظاظا: مرجع سابق ص 131

وفي سنة تقترب من التأريخ السابق ادعى رجل يدعى يهوذا الجليلي أنه المسيح المنتظر وتبعه جمع كبير من اليهود، ولكن حظه لم يكن بأحسن من حظ ثيوداس، فهلك هو وأتباعه، وقد جاء في العهد الجديد عن هذين الشخصين ما نصه:

"لأنه قبل هذه الأيام قام ثيوداس قائلا عن نفسه إنه شيء وقد التصق به نحو أربعمائة من الرجال، وقد قتل وجميع الذين انقادوا إليه تبددوا وصاروا لا شيء، بعد هذا قام يهوذا الجليلي في أيام الإكتتاب وأزاغ وراءه شعبا غفيرا فذاك أيضا هلك وجميع الذين انقادوا إليه تشتتوا"[1].

وبين الأعوام 52 ـ 54 للميلاد ظهر رجل يهودي من مصر، ذهب إلى أورشليم، فاجتمع حوله ثلاثون ألف رجل، فقادهم إلى جبل الزيتون بأورشليم وقال لهم بأنه سيدخل المدينة ويحتل قلاع الرومان ويستولي عليها هو وأتباعه، فعلم بذلك الحاكم الروماني فيلكس فتصدى لهم بجيش ضخم، فقتل منهم الكثيرين، وشتت جموعهم، وهرب هذا المسيح فلم يظهر بعد ذلك.

وكان من أشهر الذين اعتقد فيهم أنه المسيح المخلص من اليهود في القرن الثاني الميلادي هو بركوخبا الذي قاد ثورة ضد الرومان بين الأعوام (132 ـ 135 م) لطردهم وغيرهم من فلسطين، والإستيلاء عليها لتكون وطنا لليهود، وادعى أنه المخلص والمسيح المنتظر، ولما جاء جيش الأمبراطور الروماني هدريان فأباد اليهود من فلسطين، وغير أكثر آثارهم هناك بتهديمها ومحوها وتغيير أسمائها، فتبين لليهود أن هذا المسيح المنتظر لم يكن إلا دجالا، فغيروا اسمه من بركوخبا أي ابن الكواكب او النجم وجعلوه بركوزبا أي ابن الكذاب، ورغم هذا يعتبر بركوخبا بطلا قوميا عند اليهود.

وقد كتب عن مقاومته للرومان الكثير من الباحثين، بل إن بعض الكتاب اليهود في العصر الحديث يرى بأن بركوخبا قد تحققت فيه صفات المسيح المخلص أكثر من غيره، وكان على وشك تحقيق الخلاص، إلا أن الحظ لم يحالفه.[2]

وفي القرن الخامس الميلادي كان هناك اعتقاد عام لدى اليهود بأن شتاتهم لا يستمر أكثر من أربعمائة سنة منذ تهديم المعبد فلابد أن يأتي الخلاص قبل عام (470م)، وقد ذكرت قصص من التلموذ وكتب المشنا أن الخلاص يكون في النصف الأول من القرن الخامس، ولذلك ظهر متنبئ في جزيرة كريت في حدود عام (448م) وادعى بأنه موسى عليه السلام جاء لإنقاذ اليهود، وكان يسافر بين القرى اليهودية في هذه الجزيرة يدعو لنفسه ويخبرهم بأنه هو الذي

---

[1]- سفر اعمال الرسل الإصحاح 5 / 36 ـ 38

[2]- جعفر هادي حسن: مرجع سابق ص 17 ـ 18

سيقودهم إلى فلسطين، ولقد كان له تأثير عظيم، فترك الكثير منهم أعمالهم ووزعوا أموالهم إذ أخبرهم بأنه سيأخذهم عبر البحر دون مراكب، إذ ان البحر سيفلق لهم كما فلق لموسى عليه السلام، وقد ضرب لهم موعدا لذلك فلما جاؤوا البحر ووقفوا على حرفه أمرهم أن يقفزوا فيه فامتثلوا لأمره وقفزوا ولم ينشق لهم البحر فغرق منهم من غرق ونجا من نجا، وقد ساعد الصيادون والبحارة الموجودون هناك على إنقاذ الكثير منهم، أما موسى فقد اختفى ولم يعثر له على أثر، وقد ذكرمؤرخو هذه الحادثة بأن الذين نجوا من الغرق قد ارتدوا عن اليهودية واعتنقوا المسيحية"[1]

ومع الضربات المؤلمة التي تلقاها اليهود من الرومان، انكمشت الأحلام المسيحانية عندهم، وفقدوا الأمل في الخلاص، وجمع شتاتهم في أرض الآباء، واكتفوا إما بالمعيشة في المنفى يجمعون المال، أو ينكبون على دراسة شرائعهم، ورواية تعاليمهم الشفوية، التي تؤلف منها التلموذ بعد ذلك، أو الحياة في ظل الفقر والخوف والتشرد، ولم يشعروا بشيء من العدالة إلا بعد ظهور الإسلام وانتشار حكمه[2].

ومع الطمأنينة التي تمتعوا بها في ظل سلطان الإسلام وحكمه، عاد المسيح المخلص المنتظر يداعب خيالهم من جديد، فكان أول الأدعياء بعد ذلك هو إسحاق بن يعقوب عوبديا المعروف بأبي عيسى الإصفهاني، وقد عاش في عهد الخليفة الأموي عبد الملك ابن مروان (685 م - 705 م)، وهو من مواليد اصفهان ببلاد فارس وقد تناول الشريعة بالتغيير والتبديل، ثم خلفه تلميذه "يوجدان" الذي ادعى بدوره أنه المسيح المخلص المنتظر، وصدقه قوم كثيرون معتمدين على حسابات فلكية خرافية أن بين يوجدان وبين دانيال ألف وثلاثمائة وخمس وثلاثون سنة، توهموا أنها المدة التي بشر دانيال ببعثة المسيح بعدها. وقد أطلقوا عليه لقب "الراعي" وإليه تنسب طائفة الوجدانية من اليهود.[3]

---

[1]- المرجع السابق ص 19

[2]- د/ حسن ظاظا: مرجع سابق ص 134.

[3]- د/ حسن ظاظا: مرجع سابق ص 135.

وحوالي عام (720 م) ادعى يهودي من سورية، كان قد هاجر من بزنطة اسمه سرفيروس أوسيرنوس بأنه المسيح المخلص، وقد صدقه جمع غفير من اليهود بل ومن المسيحيين أيضا، ولقد ذاع صيته وانتشر فآمن به يهود فرنسا وإسبانيا، وقد جمع أتباعه ومؤيدوه أموالا ومتاعا بحجة استعمالها في طرد المسلمين من فلسطين، وقد كان أحد أسباب تأييد اليهود له هو انتقاده للحاخامين وثورته عليهم، إذ كان هذا شعورا عاما لدى اليهود، وقد أدخل سرفيروس بعض التغييرات على الفقه اليهودي الذي مصدره التلموذ وليس التوراة، وأمر أتباعه بتطبيقها، مثل إلغاء الأحكام الرئيسية للطلاق والزواج، وإلغاء الأيام الثواني للأعياد اليهودية، وبعد بضع سنوات من بداية حركته ألقي عليه القبض وجيء به عام (724م) إلى هشام ابن الحكم الحاكم الأموي أنذاك، ولما سأله هشام عن مدعاه قال له سيرفيروس بأنه ادعى ذلك حتى يضلّل اليهود ويسخر منهم وإن إدعاءه لم يكن عن إيمان وعقيدة فترك هشام أمره إلى أبناء ملته وقيل أمر بقتله.[1]

وتكرر انبثاق ظاهرة المسيح الكذاب في المجتمع اليهودي إبان الحروب الصليبية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، حيث ظهر واحد منهم في فرنسا ولكنه قتل عام 1087م، كما ظهر آخر في قرطبة عام 1117م، وثالث بفاس بالمغرب سنة 1127م.

ومن أشهر من ادعوا شخصية المسيح المخلص داود الرائي، وهو داود بن سليمان من مواليد مدينة آمد في إقليم كردستان سنة 1135م، درس في شبابه التوراة والمدراش والمشنا والتلمود على أكبر أساتذة عصره، ونذكر منهم الحاخام حسداي، رئيس يهود العراق الذي كان لقبه الرسمي "رأس الجالوت" أي كبير الجالية اليهودية التي وجدت في العراق منذ أيام نبوخذنصر حسب زعم اليهود في ذلك، كما درس على الحمأون عيلي، شيخ علماء الشريعة اليهودية في بغداد إذ ذاك، وكان لقبه الرسمي رأس المتيبة أي رئيس الأكاديمية الشرعية اليهودية، كما أن لقب الجأون الذي معناه الحرفي (الأفخم) أو (الأعظم) كان يعطى لكبار علماء الشريعة اليهودية، كذلك أتقن داود الرائي علوم العرب التي كانت مزدهرة جدا في عصره ببغداد، قاعدة العباسيين وكبرى عواصم العالم الإسلامي، وأوغل في تعلم التنجيم والسحر وسائر هذه المعارف السرية.

وقد بدأ داود الرائي خطواته الأولى نحو ادعاء أنه المسيح المنتظر حوالي سنة 1163 بمحاولة القيام بحركة صهيونية دعا إليها بين يهود آمد والإقليم المحيط بها، فكان ينادي بالذهاب

---

[1]- د/ جعفر هادي حسن: مرجع سابق ص 20.

إلى القدس وانتزاعها من المسلمين، وإعلان حكم يهودي فيها، والواقع أن هذه الدعوة لم تكن مجرد نزوة في فكر داود الرائي ولكنها كانت قائمة على تخطيط مدروس، ذلك أن الصليبيين كانوا في ذلك الوقت يحاولون ضعضعة العالم الإسلامي من جهات شتى وأساليب متنوعة منها: الجاسوسية، والحرب وبث الأراجيف والإشاعات وتشجيع حركات الزندقة، والإلحاد، وإثارة الأقليات الدينية والعنصرية ضد وحدة العالم الإسلامي.

وقد امتد هذا التخطيط الهدام إلى أعماق بلاد فارس وإلى سورية ومصر، وتنبه اليهودي داود الرائي إلى ذلك فأراد أن يغتنم الفرصة ويحاول إقامة هذه الدولة الصهيونية في صميم العصور الوسطى. ونجح فعلا في إثارة الفتنة في الدولة السلجوقية، وفي الخلافة العباسية نفسها، وأطلق على نفسه لقب الملك المخلص "المسيح" ولم يكتف بذلك بل راح يذيع بين يهود العالم الإسلامي أن رسالته المقدسة هي خلاص بني إسرائيل من الغربة والإحتقار والشتات والتشرد في الأرض، وجمعهم جميعا في فلسطين، واغتصاب هذه البلاد من المسلمين، وإعلان حكومة يهودية مستقلة فيها. تعيد مملكة داود وسليمان.[1]

وقد تحمس لذلك اليهود وبخاصة الأعداد الكبيرة منهم التي كانت تقيم في إقليم أذربيجان، فكونوا جيشا من المتطوعين وضعوه تحت قيادة هذا المسيح الكذاب نفسه، ومن مقر قيادته راح يرسل الدعوة سرا إلى يهود الموصل وبغداد بأن ساعة الخلاص قد حانت ويطلب منهم مساعدته على تحقيق هذا الهدف، بالقيام بأقصى ما في وسعهم من أعمال التخريب والإرهاب وإشاعة الفوضى في دولة المسلمين. وقرر داود الرائي أن يشن هجوما حربيا بجيشه هذا على المسلمين، ورأى أن يبدأ بالإستيلاء على مدينة آمد التي ولد فيها، ولكن جيوش المسلمين فتكت به وأحبطت هجومه، وقتل هو نفسه في هذه المعركة.[2]

وبعد موت داود الرائي استمرت مجموعة من أتباعه يؤمنون بأنه سيظهر مرة أخرى وبقيت تقدسه لفترة طويلة وأطلق عليها "المنحامية". وقد كتب بنيامين دزرائيلي رئيس وزراء بريطانيا 1874 ـ 1880م الذي كان من أصل يهودي، رواية عن داود الرائي يصوره فيها بطلا قوميا فاتحا.[3]

---

[1]- حسن ظاظا ـ مرجع سابق ص 137.

[2]- المرجع السابق ص 138.

[3]- Dictionnaire de la bible volume 4 colone 1037.

وممن يجدر ذكرهم في ادعاء شخصية المسيح المخلص داود الراؤوبيني، الذي ولد حوالي سنة 1490م، وكان هذا الرجل من يهود جزيرة العرب ولا يعرف أصله على وجه التحديد ... ويبدو أنه كان من يهود خيبر، بدأ دعوته بقوله إنه الوريث الشرعي لعرش مملكة خيبر اليهودية التي أسقطها الإسلام، وأرسل إلى البابا في روما، وإلى ملوك أوربا يطلب منهم أن يمدوه بالأموال والأسلحة حتى يحارب المسلمين، واستقبله البابا "كليمنت السابع" في الفاتيكان بحفاوة كبيرة سنة 1524. وفي السنة الثانية جرى له استقبال رسمي في قصر ملك البرتغال، وكثر أتباعه في أوربا وذاع صيته بين اليهود جميعا، ولكن حدث أن كثيرا من اليهود الذين كانوا قد تنصروا هم وذريتهم تحت ضغط محاكم التفتيش المسيحية في إسبانيا والبرتغال بدأوا يتركون المسيحية ويتهودون من جديد وكان من بين هؤلاء اليهودي المتنصر "دييجو بيريز" الذي اتبع هذا المسيح وتهود من جديد وأصبح إسمه "سلومون مونجو" وقد أحدث ذلك رد فعل في غاية السوء بالنسبة لهذا المسيح الكذاب، خصوصا بعد أن تقرر إحراق مونجوعلنا بخروجه عن المسيحية، وهكذا تم القبض على داود الراؤوبيني وأودع السجن ووضع له السم في طعامه فمات"[1].

وفي سنة 1502م ادعى اليهودي الألماني أشر إملن أنه المسيح الحق وأن الله أرسله للإستيلاء على فلسطين وإقامة دولة لليهود بها، فآمن به عدد كبير وأمرهم أن يهدموا الأفران التي يخبزون فيها خبز الفصح الشرعي المعروف باسم "مصّة" وعلل ذلك بأنهم في الفصح القادم سيخبزونه في القدس فأطاعوه ولكنه مات بالسكتة القلبية في هذه السنة، فتزعزع إيمانهم، لدرجة أن بعضهم ترك الديانة اليهودية كلية واعتنق المسيحية[2].

شبتاي صبي أشهر من ادعى أنه المسيح المنتظر:

المسيح الكذاب الذي نحن بصدد التعريف به وبأعماله شخصية عجيبة بلغت غاية الخطورة وغاية الهزل في آن واحد، وهي شخصية شبتاي صبي، ولد في مدينة أزمير التركية سنة 1626م من أبوين يهوديين، وكان أبوه مردخاي من سلالة أسرة يهودية إشكانزية (ألمانية) نزحت واستقر بها المطاف في أزمير، بعد إقامة في شبه جزيرة المورة في بلاد اليونان.

---

[1] د/ حسن ظاظا: مرجع سابق ص140

[2] ـ د/ جعفر هادي حسن: مرجع سابق ص28.

بدأ أبوه في الإشتغال بتجارة البيض والطيور، ثم أصبح مندوبا لشركة تجارية بريطانية، وربح من ورائها ربحا كبيرا، وكان شبتاي أحد إخوة ثلاثة ولدوا لمردخاي ومنذ صغره توسم فيه أبوه ملامح الذكاء، فأراد أن يحقق رغبة في نفسه في أن يصبح أحد أبنائه حاخامًا، فأدخله في سن السادسة إلى مدرسة يهودية شهيرة تعلم فيها التوراة والتلمود، فما أن بلغ الخامسة عشرة حتى كان يتعاطى التدريس، واستمر في نفس الوقت في دراسة "القبالة" وهي علم التأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود، وفي سن الثامنة عشرة رخّص له بأن يمارس الأستاذية، وتخريج الطلاب، واشتهر إلى جانب ذلك بهيئته الجميلة وطلاقة لسانه في الحديث والخطابة، وقد لوحظ عليه حب العزلة، وكثرة التطهر بالغطاس في ماء البحر صيفا وشتاء.

وفي هذا الوقت قام نزاع مسلح بين تركيا وإمارة البندقية حول السيطرة على جزيرة كريت فنشطت هذه الحرب التجارة بين أزمير وأصبح أبوشبتاي من كبار الأغنياء، فخطب لإبنه بنت ثري كبير من أثرياء اليهود، وكانت غاية في الجمال، ولكنه لم يدخل بها بل طلقها وتزوج من فتاة أخرى، ولكنه طلقها أيضا دون أن يدخل بها[1].

وأثرت على شبتاي دراسته لعلم "القبالة" فأخذ يحسب الحسابات الفلكية والسرية ثم أعلن أن سنة خلاص بني إسرائيل هي سنة 1648، ثم إنه وجد أن هذا الخلاص يحتاج إلى مجيء مسيح منتظر مخلص، ولم يجد في الأمة اليهودية كلها من هو أحق منه بهذه الرسالة، وأعلن الأمر فآمنوا به فورا. ثم راح يشيع بين يهود المدينة خلاصة ما وصلت إليه حساباته الفلكية، ولما علم به رؤساء الدين اليهودي نظروا في دعوته وأعلنوا لعنتهم عليه وعلى المؤمنين به، ومن ثم بدأ الرأي العام اليهودي في أزمير يتنكر له، وحاول بعضهم الإعتداء عليه هو وتلاميذه بالضرب والقتل فهرب بحرا إلى القسطنطينية. وكان السلطان العثماني وكبار رجال حكومته موجودين في ذلك الوقت خارج العاصمة في مدينة أدرنة، فانتهز شبتاي غياب السلطان وراح يبشر بخلاص اليهود، وقد وجد لمعاونته اليهودي "أبراهام ياكيني" الذي اجتهد في بث الدعوة، ولكن رؤساء اليهود في أزمير أرسلوا يحذرون منه في القسطنطينية، فأحس بالخطر وفر وأتباعه إلى مدينة سالونيك التي كانت مركزا لدراسة علم القبالة، وهناك أقام في أمان وكثر حوله الأتباع والتلاميذ، واستمرت إقامته في تلك المدينة ثماني سنين، وفي إحدى الولائم خطر له أن يحول الوليمة إلى حفلة زواج يكون هو فيها العريس وتزف إليه التوراة كعروس، وبعد ذلك أعلن للجموع المحتشدة أنه المسيح المنتظر، ولكن شيوخ الدّين اليهودي في المدينة

---

[1] GERSHOM scholem:le Messianisme Juif editions CALMANN-LEVY Angleterre 1992 page 136.

أنكروا عليه ذلك وأصدروا حكما من المحكمة اليهودية بكفره واستحقاقه الكفر، فلاذ بالفرار في أوائل عام 1658م وبقي سنة كاملة مشردا في البلاد فذهب إلى أثينا ثم هرب منها إلى أزمير ورجع إلى القسطنطينية وأخذ يتعاطى التنجيم ورؤية الطوالع معلنا أن وقت الخلاص قد حان وأن دولة اليهود ستقوم في فلسطين.

ولكن المعارضة اشتدت عليه خصوصا عندما ذهب إلى القسطنطينية، فهرب إلى مسقط رأسه، أزمير وأقام هناك ثلاث سنين ملتزما الحيطة والسرية في اتصالاته[1].

ومن العجيب أن دعوته هذه تركت أثرا يشبه العدوى في الأوساط الإسلامية والمسيحية، وانتشرت إشاعات مختلفة فيما بينهم، فالمسلمون يقولون بظهور المهدي المنتظر عما قريب، وعودة النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الحياة الدنيا مرة أخرى، والمسيحيون يحددون سنة 1666 تاريخا لتجلي السيد المسيح عليه السلام على الأرض، وبالغ بعض المسيحيين فراحوا يبشرون بأن هذه السنة هي سنة الخلاص لليهود أيضا، وحركت هذه الإشاعات رغبة صبي في أن يتمادى مرة أخرى في ادعاء أنه المسيح المنتظر، فاتجه سنة 1662 أو 1663 من أزمير إلى القدس ثم تركها وذهب إلى الإسكندرية ومنها إلى القاهرة، وفيها تعرف على يهودي من وجهاء المجتمع هو رفائيل يوسف جلبي مدير خزينة الدولة ورئيس الطائفة اليهودية بمصر، وقد آمن به هذا اليهودي المصري وأكرمه وأغدق عليه الأموال الطائلة، فقرر أن يقوم برحلة أخرى إلى القدس مارا بمدينتي غزة والخليل.

وكانت الأحوال الإقتصادية في فلسطين في ذلك الوقت قد بلغت من السوء درجة جعلت من بقي من أغنياء اليهود بها يهاجرون، بحيث لم يبق هناك إلا قلة من البؤساء والصعاليك، وحتى هؤلاء كانوا في حال من الضيق واليأس جعلهم يرحبون بأية محاولة للتغيير. وانتهز الفرصة شبتاي صبي، وراح يعلن البشائر في كل مكان، وكثر أتباعه والتزم هو في هذه الفترة أن يكثر من الصوم والتقشف والعبادة، واهتم بتدريس المعارف الروحانية المنظمة في كتب "القبالة" اليهودية، بل إنه كان يأخذ بعض ضعفاء العقول ويذهب بهم إلى المقابر في الليالي المظلمة، ويمارس عليهم تأثيرا نفسيا بحيث يؤكدون أنهم سمعوا أصواتا في القبور تهتف وتقول:"شبتاي صبي هو المسيح". وفي هذه الفترة إتخذ له بطانة من الناس كان أقربهم إليه يهودي أفّاق معروف بالإجرام إسمه صموئيل فريمو[2].

---

[1]ـ حسن ظاظا: مرجع سابق ص 143.

[2]ـ المرجع السابق ص 144 ينظر أيضا Encyclopedia Judaïca Jerusalem 1972 page 737

وحدث في ذلك الوقت أن القائمقام (والي فلسطين) فرض إتاوة باهضة على اليهود، ففكر شبتاي صبي في أن يسوي لهم المشكلة بأن يطلب من صديقه اليهودي المصري رفائيل يوسف جلبي المساعدة، وفعلا ترك القدس وعاد إلى القاهرة.

وتصادف في نفس هذه الفترة أنه كانت في أوربا فتاة يهودية تريد أن تقلد في قومها ما صنعته جان دارك. كان اسم هذه الفتاة سارة، وكانت قد هربت من بولونيا على إثر حملة من حملات اضطهاد اليهود، واستقر بها المطاف في أمستردام بهولندا، وهناك راحت تبشر بأن الأوان قد آن ليقوم على رأس الشعب اليهودي مبعوث من العناية الإلهية يكون مسيحا وملكا. وكانت سارة هذه على جانب كبير من الجمال، بحيث كثر بين المؤمنين بها أهل الريبة والفسوق. وأخذت تطوف أوربا حتى وصلت إلى مدينة "ليفورنو" بإيطاليا، وما ان سمع شباي صبي، وهو في القاهرة بهذه الفتاة حتى أرسل يستدعيها ليتخذها زوجة. أما رفائيل يوسف جلبي فإنه أعطى شبتاي صبي مبلغا ضخما من المال مساعدة منه ليهود القدس في دفع الإتاوة المفروضة عليهم.

وذهب هذا المسيح الكذاب لآداء المهمة فمرّ بمدينة غزة، والتقى هناك بيهودي آخر من أصل اشكنازي (ألماني) اسمه ناتان بنيامين هاليفي، الذي يعرف في تاريخ هذه الحركة باسم ناتان الغزاوي، فجعله شبتاي صبي من صحابته المقربين، وأعلن أنه نبي في إسرائيل، واتفق معه على تزييف وثيقة تشهد بأن شبتاي صبي هو المسيح المنتظر.

فأحضرا قطعة قديمة جدا من رق الغزال، وأزالا منها الكتابة القديمة، وكتبا عليها نصا يثبت هذه الأكذوبة، وأظهرا الصحيفة للناس، ثم دخل القدس في حفل في أخريات سنة 1664، فأعلن أنّه المسيح وأنه المتصرف في مصير العالم كله[1].

وثارت ثائرة الحاخامين القائمين على أمر اليهودي في شكله التقليدي العام المتوارث وجمع الموجودون منهم في القدس كل قواهم وهجموا على المسيح الكذاب هجوم المستميت حتى طردوه هو وتابعه ناتان الغزاوي. وبمجرد وصول هذا الأخير إلى غزة بمنشور لكل أتباع مسيحه يطلب منهم أن يبشروا في كل مكان بأن شبتاي صبي - الذي كان مختفيا في هذا الوقت - سيظهر للناس. وكان أول ظهوره في مدينة أزمير وفي عيد رأس السنة اليهودية الموافق ليوم

---

[1]- Dictionnaire de la Bible Volume 4C: 1038

ينظر أيضا حسن ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي ص 145.

10 سبتمبر 1665، سارت المواكب من أتباعه تهلل وتنفخ في الأبواق وتعلن التجلي الأعظم للمسيح المنتظر. فاشتد غضب رؤساء اليهود، وأعلنوا الفتوى الشرعية بإهدار دمه ولكن أحدا لم يجرؤ على المساس به لكثرة أتباعه.

وبدأت مع ذلك فترة صعبة من المناوشات والمعارك بين أتباعه وبين اليهود التقليديين. وفي تلك الفترة أباح شبتاي صبي لأتباعه أن ينطقوا اسم الله الأعظم "يهوه" الذي كان محرما على اليهود النطق به. وما يزال بسبب الغضب الإلهي الذي أقروا بأنه حل عليهم، والذي انتهى بالسبي البابلي فمنذ ذلك الوقت كانوا إذا وصلوا في قراءتهم إلى هذه الحروف الأربعة "يهوه" نطقوها "أدوناي" أي مولانا. وكان شبتاي صبي يزعم أن غضب الله ارتفع عن الأمة ببعثه وأن الإسم الممنوع قد أصبح مباحا.

وفي يوم 17 ديسمبر 1665م، وكان صاحبنا في أوج مجده وانتصاره على الحاخامين اليهود، إستدعي للمثول أمام قاضي المسلمين التركي، فأشاع أنه سيذهب للقائه ويقيم الدليل على صحة دعواه بفضل بعض المعجزات والخوارق، وانتشرت هذه الشائعات، وأصبح الناس في الشوارع والأسواق يحكون القصص الخيالية عن هذه المعجزات. وكثر المؤمنون به في مدينة أزمير، حتى لوحظ ان الأطفال كانوا يتغنون بكراماته في الشوارع، ويقول مؤرخو هذه الفترة من اليهود المعادين لحركة هذا الرجل، إن السبب في سكوت دوائر الأمن التركية عنه طيلة هذه المدة أنه كان يدفع لهم مبالغ مالية طائلة من المال رشوة حتى يغمضوا أعينهم عنه، يضاف إلى ذلك أن هؤلاء المسؤولين كانوا يكرهون اليهود ويحتقرونهم، ولا يهمهم أن تحدث مثل هذه الفتن الدينية في أوساطهم.

ومع ذلك فقد وصلت أخبار هذه الفتنة إلى الوزير التركي "كوبرلي" بالقسطنطينية، وإذا بقاضي أزمير يعلن شبتاي صبي بأنه مطلوب منه التوجه إلى العاصمة في ظرف ثلاثة أيام، فقال له شبتاي أنه سيذهب ليقيم الدليل على صحة نبوته أمام الوزير، فاستشاط كوبرلي باشا غضبا، وأرسل إلى قائمقام أزمير أمرا بالقبض عليه وإرساله في الحديد، وتحت الحراسة إلى العاصمة.

وتم ترحيله من أزمير يوم 31 ديسمبر 1665م، ولكن البحر كان هائجا في فصل الشتاء، فطالت الرحلة إلى يوم 4 فبراير 1666، ولم تصل إلى غايتها، بل أصيبت السفينة بعطل قرب مضيق الدردنيل، فأنزل ركابها إلى الأرض، وأقيمت حراسة مشددة على شبتاي

صبي، الذي استمرت رحلته في عربة بطريق البر حتى وصل إلى قرية قريبة من القسطنطينية تدعى "كوجوك جكمجي".

ووصل خبر وجوده إلى يهود العاصمة التركية فخرجوا للإحتفال بإستقباله، فعاد إليه الأمل القديم في الإستمرار في إدعاء النبوة، ولكن أحد الضباط الأتراك الموكلين بحراسته عندما سمعه يردد أنه المسيح المبعوث من السماء صفعه على وجهه علنا، فحاول أن يستمر في إدعائه وأدار الخد الآخر ليصفعه أيضا، وعندما مثل أمام الوزير أحمد باشا كوبرلي سأله من هو، وماذا دعاه إلى إثارة هذه الفتنة، فأنكر في إجابته أنه إدعى شيئا مما يقال، وزعم أنه مجرد رجل دين يهودي من القدس، يجوب البلاد ليجمع الصدقات، ولكن كوبرلي لم يأخذ بقوله، وأمر بوضعه في السجن. ثم نقل من سجن إلى سجن خشية أن يحاول المؤمنون به إخراجه بالقوة أو بالحيلة، حتى وضع في النهاية في قلعة حصينة على الدردنيل اسمها "إقليد البحر"، أي مفتاح البحر، ومنذ ذلك الوقت يسميها أتباع شبتاي صبي إلى اليوم إقليد العز ويعظمونها، لإرتباطها بسيرة زعيمهم[1].

وبعد اتصالات مختلفة أحضره حاكم أدرنة إلى هذه المدينة التي كانت مقر الحكومة في ذلك الوقت. وهو في يوم 16 سبتمبر سنة 1666 أدخل شبتاي صبي للمثول أمام السلطان التركي محمد الرابع. وفي هذه المقابلة أعلن أنه يريد الدخول في الإسلام، ووافق السلطان وحاشيته، واعلن شبتاي صبي اعتناقه للديانة المحمدية، وأصبح اسمه محمد أفندي ولقبه "قافوجي باشي إيطراق" ومعناها خادم الأعتاب، كما أعلن أن زوجته سارة قد أسلمت هي أيضا وأصبح اسمها فاطمة قادن، أي السيدة فاطمة.

وبالرغم من إسلامه وإتقانه للغة العربية والتركية ودراسته للقرآن وتفسيره على يد مفتي الأتراك، فإنه لم يقطع الأمل في قيادة حركة جديدة بين اليهود، وقد كتب إلىالمؤمنين به من اليهود، بعد دخوله في الإسلام بتسعة أيام فقط، رسالة يقول فيها: "الآن ألحقوني بنسل اسماعيل (العرب)، ومع ذلك فأنا أخوكم محمد قافوجي باشي إيطراق" وكان كلما قابل بعض أتباعه القدماء أنكر الإسلام، وأفهمهم أنّه مجرد ستار يحتمي به ويتخفى وراءه، فإذا التقى بالأتراك راح يتهم اليهود بالسخرية من الإسلام والدس على المسلمين، محاولا بذلك استمرار الفتن في أدرنة والقسطنطينية، وبعد سنوات أحس الأتراك بخطورته فنفوه إلى ألبانيا، وحددوا إقامته في

---

[1]- د/ حسن ظاظا: مرجع سابق ص148.

ينظر أيضا Dictionnaire de la bible volume 4 colonne 1040

قرية داخلية سكانها جميعا من الأرناءوط، ويصعب على اليهود الاقتراب منها، وهي "قرية الباسان" وهناك عاش يتصل باليهود عن طريق الرسائل والمندوبين إلى أن مات في 30 سبتمبر 1675 بمرض الكوليرا، ودفن في مقابر المسلمين الأتراك في هذا المكان[1].

وأتباع هذا المسيح يسمون "الدونمة" وقد كتبها بعض المؤرخين "دومنة" ويظهر أن التسمية في الأصل كانت تعني الفرقة ذات الأصلين اليهودي والمسلم أو التركي، ويتمركزون في إقليم سولونيك.

وبعد موت شبتاي صبي ورثه ابنه يعقوب صبي في رئاسة الفرقة، فادعى هو أيضا أنه المسيح وأمر أتباعه بإظهار الديانة الإسلامية، فتبعه نحو أربعمائة يهودي، أعلنوا الإسلام سنة 1687 م، وسافر هو إلى مكة للحج سنة 1690م، وفي طريق العودة مرض ومات في الإسكندرية.

وورثه ابنه "بركيا" (1695 ـ 1740م) وادعى أيضا أنه المسيح المنتظر، ثم جاء واحد من نفس فرقة الدونمة فزعم نفس الزعم وقال إنه المسيح ابن يوسف.

ومن أشهر الذين ادعوا المسيحية "يعقوب فرانك" المولود سنة 1726، وهو مؤسس فرقة مشهورة باسم "الفرانكية" ، وكان يعتقد بتقمص الأرواح، ويقول إن روح المسيح سكنت أولا في سيدنا داود، وفي النبي إلياهو، ثم انتقلت إلى يسوع المسيح عيسى بن مريم)، ومنها إلى نبي المسلمين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحلت بعد ذلك في شبتاي صبي، وتلاميذه، حتى وصلت إلى بركيا، ثم انتقلت الصفة المسيحانية، إليه هو شخصيا، فسمى نفسه، "سانتور سنيور" أي السيد المقدس، وأعلن الكفر بالتلمود، وزعم أتباعه أنه يصنع المعجزات. بدأ ذلك كله في إقليم "بودوليا" في الجنوب الغربي من روسيا، وقد انتهى بقرار من السلطات الروسية بطرده هو وأتباعه من البلاد. ولكنه عاد إليها سنة 1759م وأعلن هو وتلاميذه الدخول في الديانة المسيحية، ومات سنة 1791[2].

إن هذا الإستقراء التاريخي للشخصيات التي ادعت صفة المسيحانية يكشف لنا أن هذه الفكرة متأصلة ومتجذرة في الفكر الديني لليهود، وأنهم على اختلاف أمكنتهم وعصورهم راودتهم الأحلام المسيحانية التي كانوا يعلقون عليها الأمل في الخلاص من شتاتهم وغربتهم، وإقامة مملكة اليهود في أرض فلسطين.

---

[1]ـ Encyclopedia Judaïca page 811 Jerusalem 1972.

[2]ـ د/ حسن ظاظا: مرجع سابق ص 151.

ويمكن جمع ما كان مشتركا بينهم فيما يلي:

1- إنّ اليهود على اختلاف أماكن تواجدهم وتباعد العصور راودتهم الأحلام المسيحانية.

2- إنّ الخلاص الذي كان ينتظره اليهود على مر العصور ارتبط ارتباطا وثيقا بتدخل الوسيط وهو المسيح المنقذ المخلص.

3- أن طبيعة الخلاص الذي انتظره اليهود واحدة لم تتغير وهي طبيعة مادية تعني بالدرجة الأولى القضاء على الأعداء والعودة إلى أرض فلسطين .

4-يكشف هذا الإستقراء أيضا عن العمل المستمر لدى اليهود على إقامة دولة اليهود،وعن تجديد الأمل باستمرار.

دولة إسرائيل وخلاص اليهود:

رأينا أن فكرة الخلاص على يد مسيح مخلص تحقق آمال اليهود هي إحدى المعتقدات الهامة عند اليهود، لكنهم يختلفون في تفسير كيفية هذا الخلاص. وبذلك اختلفت نظرتهم إلى الدولة اليهودية فمنهم من يرى فيها بداية تحقيق الخلاص، ومنهم من رفض أن تكون بداية تحقيق الخلاص، ومنهم من وقف موقفا حياديا رافضا أن يكون لها أي دور سلبي أو إيجابي.

حركة غوش أمونيم

دولة إسرائيل: بداية لتحقيق الخلاص

حركة غوش أمونيم والتي تعني بالعربية "الجماعة المؤمنة" هي مجموعة دينية قومية برزت بعد حرب 1973، وظهرت إلى العلن سنة 1974 عندما احتجت على إرجاع القنيطرة إلى سوريا وبدأت بإقامة مستعمرة لتكون عائقا للإنسحاب ونظمت في السنة نفسها تظاهرة كبيرة ضد الجيش الإسرائيلي بسبب انسحابه من الضفة الغربية لقناة السويس[1].

وتعتمد حركة (غوش أمونيم) في أفكارها على آراء الحاخام ابراهام كوك وفلسفته الدينية التي شرحها وأوضحها فيما بعد ابنه الحاخام زفي يهوذا كوك.

---

[1]- جعفر هادي حسن/ مقال عنوانه: حركة غوش أمونيم المتطرفة تعتقد أن خلاص البشرية يبدأ بخلاص اليهود - جريدة الحياة اللندنية العدد 10479 15 أكتوبر 1991

وقد ربط الحاخام كوك بين الصهيونية وبين خلاص اليهود، واعتبر بروز الفكر العلماني بين اليهود جزء من عصر الخلاص، فهو يقول أن عبارة [أكيفتا دي مشيحا] والتي تعني "الموطئات للمسيح" تشير إلى العصر الذي يسبق مباشرة خلاص اليهود، ويوصف بأنه عصر مادي وذو مستوى متدن خلقيا، وهو العصر الذي تكثر فيه الحركات العلمانية واللادينية بين اليهود، كما يقول بأن الشر الذي نراه اليوم بين اليهود لا يمكن أن يمنع تقدم الخلاص وحدوثه، وهو يرى أن من صور تقدم الخلاص وقربه يقظة الأحاسيس والوعي عند اليهود والعمل على ما هو نافع ومفيد لهم.

أما ابنه الحاخام زفي يهوذا كوك فقد قال: إن إنشاء الدولة اليهودية ووجودها تعبير عن الخلاص، وهو تحقيق لأعظم وصايا الرب[1].

ويرى أعضاء هذه الحركة بأن العصر، هو عصر بداية (الخلاص المسيحاني) كما يعتقدون أن الخلاص قد قطع شوطا بعيدا ومن الممكن إتمام عمليته في المستقبل القريب، إذا ما اتخذت الخطوات الملائمة لتحقيقها، وهم يرون أن من هذه الخطوات الإقدام على أعمال حاسمة لخلق وقائع ضرورية لإستمرار عملية الخلاص، حتى يتم تحقيقها، حتى وإن كان السواد الأعظم من اليهود يعارض هذه الوقائع ويعدها غير شرعية. مثل إنشاء المستعمرات والتوسع فيها، فهي تخلق واقعا لإدخال عملية الخلاص إلى الضمير اليهودي.

الستماريم

دولة إسرائيل صهيونية وليست خلاصا لليهود:

مؤسس هذه الحركة هو الحاخام يوئيل تيتلباوم، كان يرى أن إنشاء دولة إسرائيل عام 1948 كان معوقا لظهور المخلص ومؤخرا له، ولولا ظهور هذه الدولة لكان المخلص قد ظهر، ويرى كذلك بأنه لا يجوز لليهود بناء المعبد اليهودي ولا يجوز لهم الهجرة الجماعية إلى فلسطين قبل ظهور المخلص.

ويرى الزعيم الروحي للستماريم أن إنشاء الدولة اليهودية الحقيقية هي مسؤولية المسيح المخلص، فهو الذي ينشئها ويقوم على شؤونها ويحكمها وكل دولة باسم اليهود تنشأ وتقوم قبل [العصر المسيحاني] إنما هي دولة غير شرعية حتى ولو كان مؤسسوها والراعون لها مطبقين أحكام التوراة وملتزمين بها بدقة وإخلاص.

---

[1] - المرجع السابق

لذلك لا يرى الحاخام تيتلباوم في إسرائيل الحالية دولة لبداية الخلاص اليهودي. كما يرى الكثير من الحاخامين، وقد أطل مرة على مجموعة من اليهود في نيويورك حاملا بيده نسخة من التوراة وخاطبهم بقوله: من كان منكم يعتقد بأن إسرائيل هي بداية الخلاص فليخرج من هنا فإني لا أحب الصلاة مع من يعتقد ذلك.

وكان قد صرح بأن إنشاء دولة إسرائيل ينتج عنه عدة جرائم أبرزها:

1 ـ رفض فكرة الإعتقاد بالمسيح المخلص وظهوره إذ أن وجود الدولة يعني عدم انتظار ظهور المسيح.

2 ـ الثورة على مملكة الله المسيحانية القادمة ومحاربتها

3 ـ الخروج على شعوب العالم والثورة عليها وإراقة دمائها

ولكل هذا فإن الحركة أعلنت عن مبادئها في أحد المؤتمرات الذي أعقبه صدور بيان يحمل هذه المبادئ الثلاثة:

1 ـ عدم إنشاء دولة في الأرض المقدسة وعدم العمل على إنشائها قبل الخلاص الموعود.

2 ـ القبول بالشتات حتى الخلاص الموعود وعدم الهجرة الجماعية إلى الأرض المقدسة.

3 ـ العيش بسلام وتآلف مع الشعوب التي يعيش اليهود بينها.

وكان تبتلباوم يأمل أن تتحطم هذه الدولةولا تبقى منها بقية من أجل أن تقوم على أنقاضها دولة المسيح، ولكنه كان يريد أن يتم هذا التحطيم بضربة إلهية وليس من قبل الشعوب الأخرى، وقال موضحا ذلك (ولكننا نحتاج إلى رحمة لتتحطم هذه الدولة بقوة من الأعلى من قبل الإله تبارك وتعالى وليس من قبل الشعوب الأخرى لأنه إذا حصل ذلك فإنّ الخطر سيكون عظيما على اليهود).

وكان الزعيم الروحي للستماريم قد طلب من أتباعه أن لا يتعاونوا مع الدولة وأن لا يقسموا قسم الولاء لها ولا يشاركوا في إنتخاباتها وأن لا يذهبوا إلى محاكمها ولا يلجأوا إلى قضائها ولا يبحثوا عن وظائف فيها. وقد منعهم من الذهاب إلى حائط المبكى والصلاة عنده.

ويكلّل الستماريم نهاية عيد البوريم عندهم بحرق العلم الإسرائيلي.

وبعد حرب 1967 مباشرة كتب الزعيم الروحي للستماريم كتابا باللغة العبرية سماه (عال هاغئولاه وعال هاتموراه) (حول الخلاص والتغيير) أوضح فيه طبيعة ما حدث من وجهة

نظره. وفي الوقت نفسه يرد فيه على كثير من اليهود الذين اعتقدوا بـأن انتصـار اسـرائيل إنمـا كان معجزة إلهية وأن هذا الإنتصار أكد أن إسرائيل دولة شرعية. وكـان ذكـر فـي مقدمـة هـذا الكتيب أن الذي حدث إنمـا كـان إغـراء مـن الشـيطان واختبـارا مـن الخـالق لليهـودي المؤمـن، وقال:"كما أن الذنوب العظيمة لهذا الجيل قد أبانت لنا نسـبة كبـيرة مـن علائـم ظهـور المخلـص فكذلك جاء الشيطان وأرسل سهامه (الصهيونية) في محاولة جبارة ليمنع خلاصنا وانقاذ أرواحنا بظهور المخلص بسبب الذنوب المؤلمـة. فقد جـاء الشـيطان بطريـق النفـاق والخـداع وبطريـق التلبس بلباس المعجزة والخلاص حتى يخدع اليهود لكي يؤيدوا الصهاينة الذين جـاؤوا للقضـاء على تمام التوراة".

وتختم آراءه بقوله:

"إن روحا من الإلحاد تسكن داخل كل من يعتقـد بـأن اليهـود يتمكنـون مـن كسـر طـوق الشـتات وإنشاء دولة مستقلة قبل ظهور المسيح المخلص".

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث

الخلاص في دعوة المسيح عيسى عليه السلام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن الحديث عن الخلاص في المسيحية شائك وصعب، كون المصادر التي تحدثت عن عيسى عليه السلام ودعوته كتبت في فترة متأخرة عن وفاته، وهي الفترة التي عرفت تحولا كبيرا في مسار تلك الدعوة، حيث فسرت أحداث حياة المسيح ودعوته على ضوء نهايته، وقرئت قراءة أخرى أعطت لها بعدا عالميا بعدما كانت دعوة محلية خاصة ببني إسرائيل وظاهرة من الظواهر التي ألفها اليهود، غير أن الذي تمكّنا من الوقوف عليه بعد فرز ما كتب عن الدعوة وصاحبها، أن دعوة المسيح لم تكن سوى دعوة نبي في سلسة طويلة من أنبياء بني إسرائيل وأن مفهوم الخلاص في دعوته يتمثل في خلاص الروح، وأنه خلاص فردي، وأنه نيل رضا الله تعالى، واحتلال مكان في ملكوت السماء. ذلك الملكوت الذي تردد كثيرا في كلام المسيح، ووسيلته الإمتثال للشريعة روحا قبل النص، والتحلي بالفضائل، وهو بعيد كل البعد عما عرفناه من صور الخلاص المادي عند اليهود والتي يتلخص معظمها في نجاة اليهود من وضعية تاريخية تعرضوا لها، أو إنتصار باهر على الشعوب المجاورة، ولعل هذا الإختلاف في تصور الخلاص هو أحد الأسباب البارزة التي أدت إلى ثورة اليهود ضد عيسى عليه السلام والكيد له ومحاولة التخلص منه بصلبه وقتله.

وسنعرض في هذا الفصل إلى التعريف بالبيئة اليهودية وخاصة الفكرية منها في عهد عيسى عليه السلام، وخاصة ما تعلق منها بموضوعنا، ثم الحديث عن دعوته وما يتصل منها بالخلاص، ثم الحديث عن رسالة المسيح وحجم الخلاص فيها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:

البيئة التي جاء منها المسيح:

إن الحديث عن فلسطين في عصر المسيح عليه السلام يكون من جانبين لهما صلة وثيقة بموضوع الخلاص وهما:

1 - **الجانب السياسي**: والذي سنقف فيه على الوضعية السياسية للشعب اليهودي في تلك الفترة، والتي كانت دون شك من أصعب مراحل التاريخ السياسي لشعب الله المختار، والتي كانت تستدعي - حسب تصورهم - تدخل يهوه الإله عن طريق المسيح المخلص، لخلاص اليهود مما هم فيه.

2 - **الجانب الفكري**: وسنلقي الضوء من خلاله على أهم الفرق الدينية اليهودية، والتي كانت في معظمها، وفي زمن المسيح على الأقل، بعيدة عن واقع الشعب اليهودي، وعن آماله خاصة المسيحانية منها والخلاص من سيطرة الرومان وإقامة دولة اليهود المستقلة، على أرض فلسطين، وذلك نتيجة انشغالها بمسائل فرعية بعيدة عن إهتمامات اليهود، وإن الخلافات التي كانت بين هذه الفرق حالت دون جمع اليهود حول الأمل في الخلاص الذي طالما راودهم، والذي كانت الظروف التاريخية في عصر المسيح تسمح به.

I - الحالة السياسية لليهود في عصر المسيح:

فلسطين زمن المسيح: كانت فلسطين في عهد المسيح تتكون من ولايات:

أ - أولا: في الضفة الغربية ثلاث ولايات:

1 - اليهودية: وأهم مدنها وقراها: القدس، بيت لحم، عين كارم، عماوس، (الرّامة اليوم) (رنتيس) أفرام (اليوم طيبة رام الله) بيت عنيا (بلدة عازر ومريم) وأريحا.

2 - السامرة: وفيها مدينة السامرة، سوخار، بئر يعقوب (قرب نابلس)

3 - الخليل: وفيها الناصرة، قانا، طبرية، مجدلة، كفر ناحوم، بيت صيدا.

ب ـ ثانيا: وفي الضفة الشرقية وعبر النهر: مقاطعة بيريا، والمدن العشر وهي مدن مستقلة في الشرق والشمال الشرقي من الأردن وتمتد حتى دمشق، وكان أكثر سكان تلك المدن من الوثنيين[1].

وضعية أورشليم:

إشتهرت هذه المدينة بقدسيتها، ومازال إسمها العربي يدل على مكانتها وصفتها: القدس الشريف. وقد كان الشعب اليهودي تيوقراطيا، أي يؤمن بأن الله قائده الديني والسياسي في آن واحد، لذلك كانت أورشليم العاصمة الدينية والسياسية معا.[2]

كانت المدينة تضم داخل أسوارها هيكل سليمان وهو المكان المكرس لعبادة الرب الإله، يهوه، لذلك كانت لأورشليم (القدس) أهمية كبرى في حياة عيسى، وأبرز محطة لدعوته وتبشيره، إذ أن اليهود كانوا يتوقعون أن تكون عاصمة ملك المسيح المنتظر، وفيها يتم تنصيبه ملكا.[3]

حكم هيرودس الكبير لفلسطين ووضعية اليهود:

هيرودس الكبير ملك أدومي متهوّد، إشتهر بالطمع والإستبداد والطغيان، حصل من مجلس الشيوخ الروماني على لقب "ملك اليهود"، ورغم أنه فاز برضى المحافل الرومانية، فإنه تعرض لنقمة الشعب اليهودي وكراهيته لأنه أثقل كاهل الناس بالضرائب ليحقق مشاريعه العمرانية، فقد أعاد بناء السامرة، وأسس ميناء قيصرية، وجمل مدينة الخليل، وجدد أريحا، وأعاد بناء هيكل القدس وبنى عدة حصون.

كان هيرودس مستبدا ولكثرة ما كانت تنتابه الشكوك والوساوس قتل ثلاثة من أولاده وإمرأته المفضلة مريم، كما امر بقتل أطفال بيت لحم الأبرياء عندما سمع من المجوس بميلاد

1ـ Le monde de la bible traduction Française par etienne Huser
Editions Sator PARIS 1982 pages 6 et 7

2ـ CHARLES-HAROLD-DODD: Le Fondateur du christianisme
Traduit de l'Anglais par Paul ANDRE le sort Editions du seuil Paris 1972 page 14

3ـ الأب يوسف نعمات: بشرى الخلاص طبع I.M.O SAC
GIAMPIERO - ALBERT MILANO-ITALIA 1981 الطبعة الثانية

ملك لليهود أو مسيحهم المخلص، قتلهم ظنا منه أنه بذلك يتخلص من منافسة الطفل يسوع مسيح إسرائيل وملكهم المنقذ.

لبث هيرودس في الحكم 33 سنة وتوفي بعد ميلاد عيسى بنحو ثلاث سنوات، وبعد موته ببضع سنوات، أي سنة 6 ميلادية على وجه التحديد، وضعت روما حدا لهذا النظام، نظام الحماية أو الإستعمار المقنع، وأخضعت البلاد لحكمها المباشر، فضمت اليهودية والسامرة في ولاية رومانية واحدة عين لإدارتها وال روماني، ولم يستثن من هذا التنظيم إلا بعض المقاطعات الصغيرة التي أبقيت تحت إشراف الأمراء المحليين، وكان من بينهم هيرودس أنيباس أحد أبناء هيرودس الأكبر، وقد احتفظ بمقاطعته المشتملة على منطقتي الخليل وبيريه، وقصارى القول أنه عندما بدأت دعوة عيسى كانت روما هي صاحبة السيادة المطلقة في أورشليم.[1]

ونتيجة لخضوع المنطقة لحكم الرومان، ساءت أوضاع اليهود حيث:

أ ـ فرضت روما الضرائب التي أثقلت كاهل الشعب اليهودي

ب ـ سعت إلى إضفاء الطابع الروماني على المدن اليهودية

جـ ـ حاولت إحلال الثقافة الغربية محل الديانة اليهودية

وخلاصة القول أن الوضع السياسي كان مؤلما، يتحدى المشاعر الوطنية لليهود من جهة، ومن جهة أخرى زاد من تعلق اليهود بالأمل المسيحاني المتمثل في إرتقاب الخلاص على يد من سيبعثه يهوه لخلاص شعبه.

II ـ الحالة الفكرية لليهود في عصر المسيح:

لم تكن الوحدة الدينية لليهود لتحول دون شيء من التنوع في الإتجاهات والميول كما هو شائع بين الناس، وأكثر ما كانت تتجلى هذه التيارات بين رجال الدين والأعيان في أورشليم خاصة وبعض مدن الأقاليم، ومن بين الفئات الواضحة في معالمها والعميقة في أثرها، يحصي مؤرخو إسرائيل عددا من الطوائف أو من المدارس الدينية والفكرية أهمها: الصدوقيون، الفريسيون، الأسينيون، والغيورون.

---

1 ـ JOACHIM JEREMIAS JERUSALAM AU TEMPS DU CHRIST page 96
Editions du cerf PARIS 1967

لم يكن ثمة خلاف بينهم من حيث الإيمان الراسخ بالتوحيد والحرص على نص الشريعة المكتوب [التوراة] بل كان الخلاف يبدو على أشده فيما يتعلق بقيمة التقاليد الموروثة[1] والإيمان بالبعث، كما يجمع بين هذه الفرق الدينية إهمالها لتطلعات الشعب اليهودي، الذي كان متمسكا بالأمل في الخلاص عن طريق المسيح المخلص، ففي الوقت الذي كانت عامة الشعب ترقب من يأخذ بيدها إلى الخلاص من السيطرة الرومانية، كانت الفرق الدينية منشغلة بقضايا هي من مظاهر الترف الفكري.

1 ـ الفريسيون:

هم في الأصل حزب سياسي ظهر في زمن المكابيين لمقاومة السلوقيين، ثم اتخذ هذا الحزب طابعا دينيا، وهم يؤمنون بجميع أسفار العهد القديم وبالشريعة الشفوية وهي مجموعة القوانين والمبادئ السلوكية الدقيقة المتعلقة بأكثر نواحي الحياة اليومية، وكانوا يبالغون في المحافظة على السبت وعلى سنن التطهير والغسل، ومن هنا إشتهارهم بالغيرة والحماسة الدينية، ومما فرق بينهم وبين الصدوقيين إعتقادهم الراسخ في البعث الجسماني وخلود النفس، وكان مذهبهم محوطا بهالة من الإجلال لأنهم ينتمون إلى اليهود الذين نجحوا في مقاومة الحركة الوثنية في عهد المكابيين.[2]

ولكنهم وفي أيام المسيح مالوا إلى العزلة عن عامة الشعب، وسادت لديهم روح التميز والتسامي، مما دفع بالعامة إلى كرههم وترك تعاليمهم.

وكان ينتمي إليهم كثير من علماء الشريعة، ومن الكتبة وربما نتج عن ذلك ميلهم إلى الجدل في المسائل الفقهية، وتكلفهم تخريج الحلول المعقدة للمسائل الدينية الغامضة[3]، وكان من الفريسيين نيقوديموس صديق يسوع وجملائيل المدافع عن الرسل وبولس رسول الأمم فيما بعد وفاة عيسى عليه السلام.

وستكون لعيسى مواقف مع الفريسيين تكشف عن مفاسد هؤلاء وبعدهم عن روح الشريعة الموسوية التي هي سبيل الخلاص.

---

[1] ـ جاك جوميه، ومارتن إدوار سبانج ـ المسيح بن مريم ص 11.

[2] ـ الأب: يوسف نعمات: بشرى الخلاص: ص 24

[3] ـ جاك جوميه ومارتن سبانج: مرجع سابق ص 13

2 - الصدوقيون:

ظهروا في القرن الثالث قبل الميلاد، واشتق اسمهم من صادق رئيس الأحبار في عهد سليمان عليه السلام، وكانوا ينتمون عادة إلى الكهنة طبقة الأعيان، وميولهم منحازة إلى الأثرياء الأرستقراطيين، ويؤلفون القسم الأكبر من جماعة شيوخ الشعب، وكانوا بعيدين عن مشاكل عامة الشعب اليهودي وعن آماله في التحرر والخلاص، ولذلك كانت العامة تكرههم لأنهم عرفوا بالقسوة والترفع. كما أنهم ينكرون كل تواتر شفوي، ولم يأخذوا إلا بالتوراة أي الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم[1] كما رفضوا أيضا الإيمان ببعث الأجساد الموحى به في نصوص العهد القديم بحجة أن موسى والأنبياء القدامى لم يشيروا إليه قط، وإن هذا الأمر سيكون سببا في مواجهة المسيح عليه السلام لهؤلاء، خاصة وأن جوهر دعوته كان التبشير بمملكةالسماء أو مملكة الله.

3 - الأسينيون:

فرقة أخرى من الفرق الدينية التي كثر عددها في الساحة الثقافية اليهودية في عصر المسيح وهي كبقية الفرق، كانت بعيدة عن تطلعات اليهود، لكن هذه الفرقة لم تترفع عن عامة الشعب، بل إتخذت لها طريقا آخر هو طريق الزهد بالدنيا والتفرغ للصلاة الجماعية ودراسة التوراة.

وقد ظل الأسنيون فترة من الزمن شبه مجهولين إلى أن لعبت المصادفات دورها عام 1949م، حيث اكتشفت مخطوطات قديمة كانت مخفية في بعض المغاور والكهوف القريبة من خربة قمران الواقعة بجوار البحر الميت، حوى بعضها نصوصا من طراز آداب الرؤى الإستكشافية تعالج موضوع الإنقلابات التي ستصحب نهاية العالم، لأن الأسينيين كانوا يعتقدون بحلول عالم جديد في نهاية الأزمنة، كما أن ترددهم على الحمامات وإقامة الموائد المقدسة يشهدان على نزعتهم إلى الطهر، وعلى مشاعر الأخوة التي كانت تربط بينهم.[2]

---

[1]- الأب يوسف نعمات: مرجع سابق ص 25

[2]- WALTER - KASPER: Jesus le christ - Traduit de l'allemand par J.designaux. Editions du cerf PARIS 1976 page 102

4 ـ الغيورون:

وهم حزب ديني سياسي متطرف، لا يؤمنون بسلطة لأحد على الشعب إلا الله (يهوه) لذا كانوا يدعون إلى مقاومة الرومان ويتحينون الفرص للثورة عليهم، ولذلك كانوا أقرب الفرق الدينية إلى تفكير العامة من اليهود وتطلعاتهم إلى الخلاص وإقامة دولة اليهود والتحرر من سلطة الرومان.

وإلى جانب هذه الفرق الدينية الكبرى ظهرت بعض الجماعات الأخرى، والتي كانت تقوم ببعض الوظائف، ومن تلك الجماعات:

1 ـ **الكتبة:** وهم معلمو الشريعة المتعمقون في معرفتها، وكانوا يميلون إلى مبادئ الفريسيين، ولشدة تقارب هاتين الفئتين يقرن بعض كاتبي الأناجيل بينهما، وفضلا عن هذا كان الكتبة يطبقون مبادئ الشريعة ويصدرون الفتاوى للناس في الحالات المختلفة.

2 ـ **الكهنة:** هم خدام الهيكل من ذرية هارون من سبط لاوي، وقد إنقسموا إلى أربع وعشرين فئة، يتناوبون على خدمة الهيكل أسبوعيا، وتجري خدمتهم بالقرعة.

3 ـ **رؤساء الكهنة:** أعلى منصب ديني، هو منصب رئيس الكهنة، ووظيفته تدوم مدى الحياة كما أنها وراثية، إلا ان السلطة الرومانية أخذت تتدخل في هذا الشأن وتعين رئيس الكهنة وتخلعه كلما عنّ لها ذلك.[1]

وقد كانت ليسوع مواقف تميزت بالحدة مع الكهنة والكتبة، خاصة فيما تعلق بالتعصب لنص التوراة والطقوس والتقدمات الكثيرة التي فرضها أولئك على عامة الشعب.

اليهود والأمل المسيحاني في عصر المسيح عليه السلام :

كان يسود المجتمع اليهودي في عصر المسيح رجاء راسخ دعمته القومية بدلا أن تنال منه، إن بني إسرائيل عاشوا قرونا عديدة يحدوهم الأمل والتطلع إلى الخلاص، لقد كان تاريخهم ـ كما سبق العلم به ـ سلسلة من الصفحات الناصعة التي تظللها أجنحة السلم، ومن الصفحات السوداء التي أذاقتهم مرارة الهزيمة وشقاء السبي والتشريد، ولكنهم لم يقنطوا لأنهم كانوا على إعتقاد بأنهم أغنياء بوعود الله، التي هي كثيرة بين دفتي العهد القديم، وقد أخذ الناس يهتمون

---

[1] الأب يوسف نعمات: مرجع سابق ص 26

ويزداد إهتمامهم بأمر هذه الوعود، ويفكرون في شأنها، وقد نجملها في كلمتين إثنتين: المسيح المخلص، وملكوت الله.[1]

أما المسيح فكان الجميع يترقبون ظهوره، إن الله قد وعد داود الملك بأنه لن يتخلى عن شعبه، وان خلفا من نسله سيعتلي عرشه ويستقر عليه إلى الأبد، وظل هذا الوعد معينا استمد منه المؤمنون الصبر في الملمات والشجاعة في أوقات الضيق، وقد حرص الأنبياء، كما سبق، على تذكيرهم به كلما دعت الحال.

ويصف أحد الباحثين وهو برنارد راي (BERNARD REY)، البيئة اليهودية وما كان سائدا فيها إبان الإحتلال الروماني، وبالضبط في عصر عيسى عليه السلام فيقول: (تحت الإحتلال الروماني كانت إسرائيل تشهد غليانا لا مثيل له، فطبقات الشعب على إختلافها كانت مشدودة إلى التحرر، فالرب سيأتي والمسيح المحارب سيتحرك، فالرب نفسه سيطهر أرضه، فالآسينيون والفريسيون وغيرهم، كل فئة كانت ترسم صورة المسيح المنتظر حسب سيناريو خاص بها).[2]

أما مملكة الله، أو مملكة السماء، فهي إعتقاد راسخ عند اليهود في تحول كبير يكون في نهاية الأزمنة، عندما يبعث الله مسيحه ليخلص اليهود من سيطرة الشعوب الأخرى، وأنه سيطهر العالم من الظلم والشر، ولم يكن هذا الإعتقاد عاما عند اليهود، بل وجد من ينكر ذلك كفرقة الصدوقيين.

يوحنا المعمدان والخلاص:

قبل دعوة عيسى عليه السلام، قامت دعوة كان صاحبها يوحنا المعمدان، أو يحيى كماسماه القرآن الكريم[3]. وقد رأى اليهود فيها خلاصا لهم من سيطرة أعدائهم الرومان، وقد جاء على لسان زكريا عليه السلام، هذا النشيد الذي يمجد فيه الله على أن وهبه الولد، والذي أطلق عليه لقب مخلص اليهود:

---

[1]- BERNARD REY Jesus le Christ
Editions Paulines la croix PARIS 1988 page 19

[2]- المرجع السابق ص 20

[3]- سورة آل عمران الآية 38 / 39

يقول الحق تبارك وتعالى: (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء. فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحي مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين.)

"تبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد شعبه وافتداه، فأقام له مخلصا قديرا في بيت عبده داود، كما وعد بلسان أنبيائه الأطهار في الزمن القديم، بأن يخلصنا من أعدائنا وأيدي جميع مبغضينا وأظهر رحمته لآبائنا وذكر عهده المقدس، ذاك القسم الذي أقسمه لأبينا ابراهيم بأن ينعم علينا أن ننجو من أيدي أعدائنا، فنعبده غير خائفين بالتقوى والبر طوال حياتنا)[1]

وكما يظهر من هذا النشيد أن اليهود ظلوا يربطون بين الوعد الذي وعد به يهوه أبراهم بأن يخلص ذريته خاصة ما كان منها من نسل إسرائيل (إسحاق)، وبين ظهور المسيح المنتظر الذي يكون الخلاص على يديه، كما تظهر طبيعة الخلاص المادي الذي كان تصوره سائدا على تفكير الجماعة اليهودية، والمتمثل أساسا في نجاة إسرائيل من أعدائها بعد تدخل يهوه.

وكانت بداية دعوة يوحنا المعمدان في زمن قريب من دعوة عيسى المسيح حينما كان بيلاطس حاكما على اليهودية وهيرودس أخوه حاكما على الجليل[2]، وقد قضى يوحنا وقتا طويلا في البرية، وبعد الوحي إليه إنتقل إلى ناحية الأردن كلها ينادي بالمعمودية لغفران الخطايا، فاتخذت دعوته بذلك طابع الخلاص الروحي الذي ي يرتكز أساسا على التوبة، حيث كان يقول لجموع الناس التي كانت تأتي لتتلقى التعميد على يديه:

(يا أولاد الأفاعي، من أراكم سبيل الهرب من الغضب الآتي؟ أثمروا إذا ثمرا يدل على توبتكم، ولا تعللوا النفس فتقولوا : إن أبانا هو إبراهيم، فإني أقول لكم إن الله قادرعلى أن يخرج من هذه الحجارة أبناء لإبراهيم، هاهي ذي الفأس على أصول الشجر، فكل شجرة لا تثمر ثمرا طيبا تقطع وتلقى في النار.)[3]

إن اليهود بلغوا درجة كبيرة من الإنحطاط الأخلاقي والفساد الإجتماعي، وإن ذلك يستدعي إصلاح الفرد إنطلاقا من إصلاح النفس، كما أنه من هنا فصاعدا لن يكون الخلاص مجانيا يتلقاه أبناء إسرائيل، لأنهم فقط من ذرية إبراهيم، ولكن سيكون الخلاص بالتوبة وتطهير النفس، ثم بالسلوك الذي يتناسب مع هذه التوبة. إن يوحنا يدعو إلى خلاص الروح، خلاص غير الذي كان اليهود في إنتظاره.

---

[1]- إنجيل لوقا الإصحاح 1 / 68 - 75

[2]- Jean steinmann: st Jean Babtiste et la spiritualité du desert Editions du seril BOURGES 1955 page 142

[3]- إنجيل متى الإصحاح 3 / 7 - 10

اليهود ودعوة يوحنا المعمدان

لقد كان اليهود ينتظرون المسيح المنقذ المخلص ويتطلعون إلى أن يكون قائدهم إلى التحرر من سيطرة الرومان، وعند ظهور يوحنا المعمدان وإنتشار دعوته بين الشعب، تساءل الناس: (أليس هو المسيح المنتظر؟) فكان ينكر أن يكون هو المسيح المنتظر، وكان يقول:(أنا أعمدكم بالماء، ولكن يأتي من هو أقوى مني، ولست أهلا لأن أفك رباط حذائه، فهو يعمدكم في الروح القدس والنار).[1]

وقد أرسل إليه اليهود من أورشليم بعض الكهنة يسألونه (من أنت؟) فأنكر أن يكون المسيح قائلا: (لست المسيح) فسألوه (من أنت إذا؟) (أأنت إيليا؟)[2] قال: لست إياه (أأنت النبي؟) أجاب: لا فقالوا له: من تكون أنت فنحمل الجواب إلى الذين أرسلونا؟ ما قولك في نفسك؟ قال: (أنا صوت مناد في البرية، قوموا طريق الرب، كما قال أشعيا)[3]

ومعنى هذا أن دعوة يوحنا المعمدان كانت تمهيدا لدعوة السيد المسيح عليه السلام، خاصة وأن دعوة هذا الأخير اتخذت فيما بعد طابع الخلاص الروحي، كما اتخذته دعوة يوحنا المعمدان من قبل.

---

[1]- إنجيل لوقا الإصحاح 3 / 16

[2]- كان اليهود على إعتقاد بأن النبي إيليا الذي رفع إلى السماء سيظهر ممهدا الطريق للمسيح المنتظر.

[3]- إنجيل يوحنا الإصحاح 1 / 19 ـ 23

المبحث الثاني:

حياة المسيح عيسى عليه السلام (يسوع)

إن أكبر مشكلة تصادف الباحث في حياة يسوع أو دعوته هي مشكلة إختلاف الرؤى، فعيسى من منظور الفكر اليهودي نبي من أنبياء بني إسرائيل ودعوته امتداد لظاهرة المسيحانية التي عرفتها العقيدة اليهودية، وهو محور الخلاص والديانة في الفكر المسيحي الذي ظهر بعد موت يسوع، وأصبح المذهب الذي يمثل المسيحية في المحافل الرسمية. والذي استمر إلى اليوم، بعد أن طغى على مذاهب التوحيد التي تعتبر المسيح يسوع نبيا ورسولا إلى بني إسرائيل. وهو من منظور الإسلام واحد من سلسلة طويلة من أنبياء الله الذين اصطفى، وهو لا يعدو من منظور هذا الدين أن يكون واحدا من كثير من الأنبياء الذين بعثهم الله إلى بني إسرائيل لإصلاح أمرهم ودعوتهم إلى الله تعالى.

غير أننا إرتأينا - وما دام البحث عن الخلاص في المسيحية - أن نعتمد على المصادر المسيحية في دراسة حياة عيسى والخلاص في دعوته، مع تصويب نظرة تلك المصادر (العهد الجديد) إلى عيسى إذا تعارضت مع ما نعتقده نحن المسلمين في عيسى عليه السلام.

المصادر المسيحية وحياة يسوع (عيسى عليه السلام)

إن المصادر المسيحية التي تعرفنا بحياة يسوع الناصري والتي تعترف بها الكنيسة رسميا، هي الأناجيل الأربعة التي وصلت إلينا والمتوفرة بين أيدينا، وهي البقية الباقية من عدد أكبر منها كثيرا، كانت في وقت ما منتشرة بين المسيحيين في القرنين الأول والثاني للميلاد[1].

والأناجيل الأربعة الموجودة بين أيدينا اليوم هي: إنجيل متى، إنجيل مرقس، إنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا؛ وفيما يلي جدول للتعريف بهذه الأناجيل يشتمل على إسم الكاتب، والسنة التي كتب فيها الإنجيل، واللغة التي كتب بها، ثم الفئة المخاطبة به أو التي كتب لأجلها:

---

[1] - ول ديورانت: قصة الحضارة: مرجع سابق : الجزء الثالث من المجلد الثالث [قيصر والمسيح] ص 206.

الكاتب	السنة	اللغة	الفئة المخاطبة
متى	نحو 60م نحو 70م	الأرامية اليونانية	اليهود المسيحيون من أصل يهودي
مرقس	64 - 67م	اليونانية	المسيحيون من أصل وثني
لوقا	63 - 65	اليونانية	المسيحيون من أصل وثني
يوحنا	95 - 100م	اليونانية	المسيحيون قاطبة

ولقد اقتصرنا في البحث على أهم الأحداث التي سبقت أو تزامنت مع ميلاد المسيح وظروف حياته، فيما بعد، والتي رأينا فيها صلة بموضوع الخلاص، أو التمهيد لظهور المخلص:

إن إرهاصات كثيرة كانت توحي من البداية بأن يسوع سيكون له شأن من بني إسرائيل، ولكن ماهو الشأن؟ إن تفسيرات كثيرة يمكن أن توضع كإجابات عن هذا السؤال:

- هل سيكون مسيحا مخلصا لإسرائيل من أعدائه؟
- أم سيكون مسيحا إلها لله فاديا للبشر ومخلصا لهم من الخطيئة؟
- أم سيكون مسيحا نبيا مرسلا من قبل الله، رسالته إصلاح ما فسد من عقائد بني إسرائيل وطباعهم؟

ميلاد يسوع:

الملاك يبشر مريم العذراء بميلاد يسوع:[1]

يروي لوقا في إنجيله عن بشارة الملاك للعذراء مريم بميلاد السيد يسوع فيقول:

"إن الله أرسل الملاك جبريل إلى مدينة في الجليل يقال لها الناصرة إلى فتاة مخطوبة لرجل من بيت داود إسمه يوسف، يبشرها أنها ستحمل وتلد ابنا، ويوليه الرب عرش أبيه داود،

---

[1]- جاء ذكر هذه البشارة في القرآن الكريم، في قوله تعالى: (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه إسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين) صدق الله العظيم، آية 45 سورة آل عمران
وقال تعالى: (قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا. قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا. قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا.) الآيات 19 ـ 20 ـ 21 سورة مريم.

وهو يخلص شعبه من خطاياهم فدخل إليها الملاك وقال: السلام عليك يا ممتلئة نعمة الرب معك مباركة أنت في السماء"[1]

وعندئذ داخل مريم إضطراب شديد ونال منها الخوف، وسألت ما معنى هذا السلام، فقال لها الملاك:

"لا تخافي يا مريم، فإنّك قد نلت نعمة عند الله، وها أنت تحبلين وتلدين إبنا وتسمينه يسوع، وهذا سيكون عظيما، وسيعطيه الرب الإله عرش أبيه داود ويملك آل يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه إنقضاء".[2]

إن كاتب الإنجيل أراد ان يربط بين شخص يسوع وبين المسيح الذي ينتظره بنو إسرائيل، فأضفى عليه الصفات التي انتهت إليها العقلية الإسرائيلية في رسمها لشخص ذلك المسيح المنتظر؛ فهو:

- ابن داود
- وملك يورثه الرب ملك داود
- ملكه لا إنقضاء له، رمزا للقوة والحماية التي يضمنها له الرب.
- كما أن الإسم يسوع وهو اسم علم مركب أصله العبري يهوشع، وهو مكون من كلمتين هما: يهوه وهو إسم الله عند اليهود، وكلمة يوشع ومعناها المخلص، ومعنى الكلمة مركبة الله يخلص. هذا الإسم يظهر من خلاله أن رسالة يسوع هي خلاص شعب إسرائيل.

وبعد هذا إحتارت مريم لهذا الأمر وسألت الملاك:" كيف يكون هذا وأنا لم أعرف رجلا؟"[3]

فأجابها الملك:

" إن روح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك ولذلك فالقدوس منك يدعي ابن الله"[4]

وعندها اطمأنت مريم ورضت بقضاء ربها وسلمت له قائلة:

---

[1]- إنجيل لوقا الإصحاح الأول / 28

[2]- إنجيل لوقا الإصحاح 1 / 30 - 33

[3]- ورد هذا في قوله تعالى على لسان مريم (كيف يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا)

[4]- إنجيل لوقا الإصحاح 1 / 35

هذا ما يقوله النصارى في مصادرهم عن عيسى عليه السلام، أما في مصدرنا نحن المسلمين (القرآن الكريم) فهو عبد الله ورسوله، وهو منسوب إلى أمه مريم (عيسى بن مريم).

وتعظم الرب نفسي، وتبتهج، روحي بالله مخلصي، لأنه نظر إلى تواضع أمته فها منذ الآن تطو بني جميع الأجيال، لأن القدير صنع بي عظائم واسمه القدوس ورحمته إلى أجيال وأجيال للذين يتقونه"[1]

الملاك يبشر يوسف بميلاد يسوع:

يذكر متى في إنجيله أن مريم العذراء كانت مخطوبة ليوسف، وقد عرف أنها حامل من قبل أن يتماسا، وكان يوسف بارا، فلم يرد أن يشهر بها، ولكنه عزم على أن يطلقها سرا، وما أن بيت نية ذلك حتى تراءى له ملاك الرب في الحلم، وقال له:

"يا يوسف بن داود، لا تخف أن تأتي بإمرأتك مريم إلى بيتك إن الذي كون هو من روح القدس، وستلد ابنا فسمه يسوع، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم ... فلما قام يوسف من النوم فعل كل ما أمره ملاك الرب..."[2]

ويذكر لوقا أن مريم صعدت مع خطيبها من الجليل من الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود والتي تدعى بيت لحم لتسجيل نفسيهما لأنه صدر في تلك الأيام أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتب جميع سكان فلسطين (أن يحصوا) وبينما كانا هناك تمت أيام ولادتها، فولدت إبنها البكر[3].

وقد اختلفت الأناجيل في تحديد ميلاد المسيح عليه السلام، كما اختلف المؤرخون أيضا في تحديده، إن متى ولوقا يحددان ميلاده بالأيام التي كان فيها هيرودس ملكا على بلاد اليهود، أي قبل العام الثالث قبل الميلاد.

ويذكر ول ديورانت الإختلافات الكثيرة في هذا الموضوع، والتي وقع فيها المؤرخون كما وقعت فيها الكنائس على إختلاف إتجاهاتها، فيقول:

"لسنا نعرف اليوم الذي ولد فيه بالتحديد، فبعض المؤرخين يحدده باليوم التاسع عشر من أبريل، وبعضهم بالعاشر مايو، ويحدده كلمنت الإسكندري (حوالي 100م) بالسابع عشر من نوفمبر من العام الثالث ق.م.وكان المسيحيون الشرقيون يحتفلون بمولد المسيح في اليوم السادس من شهر يناير من القرن الثاني بعد الميلاد، وفي عام 354م احتفلت بعض الكنائس الغربية ومنها كنيسة روما بذكرى مولد المسيح في الخامس والعشرين من ديسمبر، وكان هذا التاريخ قد عد خطأ

---

[1]- إنجيل لوقا الإصحاح 1 / 44 - 50

[2]- إنجيل متى الإصحاح 1 / 20 - 25

[3]- إنجيل لوقا الإصحاح 22 / 1 - 7

يوم الإنقلاب الشتائي الذي تبدأ الأيام تطول بعده، وكان قبل هذا يحتفل فيه بعيد متراس أي مولد الشمس التي لا تقهر، واستمسكت الكنائس الشرقية باليوم السادس من يناير واتهمت أخواتها الغربية بالوثنية، وبعبادة الشمس، ولكن لم يكد يختتم القرن الرابع حتى اتخذ اليوم الخامس والعشرين من ديسمبر عيدا للميلاد في الشرق أيضا"[1]

ويضفي كتاب الأناجيل على حادثة ميلاد المسيح بعض الخوارق والمعجزات[2] التي سبقت أو صاحبت الحادثة، والتي أرادوا أن يبرزوا من خلالها الصفة المسيحانية ليسوع، ومهمته الخلاصية التي يمارسها بين اليهود، فيذكر لوقا أنه وبعد أن وضعت مريم ولدها ظهر ملاك الرب لجمع من الرعاة وقال لهم:

"لا تخافوا ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب وأنه ولد لكم في مدينة داود ولدا و هو مضطجع في مذوذ، وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماويين يسبحون الله ويقولون: المجد لله في العلى، وعلى الأرض السلام للناس الذين بهم المسترة"[3]

ويذكر نفس الكاتب حادثة أخرى ترسخ الصفة المسيحانية ليسوع، ذلك أنه لما تمت ثمانية أيام ختن الصبي وسمي يسوع كما سماه الملاك من قبل أن تحبل به أمه.

و<عندما اكتملت أيام التطهير وحسب شريعة التوراة، صعدت به أمه رفقة يوسف خطيبها إلى أورشليم ليقربا ذبيحة على حسب ما قيل في الشريعة، وكان في ذلك الوقت رجل في أورشليم إسمه سمعان وهو رجل كما يروي لوقا صديق تقي، كان ينتظر مجيء المسيح، وكان أوحي إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت حتى يعاين مسيح الرب. وكان لما دخل الطفل يسوع أن حمله سمعان على ذراعيه، وقال:

"الآن تطلق عبدك أيها الرب على حسب قولك بسلام فإن عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته أمام وجوه الشعوب كلها، نورا ينجلي للأمم، ومجدا لشعبك إسرائيل".[4]

---

[1]- ول ديورانت: مرجع سابق: قيصر والمسيح الجزء III من المجلد III ص 212 و 213.

[2]- عقد الشيخ محمد أبو زهرة مقارنة بين أضفاه الهنود على كرشنا وما يضفيه النصارى على يسوع، ومقارنة أخرى بين ما أضفاه البوذيون على بوذا وما يضفيه النصارى على يسوع.

- يراجع محمد أبو زهرة: مقارنات الأديان - الديانات القديمة - الصفحات من 30 إلى 42.

[3]- إنجيل لوقا الإصحاح 2 / 10 - 14

[4]- إنجيل لوقا الإصحاح 2 / 16 - 18

المجوس ويسوع:

إن كاتبا[1] من أصحاب الأناجيل، حينما أراد أن يظهر الصفة العالمية لمسيحيانية يسوع ورسالته الخلاصية، جاء بحكاية انفرد بها دون غيره، تلك التي تقول: إن ثلاثة من المجوس ـ من المشرق ـ كانوا يرقبون نجوم السماء، فبدا لهم نجم شديد التألق فجاءوا إلى اليهودية، يهديهم النجم، ولما وصلوا إلى أورشليم سألوا أين ولد ملك اليهود؟

وسمع هيرودس ذلك فارتاع وجمع الكهنة والكتبة وسألهم أين يولد المسيح؟

فقالوا: " في بيت لحم" فأحضر هيرودس المجوس وسألهم عن مجيئهم، فقالوا: إنهم رأوا نجما في المشرق هداهم إلى هنالك فجاءوا بهدايا أحبوا أن يقدموها لملك اليهود الذي ولد، فأمرهم أن يذهبوا إلى بيت لحم ويبحثوا عن الطفل، وأن يعلموه به، فذهبوا إلى بيت لحم وسجدوا للطفل وقدموا الهدايا، وخافوا على الطفل من هيرودس، فلم يرجعوا إليه، بل ذهبوا إلى بلادهم، ولما لم يعودوا على هيرودس اكتشف أنهم سخروا منه، فأمر بقتل كل طفل ولد في بيت لحم.[2]

ذهاب يوسف ومريم بيسوع إلى مصر:

لما علم يوسف النجار خطيب مريم بقرار هيرودس والمتمثل في قتل كل طفل يولد في بيت لحم، قرر أن يخرج بالطفل يسوع بعيدا عن بيت لحم، وقد أمر في منامه بأن يذهب بالطفل وأمه إلى مصر، فقام وأخذ الطفل وأمه وذهب بهما إلى مصر، واقاموا بها إلى أن هلك هيرودس، ولما هلك أمر يوسف في نومه ثانية بأن يأخذ الطفل وأمه إلى بلادهما، لأن الذين كانوا يطلبون قتله قد هلكوا فرجع وسكن في المدينة الناصرة.[3]

يسوع بين العلماء:

من الأحداث التي تذكرها بعض الأناجيل عن طفولة عيسى عليه السلام، والتي يضفي من خلالها كاتبو هذه الأناجيل، على شخص يسوع، الأبعاد الخلاصية لوجوده، والتي تظهر تميزه على الصبية في مثل سنه، يروي لوقا أن يوسف ومريم كانا يذهبان كل سنة إلى أورشليم

---

[1]ـ متى

[2]ـ عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء ـ مكتبة رحاب الجزائر 1987 ص385 ـ 386.

[3]ـ إنجيل متى الإصحاح 2 / 13 ـ 23.

في عيد الفصح، ولما بلغ يسوع اثنتي عشرة سنة، صعدوا إليها عملا بالسنة في العيد، وبعد إنقضاء أيام العيد، بقي الصبّي يسوع في أورشليم دون أن يعلم يوسف ومريم به، وكانا يظنان أنه في القافلة، وبعد مسيرة يوم أخذا يبحثان عنه عند الأقارب والأصدقاء، فلم يجداه، وعندما رجعا إلى أورشليم يبحثان عنه، وجداه بعد ثلاثة أيام في الهيكل جالسا بين العلماء يستمع إليهم ويسألهم، وكان سامعوه معجبين به أشد الإعجاب، بذكائه وإجاباته قائلين: كيف أوتي مثل هذا الصبي هذا العلم وهو حدث لم يتعلم القراءة؟ فعنفته أمه مريم قائلة: يا بني لم صنعت بنا ذلك؟ فأجاب يسوع: ألا تعلمين أن خدمة الله يجب أن تقدم على الأب والأم؟ ثم نزل مع أمه ويوسف إلى الناصرة.[1]

وبعد هذه الحادثة، لا تذكر الأناجيل شيئا ذا أهمية عن يسوع من سن الثانية عشرة إلى التاسعة و العشرين، ويعلق الأستاذ ول ديورانت على هذه النقطة بالذات، فيقول:"ولا يذكر أصحاب الأناجيل إلا القليل الذي لا يغني عن شباب المسيح"[2]

وهذا النقص الكبير في الأناجيل عن شباب المسيح عيسى عليه السلام، هو الذي فتح الباب لإجتهادات كثيرة تحاول رسم معالم شخصية عيسى في شبابه، وقد أطلق البعض العنان لخياله ليرسم تلك الصورة، فقال:

"ولقد كان يوسف نجارا، وإنّ ما كان في ذلك العصر من توارث المهن ليوحي بأن يسوع قد احترف هذه الحرفة اللطيفة وقتا ما، وكان يعرف من ينتمي إلى حرفته من الصنّاع، كما كان يعرف الملاّك، ورؤساء الخدم، والمستأجرين والأرقاء، وكل ما كان يحيط به في الرّيف، ويتردّد ذكر هؤلاء جميعا في أحاديثه ... وكان ذا عقل يقظ ... لكنّه لم يتعلم تعليما منتظما ... وكان يتردّد على المجمع الديني، ويستمع إلى تلاوة الكتاب المقدّس ... وفي تعاليمه المتأخرة أثر كبير من رؤى المسيح الموعود ويوم الحشر ومملكة السماء.[3]

ورغم هذه المحاولات وغيرها، التي نسجها الخيال، فإن أصحاب الإختصاص في تاريخ الأديان يعترفون بفقرهم إلى المصادر التي تقدم حياة عيسى في الفترة الممتدة بين سني إثنتي عشرة سنة وتسع وعشرين، ويقولون بأنها تبقى حلقة مفقودة المعالم.[4]

---

[1]- إنجيل لوقا الإصحاح 2 / 41 - 51

[2]- ول ديورانت - قصة الحضارة ج3 . م3 ص 214.

[3]- المرجع السابق ص 214 - 215

[4]- Jacques Guillet Jesus dans la foi des premiers disciples Desclee PARIS 1995 page 35

إن الأناجيل تنتقل مباشرة من فترة الطفولة إلى غاية بلوغ يسوع ثلاثين سنة، فتذكر بعض الأحداث من حياته، والتي نذكر منها:

تعميد يسوع:

كان يوحنا المعمدان يبشر بقرب مجيء المسيح ويعمّد الناس من خطاياهم بالإغتسال في نهر الأردن. وقد جاء يسوع من الجليل إلى الأردن، قاصدا يوحنا ليتعمد على يده، فجعل يوحنا يمانعه، فيقول:

(أنا أحتاج إلى الإعتماد على يدك أو أنت تأتي إلي؟)

فأجابه يسوع:

(دعني الآن وما أريد فهكذا يحسن بنا أن نتم كل بر، فتركه وما أراد).[1]

ويظهر من خلال ما تذكره الأناجيل عن دعوة يوحنا المعمدان ودعوة المسيح عيسى عليه السلام، أن دعوة الأول كانت تمهيدا لدعوة الثاني، وأن الدعوتين إشتركتا في نفس الطابع وهو الطابع الروحي، والذي تمحور أساسا حول الحث على تعجيل التوبة، والعودة إلى اللّه، والإستعداد للدخول في السماء، وإن كانت دعوة المسيح قد احتلت حجما أكبر داخل المجتمع اليهودي،واهتماما ازيد عند أفراده.

---

[1]- إنجيل متى الإصحاح 3 / 13 - 15

المبحث الثالث:

رسالة يسوع ودعوته:

لم تدم رسالة يوحنا المعمدان طويلا، فقد فوجئ هذا النّبي ـ ذات يوم ــ بجنود هيرودس أنيباس في معتكفه، يلقون القبض عليه، ذلك أن هيرودس كان يتوجس خيفة من أن تتخذ دعوة يوحنا ذريعة لحركة ثورية، وتذكر المصادر المسيحية تهمة أخرى، ومؤداها أن يوحنا أنّب هيرودس، منددا بإستهتاره الخلقي المشين، الذي دفعه إلى التعلّق بهيروديا، زوجة أحد إخوته فخطفها منه، وعاش معها دون توّرع ولا تحرج، فأوعزت هذه المرأة إلى عشيقها بأن ينتقم لها من يوحنا لتهدأ ثائرتها، فسجنه لمدة ثم أعدمه في سجنه، وربما ينسجم التفسير الأخير لنهاية يوحنا المعمدان مع ما ورد ذكره في القرآن الكريم من أسباب قتل بني إسرائيل لأنبياء الله ورسله، جاء هذا في قوله تعالى:

(أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون).[1]

وقد بدأت رسالة عيسى عليه السلام بعد هذه النهاية المأساوية للنبي يوحنا المعمدان: ولم تذكر الأناجيل الشيء الكثير عن رسالة عيسى، وقراءة متأنية فاحصة للأناجيل خاصة الثلاثة الأولى منها، تكشف لنا عن الطابع الذي إتخذته تلك الرسالة. إن عيسى يكون قد استمد دعوته من العهد القديم، وهو لا يعدو أن يكون حلقة من حلقات سلسلة أنبياء بني إسرائيل، جاء في إنجيل لوقا:

(فقال ما هو مكتوب في الناموس (العهد القديم) كيف تقرأ، فأجاب وقال: تحبّ الرّب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قدرتك، ومن كل فكرك وقريبك مثل نفسك).[2]

وفي نفس السفر ورد ذكر الوصايا العشر التي جاءت في سفر الخروج منسوبة إلى موسى، (أأنت تعرف الوصايا العشر، لا تزن، لا تقتل، لا تسرق، لا تشهد الزور، أكرم أباك وأمك).[3]

كما تكثر في العهد الجديد، وخاصة الأناجيل الأربعة الإستشهادات بفقرات من العهد القديم، والتي استعملها يسوع في مواعظه وأحاديثه مع الناس، وقد صرح يسوع نفسه في عدة مواضع بأنه لم يأت لإلغاء شريعة موسى، بل جاء لإكمالها:

---

[1]ـ سورة البقرة الآية 86.

[2]ـ الإصحاح 10 / 26

[3]ـ إنجيل لوقا الإصحاح 18 / 20

(لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة والأنبياء، ما جئت لأبطل بل لأكمل.)[1]

إن عيسى لم يكن يعتبر نفسه صاحب دعوة تخالف الشريعة الموسوية، غريبة عن دعوات الأنبياء الذين سبقوه، بل كان على اعتقاد راسخ بأن رسالته جزء من بناء كبير كان قد شرع فيه أنبياء آخرون، وفي هذا يقول ول ديورانت:

(وقد ظل يسوع زمنا طويلا لا يرى نفسه إلا أنه أحد اليهود، يؤمن بأفكار الأنبياء، ويواصل عملهم، ويجري على سنتهم، فلا يخطب إلا في اليهود.)[2]

ولئن كانت دعوة المسيح قد اتخذت بعدا مميزا هو البعد الروحي فإنها لم تكن من حيث الشكل بدعا من تلك الدعوات الكثيرة التي سبقه بها أنبياء كثيرون في بني إسرائيل، وإننا نستأنس هنا بما ذهب إليه الأستاذ جنيبر حينما تكلم عن دعوة عيسى وعلاقتها بالدعوات السابقة:

(إن عيسى بدعوته إنما كان يجدّد تلك السلسلة من أنبياء بني إسرائيل التي انقطعت بعد العودة من المنفى والتي حاول أن يصل حلقاتها ــ من قبله ـ أنبياء آخرون منهم، المعمدان، فقيامه بالدعوة مهما بدا أول الأمر أصيلا مبتكرا، ليس في الواقع ظاهرة إستثنائية أو غريبة من ناحية الشكل)[3]

وإنّ ما ذهبنا إليه بأن دعوة المسيح هي حلقة في سلسلة طويلة من دعوات أنبياء بني إسرائيل، ينسجم مع ما ورد في شأن تلك الدعوة في القرآن الكريم، حيث يقول الحق تبارك وتعالى:"وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين".[4]

الخلاص في دعوة عيسى:

إن فكرة الخلاص في دعوة عيسى عليه السلام أساسية، وجوهرية، إنها محور تلك الدعوة، ويمكن بشيء من إمعان النظر، وتدقيق البحث، أن نميز بين جانبين للخلاص في دعوة عيسى، وهما كالآتي:

---

[1]- إنجيل متى الإصحاح 5 / 17

[2]- ول ديوانت: مرجع سابق جIII، مIII ص 229.

[3]- شارل جنيبر ـ مرجع سابق ص37.

[4]- سورة المائدة / 46

الأول: التصدي لمعوّقات الخلاص ومنها:

أ ـ التعصب الديني عند اليهود: ذلك أن اليهود قد طال عليهم الأمد، فقست قلوبهم، وحرفوا شريعة الله التي جاءهم بها موسى عليه السلام وانحرفوا عن الطريق الواضح، وما أقامهم عليه الأنبياء من السبيل السوي، وخرجوا إلى الإفراط والتفريط.

فمن إفراطهم في مراعاة التوراة وإخراجها عن روحها المراد للّه تعالى، أنهم كانوا يتحرجون من عمل الخير في السبت باعتباره يوم عطلة لا يجوز العمل فيه، ففوتوا بذلك طاعات كثيرة بتلك الحجة[1]، لذلك جاء المسيح ليرد اليهود عن ذلك التتطع المفضي إلى تعطيل الخير في ذلك اليوم، إنه تمسك بالمظاهر والطقوس على حساب طهارة النفس والقلب، ومما جاء في هذا الصدد، ما أورده متى في إنجيله:

(في ذلك اليوم ذهب يسوع في السبت بين الزروع فجاء تلاميذه فجعلوا وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون، فلما رآهم الفريسيون قالوا له: هو ذا تلاميذك يفعلون ما لا يحل أن يفعل في السبت. فقال لهم: أما قرأتم ما فعل داود حين جاع هو والذين معه، كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذي لا يحق له أكله ولا للّذين معه إلاّ للكهنة وحدهم أو قرأتم في الناموس أن الكهنة في السبت يدنسون السبت في الهيكل ولا يكون عليهم ذنب، وأنا أقول لكم إن ههنا أعظم من الهيكل.)[2]

وجاء في إنجيل مرقس على لسان المسيح:

(إن السبت جعل للإنسان وما جعل الإنسان للسبت.)[3]

ب ـ ومن تفريطهم تهالكهم على المادة واستغراق حبّ المال تفكيرهم، فقد كان الكهنة يدفعون عامة الناس والفقراء والمحتاجين إلى تقديم القرابين والنذر إلى الهيكل ليستولوا على المال بعد تقديمه، مع أن النذرين والباذلين في أشدّ الحاجة إلى ما يبذلون ليصرفوه على أنفسهم وعيالهم، فكان من أبعاد رسالة المسيح الخلاصية أن يخفف من هذه الأنانية في الكهنة ورجال الدين، وقد جاء في هذا الشأن:

(أيها الكتبة والفقهاء إنكم تضعون على عواتق الآخرين أحمالا لا يطاق حملها، ولكنكم أنفسكم لا

---

[1]ـ عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء ـ مكتبة رحاب ـ الجزائر 1987 ص 392

[2]ـ إنجيل متى الإصحاح 12 / 1 ـ 6

[3]ـ إنجيل مرقس الإصحاح 2 / 27

تحركونها بإحدى أصابعكم.)[1]

ج ـ كما واجه عيسى عليه السلام العادات المشينة للعبادات، والتي كان يمارسها أناس مستغلون، وكان العامة يتبعونها بدافع التقوى، ومن ذلك أنه طرد الباعة من الهيكل في أورشليم، وهذه الحادثة أوردها متى في إنجيله:

(واقترب فصح اليهود فصعد يسوع إلى أورشليم فرأى في الهيكل باعة البقر والغنم والحمام والصيارفة جالسين إلى طاولاتهم، فصنع مجلدا من حبال وطردهم من الهيكل مع الغنم والبقر، ونثر دراهم الصيارفة وقلب طاولاتهم، وقال لباعة الحمام: ارفعوا هذا من ههنا ولا تجعلوا من بيت أبي تجارة.)[2]

كل أولئك كانت أحوالهم تستدعي إصلاحا قويما ومصلحا مخلصا، فجاء المسيح عيسى عليه السلام لتخليصهم جميعامن الأوحال التي غرقوا في حمأتها، فكان كما رأينا يوبخهم ويعنفهم.

وإن مواقف يسوع من هذه الطوائف والجماعات سيكون لها أثر كبير فيما بعد على حياته ورسالته، عندما يكيدون له، ويحضرون لكيفية التخلص منه.

الثاني: التبشير بقرب مملكة الله

كما سبق الحديث، فإنه كان في اليهود فريق الصدوقيين، الذين يقولون لا توجد قيامة ولا نشر ولا حساب، ولا عقاب، وأن جزاء الأعمال الصالحة أن يبارك الله لصاحبها في الدنيا وجزاء الأعمال الرديئة أن يعاقبه الله في الدنيا، فكان من أبعاد رسالة عيسى الخلاصية أن يرد هؤلاء وأتباعهم من اليهود إلى عقيدة اليوم الآخر وهو يوم الجزاء وأن يثبت الإيمان بها في قلوبهم، ويحذر الناس من زيغهم، وتبع هذا، التبشير باقتراب ملكوت السماوات، أو ملكوت الله، والتي ستكون خلاصا لليهود مما هم فيه من فساد بمختلف الأشكال والصور.

ولقد أوضح يسوع في تعاليمه أن مملكة الله ستكون انقلابا عظيما يطهر العالم من الظلم والشر، وأن موعدها قريب:(توبوا، قد اقترب ملكوت السماوات)[3] ووصفها في موضع آخر، لأتباعه بأنها ليست من هذا العالم، فلا سبيل إلى التفكير في المنافع المادية التي اعتاد اليهود أن يتطلعوا إليها، فقد ذكر يوحنا:

---

[1]- إنجيل برنابا: تحقيق سيف الله أحمد فاضل ـ دار القلم ـ الكويت ـ الطبعة الثانية 1983 الفصل 32 / 19 ـ 20

[2]- إنجيل متى الإصحاح 20 / 13 ـ 16

[3]- إنجيل متى الإصحاح 4 / 13 ـ 17

(أجاب يسوع إن مملكتي ليست من هذا العالم.)[1]

ومن هذا يتخذ الخلاص في رسالة يسوع الطابع الروحي، فالذين يدخلون ملكوت السماء هم من زكت أرواحهم وتطهرت من دنس الخطايا والآثام:

(طوبى للمساكين بالروح فإن لهم ملكوت السماوات)[2]

إن دخول ملكوت السماوات ونيل الخلاص يتطلب درجة من التقوى والبر بعيدا عن الرياء والطقوس الشكلية التي اعتاد الناس عليها.

(إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين فلن تدخلوا ملكوت السماوات)[3]

ولا يكفي من يسعى إلى نيل الخلاص، القول فقط بل يجب عليه أن يكون خاضعا في حياته لإرادة الله، منتهجا السبيل القويم مصلحا لنفسه، مجاهدا لها:

(ليس كل من يقول يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات لكن الذي يعمل إرادة الذي في السماوات هو يدخل ملكوت السماوات)[4].

ودخول ملكوت السماوات كما بين ذلك يسوع في موضع آخر، يتطلب من المرء أن يتجرد من كل الأوصاف والعادات التي يتشبع بها المجتمع الذي يعيش فيه، والتي تشوه فطرته التي خلقه الله عليها، وأن يعود إلى فطرته تلك في صفائها، فيكون كالأطفال الصغار في براءتهم وطهر نفوسهم ونقاء سرائرهم، جاء في ذلك:(في تلك الساعة دنا تلاميذ يسوع وقالوا: من الأعظم في ملكوت السماوات فدعا يسوع صبيا وأقامه في وسطهم، وقال: الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الصبيان فلن تدخلوا ملكوت السماوات، فمن وضع نفسه مثل هذا الصبي فذاك هو العظيم في ملكوت السماوات.)[5]

ونيل الخلاص ودخول مملكة الله لن يكون بحكم الإنتساب إلى إبراهيم وإسحاق فلا شفاعة للنسب إن لم يرتفع الإنسان بعمله بهذا صرح يسوع قائلا لبني إسرائيل:

(أقول لكم إن كثيرين يأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السماوات)[6].

---

[1]- إنجيل يوحنا الإصحاح 18 / 36

[2]- إنجيل متى الإصحاح 5 /3

[3]- إنجيل متى الإصحاح 5 / 19

[4]- إنجيل متى الإصحاح 7 /21

[5]- إنجيل متى الإصحاح 18 / 1 ـ 4

[6] إنجيل متى الإصحاح 8 / 11.

ولذلك فعلى اليهود أن يفكروا في طريق آخر ليصلوا به إلى الخلاص غير طريق الإنتساب إلى إبراهيم.

طريق الخلاص في دعوة يسوع:

جاء في موعظة يسوع على الجبل، والتي توجه به إلى الجموع الكثيرة التي كانت تتبعه بعد أن دخل أورشليم، بيان لسبيل الوصول إلى الخلاص، والدخول في مملكة السماوات، والذي نورده هنا ملخصا في نقاط وقف عندها يسوع في موعظته للناس.

لقد استهل يسوع موعظته بما يصطلح عليه المسيحيون بـ "التطويبات" والتي تمجد:

- الوداعة
- فعل الخير
- نقاء القلب
- حب السلم والسلام
- تحمل الأذى في سبيل الخير

ثم دعا إلى جملة من الأخلاق التي هي الباب الذي يوصل إلى الخلاص ومنها:

- الابتعاء عن الزنا، العفة
- ترك الحلف بغير الله
- عدم مقاومة الشر بالشر
- البعد عن الرياء
- ترك عبادة المال بالجري خلفه

"لا تقدرون أن تعبدوا الله والمال"[1]

- الثقة في الله
- الإهتمام بالآخرة وترك الإهتمام بالأكل والشرب (الدنيا)
- الإنشغال بعيوب النفس وترك الإنشغال بعيوب الآخرين

"ما بالك تنظر القذى الذي في عين أخيك وتغظي للخشبة في عينك"[2]

- الإبتعاد عن إدانة الناس

---

[1]- إنجيل متى الإصحاح 6

[2]- إنجيل متى الإصحاح 7

وإن المتأمل في ما دعا إليه المسيح عليه السلام، وما دعا إليه رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام ليعلم أن كل منهما خرج من مشكاة واحدة.

إن ما دعا إليه عيسى عليه السلام فيه تصحيح للعقيدة، وتقويم للسلوك، وهما معا سبيل الخلاص والنجاة عند الله سبحانه وتعالى، الخلاص من المصير المظلم الذي ينتظر كل ظالم لنفسه معتد على حدود الله تعالى وشرعه، يقول السيد المسيح في موعظته للناس:

(فكل من يسمع كلامي هذا ويعمل به يشبه رجلا حكيما بنى بيته على الصخر، فنزل المطر وجرت الأنهار وهبت الرياح واندفعت على ذلك البيت، فلم يسقط لأن أساسه كان على الصخر. وكل من يسمع كلامي هذا ولا يعمل به يشبه رجلا جاهلا بنى بيته على الرمل فنزل المطر وجرت الأنهار وهبت الرياح، وصدمت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيما."[1]

وإن سبيل الخلاص لا يلتزم به إلا القليل، لأنه مراقبة دائمة للنفس، وجهاد دائم لها، فهو سبيل يصعب على أصحاب النفوس الضعيفة التي تستسلم للشهوات، يقول السيد المسيح عليه السلام في وصف سبيل الخلاص بعد أن ذكره:(ادخلوا من الباب الضيق، لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك والداخلون فيه كثيرون، ما أضيق الباب وأحرج الطريق الذي يؤدي إلى الحياة وقليلون الذين يجدونه.)[2]

وإن كلام السيد المسيح هذا يصدقه ما ورد في الأثر (حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات).

إنه لمن الصعوبة بمكان أن يجد حديث يسوع عن الخلاص وسبيل الوصول إليه، صدى في أوساط شعب اعتاد أن يحلم بخلاص من نوع آخر، خلاص مادي دنيوي: يحقق لليهود آمالهم

في إعادة بناء ملكهم الذي تهدم على أيدي الرومان وغيرهم، وفي قهر الشعوب المجاورة والسيطرة عليها، وبناء الهيكل في مدينة أورشليم، أين هذه الأحلام من حديث يسوع عن الروح ووجوب تطهيرها، ومن حديثه عن العفة والإبتعاد عن الرياء، والتمسك بفعل الخير، والرحمة، والسلم وتحمل الأذى؟ وأين هي من حديثه عن ملكوت السماء؟

إن تصور اليهود لطبيعة الخلاص وسبيله، وتصور المسيح لهما مختلفان تماما، وإن هذا الإختلاف في التصور سيكون من الأسباب التي حركت اليهود للقضاء على المسيح ودعوته.

---

[1]- إنجيل متى الإصحاح 7

[2]- إنجيل متى الإصحاح 7

يسوع ومسيح إسرائيل:

بعد أن أنهى يسوع موعظته على الجبل، اتبعته جموع كثيرة، وكان على رأس تلك الجموع التلاميذ الإثنا عشر[1]، وأخذت هذه الجموع تنظر إلى يسوع على أنه المسيح المخلص المنقذ، وراح الناس يطرحون الأسئلة قائلين:

ألعله المسيح؟: "هلموا انظروا رجلا قال لي كلّ ما صنعت أليس هو المسيح؟ "[2]

وربط آخرون بين صفات يعرفونها عن المسيح المنتظر وبين يسوع:

"هذا في الحقيقة هو النبي، وقال آخرون هذا هو المسيح، وقال آخرون: لعل المسيح يأتي من الجليل؟ ألم يقل الكتاب إنه من نسل داود من قرية بيت لحم؟ حيث كان داود يأتي المسيح."[3]؟

وطرح سؤال آخر يفيد هذا المعنى نفسه:"أليس هذا ابن داود"[4]

على اعتبار أن المسيح المنتظر يكون من نسل داود كما تقدم ذكره، وفي موضع آخر ألح عليه بعض أتباعه طالبا أن يعلن هو بصراحة عن نفسه:

"فأحاط به اليهود وقالوا له حتى متى تريب أنفسنا إن كنت أنت المسيح فقل لنا علانية"[5]

واعترف الكثير من أتباعه، صراحة بانه المسيح، وعلى رأسهم تلاميذه

جاء في إنجيل يوحنا:

(فوجد سمعان أخاه فقال له قد وجدنا ماشيح الذي تأويله المسيح ...

ووجد فليبس نتنيائيل فقال له إن الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء قد وجدناه، وهو يسوع من الناصرة ... أجاب نتنيائيل وقال يا معلم أنت ابن الله أنت ملك إسرائيل"[6]

---

[1]- يسميهم القرآن الكريم الحواريين، قال الله تعالى:

"كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله، قال الحواريون نحن أنصار الله" سورة الصف / 14

[2]- إنجيل يوحنا الإصحاح 4 / 29

[3]- إنجيل يوحنا الإصحاح 7 / 40 ـ 43

[4]- إنجيل متى الإصحاح 12 / 23

[5]- إنجيل يوحنا الإصحاح 10 / 24

[6]- إنجيل يوحنا الإصحاح 12 الفقرات 41، 45، و49

موقف يسوع:

وقع يسوع بين موقفين كلاهما مر وصعب:

الأول: أن السلطات اليهودية كانت قد اتفقت على أن تطرد من المجمع كل من يعترف بأنه المسيح:

"كان اليهود قد تعاهدوا على أن كل من يعترف بأنه هو المسيح يخرج من المجمع"[1]

الثاني: أن الجماهير علقت آمالها المسيحانية عليه، فهي تتطلع إليه معلنة أنه ابن داود "وفيما هو مجتاز من هناك تبعه أعميان يصيحان ويقولان ارحمنا يا ابن داود"[2]

"وإذ بامرأة كنعانية قد خرجت من تلكم التخوم تصيح وتقول:

"ابن داود ارحمني فإن ابنتي بها شيطان يعذبها جدا"[3]

واتخذ يسوع موقفا متحفظا، ولم يقر يوما لنفسه بلقب المسيح، كما يرى الأستاذ شارل جنيبر[4]، ما عدا في إنجيل يوحنا حيث ذكر أن المرأة قالت: قد علمت أن ماشيح الذي هو المسيح آت فمتى جاء ذاك فهو يخبرنا بكل شيء، فقال يسوع:

أنا المتكلم معك هو".[5]

ويعلق الأستاذ شارل جنيبر على هذا النص من إنجيل يوحنا وما يشبهه بقوله: (وأكثر النصوص صراحة في نسبة صفة المسيح إلى عيسى هي أقلها صمودا أمام النقد)[6]

وفي رواية لمرقس أن يسوع أوصى تلاميذه الإثني عشر أن لا يخبروا أحدا بأنه هو المسيح:

"فقال لهم وأنتم من تقولون إني هو، أجاب بطرس قائلا: أنت المسيح فانتهرهم أن لا يقولوا عنه لأحد"[7]

ويعود الأستاذ جنيبر إلى التعليق على هذا النص قائلا:

---

[1]- إنجيل يوحنا الإصحاح 9 / 22

[2]- إنجيل متى الإصحاح 9 / 27

[3]- إنجيل متى الاصحاح 15 / 22

[4]- شارل جنيبر: المسيحية نشأتها وتطورها ص41

[5]- إنجيل يوحنا الإصحاح 4 / 25 - 26

[6]- شارل جنيبر: مرجع سابق ص 39

[7]- إنجيل مرقس الإصحاح 8 / 29 - 30

(وإننا لنجد نفس الشك تجاه ما يسمى بـ "سر البعث" أي تلك الوصية التي يروي إنجيل مرقس أن عيسى أوصى بها تلاميذه في مناسبات مختلفة مع كثير من التشدد والإلحاح بأن لا يفشوا شيئا مما قد يتخيلونه أو يكشف لهم عنه، عن حقيقة مكانته" ثم يضيف الأستاذ متسائلا:"ماهو الهدف الذي كان يبتغيه من إخفاء حقيقة شخصيته والتكلم عن رسالته في نفس الوقت الذي كانت فيه دعوته إلى حاجة ملحة إلى إعلان سرها لتحقيق مغزاها"[1]

ويؤكد الباحثون في العصر الحديث نتيجة واحدة، وهي أن يسوع لم يصرح قط بأنه هو المسيح المنتظر.[2]

وإننا وبعد فحص ما نسب إلى المسيح قوله في هذا الموضوع، وما قيل عنه، بتأمل ما كان سائدا من تصور اليهود عن المسيح المنقذ نذهب إلى القول بأن يسوع لم يصرح بأنه هو المسيح لسبب واحد وهو أنه كان يخشى أن يتصور اليهود أنه جاء ليكون ملكا عليهم يقودهم إلى الخلاص الذي كانوا يتصورونه والمتمثل في التحرر من الرومان ومحاربة الشعوب الأخرى والسيطرة عليها والإستيلاء على ممتلكاتها، أما هو في حقيقة أمره فكان مسيحا منقذا بتصور آخر للخلاص، خلاص الروح.

نهاية حياة يسوع ورسالته عند المسيحيين:

حسب روايات الأناجيل الأربعة فإن يسوع لم يتحدث إلى الشعب باللغة التي كان يود أن يسمعها منه، كان يسوع داعيا إلى التأمل في نفس، وإلى حب الخير، وإلى التواضع، والإيمان العميق بالله، والإستعداد للدخول في مملكته؛ بينما كان اليهود يترقبون دعوة إلى الصراع المسلح، وإعلانا للجهاد الأكبر والأخير الذي يكون بالإنتصار الخالد لإسرائيل؛ إنه لم يقل لهم "قوموا فالمسيح الذي اختاره يهوه معكم" بل قال لهم:"مهدوا - بالتوبة - ليوم الحساب القريب" إنه لم يصرح قط بوجوب الثورة أو بقرب إنتصار شعب الله المختار على سائر الأمم.
ولم يكن حديثه ليثير صدى أهل فلسطين المتلهفين إلى يوم الإنتصار الموعود.[3]

---

[1]- شارل جنيبر: مرجع سابق ص 42.

[2]- ALBERT NOLAN: Jesus avant le christianisme traduit de l'Anglais par Jean Marie Dumartier les éditions ouvriers Paris 1979 page 129

[3]- شارل جنيبر: مرجع سابق ص 214.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية، رأى علماء الدين في يسوع رجلا جاهلا متطاولاعليهم، يعتقد أن الحكمة يمكن أن تحل محل العلم، وأن البصيرة يمكن أن تغني عن المنطق، لقد كان يتحدث إليهم في ثقة وقوة لأنه كان يشعر بتأييد من الله في نفسه، ولم تكن عاطفته الدينية الفطرية إلا لتتصادم مع تفكيرهم المتشبث بالتدقيق إلى أقصى الحدود في الأمور الدينية، فكان من الطبيعي أن يناصبوه العداوة، كما كان كهنة القدس والطبقة الممتازة من اليهود يعتبرونه أكثر الفوضويين خطورة، وأضرهم بمصالحهم، كان في نظرهم خطرا عليهم لأن دعوته كانت من شأنها أن تثير في نهاية الأمر بين جموع الشعب حركة من تلك الحركات العنيفة التي يتشدد الرومان في قمعها، والتي تقلق فتنتها راحة بال أهل المعبد، ولأنه أيضا، كان يتحدث إلى الطبقات الدنيا من الناس بقصص ومقارنات لا يمكن أن يؤدي مغزاها إلا إلى إظهار عيوب طبقة رجال الدين وإضعاف مركزهم.

وهكذا تكون عدة أسباب وعوامل قد اجتمعت لتضع في آخر الأمر يسوع ودعوته أمام تحديات كبيرة، إن الجبهات التي يصارع فيها يسوع كثيرة، وأصحابها لهم هدف مشترك هو إسكات هذا الصوت المرتفع، صوت يسوع لأنه كان مصدر قلق وإزعاج بالنسبة لهم.

القبض على يسوع:

اجتمع مجمع الكهنة السنهدريين برئاسة الحاخام الأكبر الذي قال: (إنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب، ولا تهلك الأمة كلها)[1]. ووافقت أغلبية الحاضرين رأي الحاخام الأكبر، وأمر المجمع بإلقاء القبض على يسوع، وبعد القبض عليه مثل أمام الكاهن الأكبر ـ حنان ـ فسأله عن تعليمه وتلاميذه فأجابه يسوع:

"إني كلمت الناس علانية، وإني علمت دائما في المجمع والهيكل حيث يجتمع اليهود كلهم، لم اقل شيئا في الخفية، فلماذا تسألني انا سل الذين كانوا يسمعوني عما كلمتهم به فهم يعرفون ما قلت"[2]

---

[1]- إنجيل متى الإصحاح 26 / 50 ـ 56 وإنجيل لوقا الإصحاح 22 / 51 ـ 52 وإنجيل مرقس الإصحاح 14 / 50 ـ 52 وإنجيل يوحنا الإصحاح 18 / 10 ـ 12

[2]- إنجيل يوحنا الإصحاح 18 / 19 ـ 21

ولم يكن من العسير على أعضاء المجمع ورئيسه أن يدينوا يسوع ويرفعوا أمره إلى الحاكم الروماني، وأن يقنعوه بخطر هذا الرجل من أهل الجليل، وبضرورة وضع حد للفوضى التي يثيرها حفاظا على النظام.

سيق يسوع إلى بيت الحاكم الروماني بيلاطس، الذي سأل من جاءوا به عن تهمته، ثم عرض عليهم أن يحاكموه بحسب الشريعة اليهودية، ولكنهم رفضوا ذلك بحجة أنه ليس من حقهم أن يعاقبوا أحدا بالموت ثم أخذوا يتهمونه:"وجدنا أن هذا الرجل يفتن أمتنا، وينهى عن دفع الجزية إلى قيصر، ويزعم أنه المسيح الملك"[1]

وبعد هذا انفرد بيلاطس بيسوع واستجوبه ثم أرسله إلى هيرودس لما عرف أنه من الجليل، ولكن هيرودس رده إلى بيلاطس الذي حاول أن يخلي سبيله، لكن اليهود صاحوا إن خليت سبيله فلست صديقا لقيصر، لأن كل من يجعل نفسه ملكا يخرج على قيصر.[2]

وهذا اجتهاد من محرري الأناجيل لإبراء ذمة الحاكم الروماني وإلقاء تبعة الجرم كلها على اليهود، وهذا رغبة منهم في عدم إثارة السلطات الرومانية، في عصر لم يكن النصارى يجدون ملجأ سواها أمام كراهية أهل المعابد اليهودية.

وبعد أن أحس بيلاطس وأدرك تصميم اليهود على موقفهم إزاء يسوع أمر بإخراجه وقال لليهود هذا هو ملككم فصاحوا:

اقتله، اقتله، أصلبه، قال لهم بيلاطس: أصلب ملككم؟ فأجاب الأحبار: لا ملك علينا إلا قيصر.[3]

وتذكر الأناجيل الأربعة أنه كان في عادة الحاكم في كل عيد أن يطلق صراح سجين، أي واحد أرادوا، وقد كان عند الحاكم سجين شهير يدعى برأبا، فخيرهم بيلاطس بين أن يطلق سراح يسوع أو برأبا، فحرض الكهنة الشعب على أن يطلق برأبا ويهلك يسوع، وعندها سألهم بيلاطس: وما ذا أفعل بيسوع؟ قالوا جميعا: ليصلب[4]

وتذكر الأناجيل أيضا أن بيلاطس وبعد إصرار اليهود على صلب يسوع، أخذ ماء وغسل يديه بمرأى من الجمع وقال: أنا بريء من هذا الدم، أنتم وشأنكم فيه، فأجاب الشعب بأجمعه:

---

[1]- إنجيل لوقا الإصحاح 23 / 2

[2]- إنجيل يوحنا الإصحاح 19 / 12

[3]- إنجيل يوحنا الإصحاح 19 / 16 / 17 وإنجيل متى الإصحاح 27 / 24 - 26

[4]- إنجيل متى الإصحاح 27 / 15 - 23

دمه علينا وعلى أولادنا، ثم أطلق لهم برأبا أما يسوع فأسلمه ليصلب.[1]

نحن المسلمون نعتقد اعتقادا جازما أن عيسى عليه السلام لم يصلب، فالقرآن الكريم ورغم إثباته لمحاولة الصلب، إلا أنه نفى مسألة صلب عيسى نفيا قاطعا، قال تعالى: (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا)[2].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]- أنجيل مرقس الإصحاح 15 / 22 - 24

[2]- النساء / الآية 157

الفصل الرابع

الخلاص في المسيحية بعد عيسى عليه السلام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:

- يسوع وأتباعه:

لقد هال أتباع يسوع الناصري وتلاميذه خاصة، تعذيبه وصلبه، ولكنهم كانوا على يقين من أن يسوع الناصري هو المسيح الذي وعدت به إسرائيل، وأنه يجلس إلى جانب الرب في السماء، وقد دفعهم هذا اليقين إلى البحث عن معان عميقة لمراحل حياته المتواضعة ونجاح دعوته المحدود، وطريقة تعذيبه الوضيعة. كما دفعهم إيمانهم إلى أن يستخرجوا التعاليم والتنبؤات من أقل الحوادث والأحاديث شأنا، وأن يطبقوا على أستاذهم كل نصوص التوراة التي قيل أنها تتعلق برسول يهوه المبارك الموعود فيجدوا في حياته مصداق ما أنبأت به هذه النصوص. وهكذا كان خيالهم بدافع التقوى، يزين الأحداث ويصبغها في إطار من التعليقات والإضافات التي يفرضها إيمانهم، وكأنها من لوازم سيرته، وكأنها حقيقة لا شك فيها، تبرز وتحدد طبيعته وعمله بوصفه النبي المنتظر.

يقول أحد الباحثين: " لقد كان هم محرري الأناجيل في الجيل المسيحي الأول هو إظهار يسوع على أنه هو المسيح المنتظر الذي جاء لخلاص اليهود أولا ثم العالم بعد ذلك"[1]

وهذا الرأي هو ما تذهب إليه الدراسات النقدية الحديثة للأناجيل، يعلق أحد النقاد الغربيين على هذا الموضوع قائلا:

"إن الأناجيل والعناصر التاريخية الموجودة في العهد الجديد نسخت حتى تبين حال يسوع أثناء الحقبة التي عاشها، مشكلة نوعا أدبيا جديدا في العصر القديم. هذا النوع الأدبي هو بشارة تدعو إلى الإهتداء بأن يسوع هو المسيح، إذن فهذا الإنتقال أو التحول من يسوع إلى المسيح هو الذي يشكل خاصية هذه الرواية".[2]

---

[1] - شارل جنيبر: مرجع سابق ص 27.

[2] - Sous la direction de FRANCOIS REFOULE
Initiation a la pratique de la theologie dogmatique: éditions du cerf. Paris 1982.Tome I page 309

وإن البحث النقدي لرواية العهد الجديد يجعلنا نقول إن هذه الرواية على اختلافها تأخذ منطقيتها من نهايتها، وفحوى هذه النهاية مشكل من الصلب والآلام، الشيء الذي جعل بعض الباحثين في تاريخ الأناجيل يقول: "إن الأناجيل هي تواريخ للألم مع مقدمة مفصلة" [1]

فنهاية يسوع المؤلمة بالنسبة للنصارى طبعا كانت نقطة تحول كبير في أذهان أتباعه، هذا التحول الذي كان كبيرا غير فيما بعد وجه رسالة يسوع كلية.

فلم ترق هذه النهاية أتباعه وراحوا ينسجون بخيالهم نهاية أخرى له، إذ لا يمكن حسب تصورهم أن تكون تلك نهاية للمسيح المنقذ المخلص. ولاشك أنهم قالوا في أنفسهم: لا يمكن أن يكون عيسى قد تنكر لنا، ولا يمكن أن يكون موته أمرا نهائيا.[2]

وهكذا نسج خيالهم مسألة قيامة عيسى وبعثه، فتروي الأناجيل أن ملاك الرب نزل من السماء وجاء إلى الحجر الذي على قبر يسوع فدحرجه وجلس عليه، وقد عاينت مريم المجدلية التي كانت ذاهبة لقبريسوع لتطيبه، ذلك المنظر، فجاءت مسرعة إلى بطرس الحواري قائلة: "أخذوا الرب من القبر ولا نعلم أين وضعوه".[3]

وقد عاين بطرس وتلميذ آخر القبر، فلم يجدوا يسوع، وتروي الأناجيل الأربعة أن يسوع بعد قيامه من قبره تراءى لتلاميذه عدة مرات، فيروي يوحنا أيضا أنه تراءى لهم على شاطئ بحيرة طبرية، وتناول معهم الخبز والسمك. وكانت تلك المرة الثالثة التي تراءى فيها يسوع لتلاميذه بعد قيامته من بين الأموات".[4]

ويحاول بعض اللاهوتيين المسيحيين أن يفسر هذه الرؤية فيعطيها مدلولا آخر فيقول: "يبدو لنا أن كلمة (رأى) لها معنى دقيق، وهو المشاهدة بالعين، ومع ذلك يقبل المعنى دقائق كثيرة، فحين يشرح لنا أحد أمرا معقدا، نقول أحيانا بعد التفكير: (الآن صرت أرى)".[5]

ورغم هذا التبرير فإن الأناجيل تصرح برؤية يسوع، ولقد أصبحت مسألة قيامة يسوع من قبره، من بين الأموات بعد ثلاثة أيام، عقيدة من عقائد النصارى، وكانت دعامة عقيدة القيامة والبعث هذه تصريح التلاميذ الذين قالوا: لقد رأيناه، لقد بعثه الله.

---

[1]- ALBERT NOLAN. Jesus avant le christianisme. page 149.

[2]- شارل جنيبر: مرجع سابق ص50

[3]- إنجيل يوحنا الإصحاح 2/20

[4]- إنجيل يوحنا 21 / 1 - 14

[5]- الأب اسطفان شربنتيه: المسيح قام: دراث المشرق، بيروت 1986 ص 39.

ولكن من الحق لنا أن نسأل لماذا قال أتباع يسوع بإخراجه من عالم الأموات وبعثه ... إن لم يكن قد خصه بدور أساسي في حادث جلل لاشك أن يكون؟

تجيبنا نصوص العهد الجديد عن ذلك، أما الحادث الجلل فهو ولاشك حلول مملكة الله التي وعد بها يسوع. وأما الدور الذي اختص به للأجيال أنه دور المسيح المرتقب.

ويوجد نصان من نصوص مجموعة أعمال الرسل يسمحان لنا بأن ننفذ إلى الشريان النابض لتفكير الحواريين في هذه المسألة:

أما النص الأول فهو الذي يثبت فيه الرسل مسألة القيامة:"هذا المسمى بعيسى، لقد أقامه الله، وأنا جميعا على ذلك شهداء"[1]

ويأتي النص الثاني في مغزى الحدث ودور عيسى، فيعلن: "فليعلم يقينا جميع آل إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه سيدا ومسيحا"[2]

وإن مسألة القيامة ودور يسوع المسيحاني، من وجهة النظر العقائدية للديانة النصرانية لها أهمية قصوى، نجد الدلالة عليها في أول رسالة وجهها القديس بولس إلى أهل كورنتس:

"إن لم يكن المسيح قد بعث، فإيماننا لا سبيل له" وإن كان المسيح لم يقم، فإيمانكم باطل وأنتم بعد في خطاياكم" [3]

ويعلق الأستاذ شارل جنيبر على هذا قائلا:

"لو لم يكن إيمان الحواريين التلاميذ بقيامة أستاذهم لما كانت المسيحية"[4]

وفي نفس الموضوع يقول باحث آخر:"إن عيسى لولا موته وقيامته لما دخل قط في سجل التاريخ"[5].وهكذا وبسبب عقيدة القيامة والبعث أصبح الإيمان بيسوع أساس دين جديد، لم يلبث أن إنفصل عن اليهودية واتخذ، في نظر الناس، صورة الطريق الإلهي إلى الخلاص.

وما دام الأتباع قد قبلوا مبدأ القيامة في إيمانهم، فلم يكن لهم بد من أن يبادروا إلى إعلان شأن هذا الإيمان وإلى إعادة تنظيمه. وهذا التنظيم الجديد للعقيدة يبدأ بإعلان أن عيسى لم يمت إلا ليبعث ويقوم من بين الأموات. فالقيامة أصبحت في العقيدة الجديدة هي الدلالة الكبرى

---

[1]- أعمال الرسل الإصحاح 32/2

[2]- أعمال الرسل الإصحاح 36/2

[3]- رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتس 17/15

[4]- شارل جنبير: مرجع سابق ص 51

[5]- BERNARD Rey Jesus le christ page 30

على التشريف الذي خص به عيسى، ثم أصبح الموت: السر الأعظم والنهاية المحتومة والهدف الأول من حياة عيسى كلها؛ فعيسى الناصري جاء في هيئة رجل ألهمه الله بكثير من المعجزات وبعمل الخير، وقتله الأشرار. إلا أنه كان هو المسيح المختار، وقد بين الله ذلك إذ بعثه من بين الأموات في اليوم الثالث، وسوف يعود في مجده السماوي ليقيم المملكة التي وعد بها.

وبهذا كان التحول الرهيب في رسالة عيسى، فقد كانت فكرة قرب حلول مملكة الله أساس دعوة عيسى، أما دعوة أتباعه فقد تحولت إلى فكرة أساسها أن عيسى هو المسيح الموعود، وأنه هو سبيل الخلاص، وأن عودته إلى الدنيا قريبة ووشيكة.

وإن كان هذا التحول الكبير في رسالة المسيح قد تم وخرجت دعوته عن مضمونها وإذا كنا نعتقد انطلاقا من عقيدتنا بأن الحواريين تلاميذ المسيح ـ أنصار عيسى المسيح ـ لم يكونوا ليغيروا مجرى رسالة نبيهم، فإنه يحق لنا أن نسأل من كان وراء هذا التحول وهذا التغير لوجه رسالة عيسى بن مريم عليه السلام ومضمونها؟.

إنه ومما يكاد يكون موضع إجماع بين الباحثين في تاريخ الديانة النصرانية أن رجلا يدعى شاوول ـ بولس ـ هو الذي كان وراء تحويل خط مسير الديانة النصرانية[1] من الوجه الذي عرفناه في دعوة عيسى إلى الوجه الذي نعرفها به اليوم.

ومما تفرضه علينا منهجية البحث منا التعرف على هذه الشخصية التي أثرت في الديانة النصرانية، وأن نتعرف أيضا على أهم التغيرات التي أحدثها على دعوة المسيح، والأهم أن نعرف كيف فهم الخلاص؟ وكيف أصبح مفهوم الخلاص عند بولس مفهوما للخلاص في المسيحية؟

---

[1]ـ نقول هذا تجاوزا، لأن لولا التغير الذي أحدثه شاوول في دعوة المسيح، لما كنا نسمع بديانة إسمها النصرانية، فعيسى نفسه لم يعلن إستقلاله عن اليهودية بدين جديد.

المبحث الثاني

شاوول (بولس) والنصرانية:

* شخصية شاوول (بولس-PAUL)

ولد شاوول حسب المرجح في بداية القرن الأول للميلاد في طرسوس من مقاطعة قليقية (Celicie)[1]، بآسيا الصغرى، من عائلة يهودية مقيمة بالمهجر، تدعي أنها من سلالة سبط بنيامين، وكانت ذات شأن تمتعت بحقوق المواطنة الطرسوسية والرومانية مع إحتفاظها بيهوديتها، فكان بكل ذلك معدا إعدادا تاما لإدراك وتفهم التطلعات الدينية لدى يهود المهجر الذي يؤمنون بعيسى كما آمن به هو، ولدى المتتلمذين عليهم من الطوائف الدينية المختلفة.[2]

وكان يتحدث بلغة اليونان ويكتبها منذ نشأته الأولى، وذهب في صباه إلى القدس حيث تأدب [لدى قدمي جملئيل][3]، على حد تعبيره أحد كبار شيوخ بني إسرائيل، ولهذا لا نستغرب أن نجد في تفكيره طابعا مزدوجا فيه أثر المقولات والأساطير الإغريقية، والمفاهيم وأساليب التأويل التي أخذها عند الربانيين.[4]

وكان شاوول قبل اعتناقه المسيحية فريسيا حسب ما يقول هو عن نفسه في أعمال الرسل:"أنا يهودي فريسي بن فريسي على رجاء قيامة الأموات" [5] وبهذا كان عدوا لدودا للمسيحيين "فإنكم قد سمعتم بسيرتي قديما في ملة اليهود كيف كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأدمرها"[6].

ويذكر لوقا في أعمال الرسل أن شاوول كان يضطهد المسيحيين ويسطو على الكنيسة:

---

[1]- د/ عبد المجيد الشرفي - الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع هجري/العاشر ميلادي. الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر سنة 1986 ص 48.

[2]- شارل جنيبر: مرجع سابق ص 69

[3]- سفر أعمال الرسل، الإصحاح 3/22

[4]- د/ عبد المجيد الشرفي: مرجع سابق ص 49

[5]- أعمال الرسل الإصحاح 6/23

[6]- رسالة بولس إلى أهل غلاطية الإصحاح 13/1

" وكان شاوول راضيا بقتل المسيحيين، وكان يسطو على الكنيسة ويدخل البيوت، ويجر رجالا ونساء ويسلّمهم إلى السجن"[1].

ويقول أيضا:

" وكان شاوول لا يزال يقذف تهديدا وقتلا على تلاميذ الرب فأقبل إلى رئيس الكهنة، وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناسا من هذه الطريقة رجالا أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم" [2]

* تحول شاوول إلى النصرانية:

رغم عداء شاوول الشديد للمسيحيين، فإنه لم يلبث أن تحول إلى صفهم، وكان تحوله هذا مفاجئا. وحسب ما يذكر في أعمال الرسل فإنه كان نتيجة لصراع داخلي مبهم، وأزمة دينية عنيفة لا يتحدث عنها هو إلا تلميحا، انتهت إلى رؤيا حاسمة، حيث أيقن بولس أنه التقى بالسيد المسيح أو تلقى عنه كلمات واختص منه بالتشريف الأعظم: أن يكون من الحواريين، وذلك خلال رحلة له قاصدا بها دمشق: "وفيما هو منطلق وقد قرب من دمشق أبرق حوله بغتة نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتا يقول له: شاول شاول لم تضطهدني، فقال: من أنت يا سيد؟ قال: أنا يسوع الذي تضطهده فقال وهو مرتعد منذهل: يا سيد ماذا تريد أن أصنع؟ فقال له يسوع: قم وادخل المدينة وهناك يقال لك ماذا ينبغي لك أن تصنع، أما الرجال المسافرون معه فوقفوا مبهوتين يسمعون الصوت، ولا يرون أحدا. فنهض شاوول عن الأرض ولم يكن يبصر شيئا، وعيناه مفتوحتان، فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق، فلبث ثلاثة أيام لا يبصر ولا يأكل ولا يشرب"[3]

ويسرد لوقا في أعمال الرسل وقائع هذا الحدث الهام في حياة شاوول و تاريخ النصرانية، إلى أن يقول:"وللوقت أخذ يكرز [يبشر] في المجامع بيسوع".[4]

وبهذا تحول شاول إلى المسيحية وأصبح معلما لها، وتم ذلك بهذا النسق الذي يصدقه قومه ويراه آخرون قصة من نسج الخيال لم يجد حبكها.

---

[1]- أعمال الرسل / الإصحاح 3/8

[2]- أعمال الرسل / الإصحاح 9 / 1 - 2

[3]- أعمال الرسل الإصحاح 9 / 3 - 5

[4]- أعمال الرسل الإصحاح 9 / 20

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق أن شاول لم يلتق بيسوع مدة حياته، لذلك لم تكن تأملاته عن شخص يسوع وتعاليمه لتحدها آفاق الذكريات والواقع كما هو الحال بالنسبة إلى الإثني عشر من الحواريين الذين بدأوا الدعوة، وأن آراءه لتبدو عميقة إذا ما قورنت بتلك التي اكتفى بها إيمان الإثني عشر حتى بعد تطوراته الأولى.

وقد ساعد شاول على القيام بالدعوة للمسيحية الجديدة صفات كان يتميز بها ومنها:

1 ـ الروح الحماسية الوثابة

2 ـ المنطق البين المدرب على المناقشة

3 ـ التفكير العملي الحي والعزيمة التي لا تقهر والتي تفرض فرضا رسالة صاحبها وآراءه.

ويصفه أحد الباحثين، ويعدد الميزات التي جعلت منه داعية إلى المسيحية مؤسسا لكنيستها قائلا:

"أما عقله فكان من طراز شائع كثيرا بين اليهود: كان فيه من نفاذ البصيرة، وشدة الإنفعال أكثر مما فيه من الدماثة والظرف، وكان فيه من الإحساس القوي والخيال أكثر مما فيه من نزاهة الحكم والنظرة الموضوعية إلى الأشياء، وكان قويا في العمل لأنه كان ضيق التفكير ..... قادرا على الجد والتنظيم، صبورا إلى أقصى حد في تأسيس العشيرة المسيحية والمحافظة عليها"[1]

وإلى جانب هذه الملكات المميزة نجد أن شاول كان في وضع يلائم تحقيق عمله كل الملاءمة، فقد كان يجمع بين مميزات ثلاث جعلت منه أقدر الناس على القيام بهذا الدور:

ـ فقد كان يونانيا، وكان يهوديا، كما كان أيضا رومانيا

* كان بولس يونانيا لأنه تشبع في بيئة طرسوس بشيء من الروح الإغريقية، وتلقى اللغة اليونانية فمنح بذلك أقوى أداة للفكر والعمل وأيسر الوسائل في عصره للتعبير عن الرأي والدفاع عنه.

* وكان يهوديا لأنه تدرج في الثقافة اليهودية لعصره حتى بلغ منها منتهاها، فرسائله تشهد له بمعرفة للنصوص المقدسة مماثلة لتلك التي يعرف بها علماء اليهود، كما يتضح من رسائله هذه، مؤلف أخذ الكثير من الفرسيين في تكوينه الفكري.[2]

---

[1]ـ ول ديورانت: مرجع سابق ج3 م3 ص 251

[2]ـ شارل جنيبر: مرجع سابق ص 83

* وأضاف شاوول إلى هاتين الميزتين ميزة ثالثة غالية ألا وهي تمتعه بالجنسية الرومانية، او بتعبير آدق: حصوله على صفة "المواطن الروماني" وهي ميزة ذات نفع كبير متعدد الجوانب، كانت تحميه من الإنزلاق إلى تعصب يهود فلسطين القومي الذي اتصف بضيق الأفق وكراهية الأجنبي، كما كانت تدعوه إلى العالمية في التفكير والعمل، ليرتفع بعد ذلك بالأمل الذي ظهر بين طائفة محدودة من اليهود إلى مرتبة الأديان الإنسانية.

ولهذا كان التفكير الديني لدى شاول ينطوي على آراء ومدركات تجمعت لديه من مصادر مختلفة، وإن كان له هو الفضل في التعبير عنها ونقلها والتبشير بها، وأهم ما كان يميز البيئة التي نشأ فيها بولس إنّها بيئة مشبعة كثيرا بفكرة "الخلاص" القائمة على شفاعة أو وساطة إله يموت ثم يبعث، ويشاركه أتباعه في مصيره، إذ يتحدون به، لا بالإيمان القوي فحسب، ولكن أيضا بالطقوس الرمزية الفعالة، والتي كانت دون شك العنصر الأساس في وصول الأتباع إلى مرادهم، وهذه هي بالذات عقيدة بولس في رسالة ودور السيد المسيح، والتي لم تكن غريبة على الناس في تلك البيئة وذلك العصر.[1]

عمل شاوول - بولس - الحواري

تحول بولس عن اليهودية وأصبح مبشرا بيسوع وكانت دمشق مركز نشاطه الأول، ولم يعتبر نفسه تابعا للحواريين الإثني عشر، فهو لم يتدرب على التبشير بيسوع على أيدي واحد منهم.

والسؤال الجدير بالطرح هنا هو كيف تعلم شاول النصرانية (تعاليم يسوع)؟ وبعبارة أخرى على أيدي من تعلم التبشير بها؟

لقد أيقن شاول أن عيسى نفسه المسيح الممجد، نصبه حواريا بإرادته الخاصة:"وأعلمكم أيها الإخوة أن الإنجيل الذي بشر به على يدي ليس بحسب الإنسان، لأني لم أتسلمه أو أتعلمه من إنسان بل بوحي يسوع المسيح"[2]

لذلك فهو يرفض أن يشكك أحد في هذا التشريف، كما كان يشعر بأنه في غير ما حاجة إلى إرشاد أو نصح من بشر أيا كان.[3]

---

[1]- Jean continat: Vie de saint Paul Apôtre Apostolat des editions PARIS 1964 page 78

[2]- رسالة بولس إلى أهل غلاطية الإصحاح 1 / 11 - 12

وبهذا أخذ بولس زمام التبشير بيسوع ودعوته في يده، فهو لم ير المسيح قط ولم سمعه يتكلم، ولكنه قال بصلة مباشرة بينه وبين المسيح، صلة أدخلته النصرانية وسكبت في نفسه تعاليمها، فلم يعد لأحد الحق في أن يعارضه فيما ينشره من تعاليم، مادام يقول إن هذه التعاليم تلقاها مباشرة من السيد المسيح. وبهذا أحاط نفسه بالضمانات ولم يقيد نفسه بما تلقاه سواه عن يسوع، بل راح يقول في صراحة إنه الوحيد الذي أؤتمن على المسيحية الصحيحة[1]

ففي رسالة بولس جاء قوله:

"وأعلن (الله) كلمته في آونتها بالكرازة التي إئتمنت أنا عليها على موجب أمر مخلصنا الله"[2].

كما أعلن في رسالة أخرى بأنه اؤتمن على إنجيل مجد الله المبارك:"على مقتضى إنجيل مجد الله المبارك الذي أؤتمنت أنا عليه"[3].

كما أعلن في موضع آخر بأن كل ما يخالف ما يقول به من تعاليم كلام باطل، دنس، مخالف للعلم، يتظاهر به قوم إنحرفوا عن الإيمان، ويجب على الناس الإعراض عنه:"ياتيموتاوس احفظ الوديعة وأعرض عن الكلام الملتبس بالبدع وعن مناقضات ما يسمى بالعلم زورا، الذي انتحله قوم فزاغوا عن الإيمان".[4]

وقد كانت التعاليم التي دعا إليها بولس تستند إلى أربع نقاط، قدر لها فيما بعد أن تكون أهم عقائد الديانة النصرانية الحالية، وهي كما يلي:

1 ـ المسيحية ليست دينا لليهود بل هي دين عالمي.

2 ـ التثليث وتبع ذلك ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس.

3 ـ الفداء: أي كون عيسى ابن الله نزل ليضحي بنفسه تكفيرا عن خطيئة البشر لخلاصهم.

4 ـ قيامة عيسى من بين الأموات وصعوده ليجلس على يمين أبيه ليحكم ويدين البشر.

---

[3]- شارل جنيبر: مرجع سابق ص 101

[1]- CHARLES AUGRAIN: PAUL MAITRE de la vie spirituelle
Editions FLEURUS. PARIS 1962 2eme édition page 78

[2]- رسالة بولس إلى تيطس الإصحاح 1 / 3.

[3]- رسالة بولس الأولى إلى تيموتاوس الإصحاح 1 / 11

[4]- رسالة بولس الأولى إلى تيموتاوس الإصحاح 6 / 20 ـ 21

وسنعرض هنا إلى عقيدة الفداء لأنها تشكل جوهر فكرة الخلاص عند بولس والمسيحية الحالية، وقبل ذلك نتعرض إلى النقطة الأولى وهي عالمية الديانة المسيحية التي لها صلة بموضوع الخلاص والفداء.

* شاول وعالمية المسيحية:

ينقسم الجنس البشري في تصور محرري العهد القديم إلى قسمين، يخصص كاتبو الكتاب المقدس لكليهما تسميات مختلفة، فمن جهة إسرائيل شعب الله ويختص بالإختيار والعهد، والوعود الإلهية بالخلاص، ومن جهة أخرى الأمم أو الجوييم على حد تعبير العهد القديم.هذا التمييز ليس بحسب الجنس فقط، أو من الناحية السياسية، ولكنه تمييز ديني قبل كل شيء. فالأمم تشمل "من لا يعرفون الله" (الوثنيون) ومن لا يشتركون في حياة شعبه (الغرباء). وإن الجدلية التي تدور بين إسرائيل والأمم تساير تسلسل تاريخ الخلاص كله.[1]

ودعوة عيسى لم تكن إلا دعوة محلية خاصة باليهود، فالمسيح عيسى يصرح في كثير من المواضع في الأناجيل بأنه لم يأت إلا لبني إسرائيل، وأنه لا يخرج عن حدود اليهودية في إعلان الإنجيل وإتمام المعجزات:"لم أرسل إلا إلى الخراف الضالة من آل إسرائيل"[2] ويصرح في موضع آخر باستعمال المثل كما هو معروف فيما ينسب إلى المسيح من كلام:"فلا يحسن أن يؤخذ خبز البنين فيلقى إلى جراء الكلاب.

وفي موضع آخر يوصي المسيح رسله الإثني عشر الذين بعث بهم لتبليغ رسالته بأن لا يخرجوا عن حدود شعب اسرائيل " هؤلاء الإثني عشر أرسلهم يسوع وأمرهم قائلا: إلى ذريق الأمم لا تتجهوا ومدن السامريين لا تدخلوا، بل انطلقوا بالحري إلى الخراف الضالة من آل اسرائيل"[3]

لكن هذه الدعوة المحلية الخاصة بشعب إسرائيل ما لبثت أن تغير وجهها بعد أن أصبح شاول بشيرا بها، لقد أصبحت دعوة إلى ديانة عالمية تشمل جميع الناس، هذا ما يعلنه شاول في رسالته إلى أهل أفسس:"أنكم كنتم بغير مسيح أجنبيين عن رعوية إسرائيل، عن عهود الموعد بلا رجاء وبلا إله في العالم. أما الآن فأنتم الذين كانوا حينا بعيدين قد صرتم في المسيح يسوع

---

[1]- تحت إشراف المطران: أنطونيوس نجيب: معجم اللاهوت الكتابي دار المشرق - بيروت لبنان الطبعة الثانية 1988 ص103

[2]- إنجيل متى الإصحاح 15 / 24

[3]إنجيل متى الإصحاح 10/5-6

قريبين بدم المسيح لأنه هو سلامنا هو جعل الإثنين واحدا ونقض في جسده حائط السياج الحاجز أي العداوة ".[1]

وعلى هذا الأساس لن يكون الخلاص بعد الآن وقفا على بني إسرائيل دون سواهم، وسيجمع مجددا في النهاية شعب واحد لله يستعيد العالمية الشاملة الأولى فتتوثق الإنسانية في يسوع المسيح ولن يكون هناك يهودي ولا مسيحي:

"لأنكم أنتم جملة من اعتمدتم في المسيح قد لبستم المسيح، ليس يهودي، ولا يوناني، ليس عبد ولا حر، ليس ذكر ولا أنثى لأنكم جميعكم واحد في المسيح يسوع".[2]

ذلك لأن اليهود والوثنيين قد تصالحوا بفضل يسوع المسيح فهم يكونون بشرية واحدة، وسر هذه الوحدة يتحقق في الكنيسة في إنتظار إكتماله في السماء.

وقد لاقى بولس صعوبات كبيرة في نشر هذه الفكرة وخاصة من اليهود وعلى رأسهم بطرس الحواري حيث جرت بين هذا الأخير وبين بولس مواجهة في أنطاكية، واتّهم بولس بطرس بالرياء[3].

---

[1]- رسالة بولس إلى أهل أفسس الإصحاح 2 / 12 - 14

[2]- رسالة بولس إلى أهل غلاطية الإصحاح 3 / 27 - 28

[3]- ول ديورانت: مرجع سابق ج3 / م3 ص55

المبحث الثالث

ـ الفداء والخلاص عند بولس

حديثنا عن الخلاص عند بولس، يفرض علينا طرح أسئلة منهجية حتى لا نتيه في شعاب هذه الفكرة التي شغلت حيزا كبيرا من فكر هذا القديس، وهذه الأسئلة يمكن أن نوردها كما يلي:

- ممّ يكون الخلاص عند بولس؟
- كيف يتم هذا الخلاص؟
- من يقوم بعمل الخلاص؟

الخطيئة والخلاص:

الخلاص من أسس العقيدة المسيحية التي أسسها بولس، والذي كثيرا ما عبر عنه بالفداء، وأساس الخلاص عند بولس: أن من صفات الله العدل والرحمة، وبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي إرتكبها أبوهم، وطرد على إثرها من الجنة، واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها، وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر خطيئة البشر، ولم يكن هناك من طريق ـ على حسب لاهوت بولس ـ للجمع بين صفتي العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله ووحيده، هذا الذي قبل أن يظهر في شكل إنسان وأن يعيش كما يعيش الإنسان ثم يصلب ظلما عن خطيئة البشر ويخلصهم.

إذا فالخلاص عند بولس يكون من الخطيئة الأولى، هذه الخطيئة التي كان لها عند القديس أهمية كبيرة وشغلت حيزا كبيرا من تفكيره. فعند بولس، تكون الخطيئة قد دخلت في الجنس البشري بمعصية آدم، وهي أشبه برد فعل انعكس على العالم المادي ذاته، بحيث انتقلت إلى جميع الناس، وعلى هذا النحو فإن الخطيئة التي ارتكبها آدم في الفردوس يعلق عليها بولس قدرا كبيرا من الخطورة، هذه الخطورة التي ظهرت في أن الخطيئة جنبت الجميع إلى الموت، إلى الإنفصال الأبدي عن الله، فالخطيئة لم تتسبّب في الموت الطبيعي فحسب، بل في موت آخر هو أخطر، ألا وهو الإنفصال عن الله، لأن هذا هو الموت الحقيقي، لأن الخطيئة ماهي إلا الإنفصال عن الله، الإنفصال عن منبع الحياة.

فبولس يرجع الموت إلى الخطيئة، وهذا يستدعي شرحا وافيا.

ولنعتمد فيه على نص لبولس في رسالته إلى أهل رومة الفصل 5 الآيات من 12 ـ 14 وهي كما يلي:

الآية 12: ـ كما أن الخطيئة دخلت في العالم على يد إنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، فكذلك سرى الموت إلى جميع الناس، وبناء على ذلك خطئوا جميعا.

الآية 13: ـ فالخطيئة كانت إلى عهد الشريعة، ومع أنه لا تحسب خطيئة على فاعلها إذا لم تكن هناك شريعة.

الآية 14: ـ فقد ساد الموت الناس من عهد آدم إلى عهد موسى، حتى الذين لم يقترفوا خطيئة تشبه معصية آدم، وهو صورة الآتي بعده.

إن بولس في هذا النص يقول:"بالخطيئة دخل الموت" ولا يقول إن آدم هو الذي أدخل الموت إلى العالم، ولكن هي الخطيئة التي سببته، فالخطيئة هي قوة أشمل وأقدم من آدم، هي قوة الموت بغض النظر عن آدم نفسه، هي شوكة الموت، وآدم قد فتح الباب فدخلت الخطيئة، فحسب بولس ، ليس الموت ظاهرة طبيعية تستحوذ بالإنسان والحيوان بقدر ماهو نتيجة لقوة الشر والخطيئة.

وبهذا صار الناس جميعا عبيدا للخطيئة، فهم تحت سيطرتها مباعين لها والحرف الذي يستعمله بولس مرارا هو تحت باليونية (Hypo) تحت سيطرة وسلطة وتأثير الخطيئة[1].

المسيح والخلاص في لاهوت بولس:

إذا كان الناس قد وقعوا تحت سيطرة الخطيئة، وصاروا عبيدا لها، مقيدين بأغلالها، فألا يوجد سبيل للخلاص منها؟

إننا ونحن نقرأ رسائل بولس التي جمعت لاهوته، الذي كان أساس العقائد المسيحية الحالية، وجدناه يجعل من شخص المسيح عيسى عليه السلام محور الفكر الخلاصي في العهدين القديم والجديد معا، فمخطط الخلاص لم يكتمل إلا في عمل يسوع الخلاصي.

وإننا لا نجد في رسائل بولس تفاصيل عن موت المسيح، فلم يعرف المسيح (بحسب الجسد) ـ على حد تعبيره ـ بل جل ما نجده هو لاهوت موت المسيح، ومختصر كلام بولس اللاهوتي هو أن موت المصلوب (يسوع) منبع الخلاص.

---

[1]ـ الأب فاضل سيدراوس اليسوعي: مدخل إلى رسائل القديس بولس دار المشرق 1989 ص 39.

وتفصيل ذلك كما يلي: في العهد القديم، عهد الشريعة يظهر الله في قضية وحكم مع شعبه، لقد خطأ البشر فكانت إدانتهم "فالذين خطئوا وهم بغير شريعة هم الذين يهلكون أيضا بغير شريعة، والذين خطئوا وهم بالشريعة (اليهود) يدانون بالشريعة"[1].

أما العهد الجديد فإنه يظهر بر الله الذي ظهر في يسوع المسيح الذي يخلص البشرية من الخطيئة:

"أما الآن فقد ظهر بر الله بمعزل عن الشريعة، تشهد له الشريعة والأنبياء، وهو بر الله وطريقه الإيمان بيسوع المسيح، لكل من آمن، لا فرق"[2].

وهكذا فالبشر الذين عاشوا زمنا مثقلين بالخطيئة قد عاينوا بر الله الذي يخلصهم منها، ولكي يبرر المتهم ويخلص يجب أن يحكم على الخطيئة ويقضي عليها، وكما قال بولس "فحكم على الخطيئة في الجسد"[3].

وهكذا يتم الخلاص من الخطيئة بموت يسوع المسيح، وهو الشخصية المضادة لآدم الذي استوجب الخطيئة والموت، فبولس كما أرجع الموت إلى الخطيئة، يرجع الخلاص منها إلى بر الله وفضله، وبهذا فهو يصرح في النص الذي اقتطعنا منه فقرات في السابق في معرض حديثنا عن الخطيئة:

الآية 15: ـ ولكن ليست هبة النعمة كمثل الزلة: فإذا كانت جماعة كثيرة قد ماتت بزلة إنسان واحد، فبالأولى أن تفيض على جماعة كثيرة نعمة الله الموهوبة بإنسان واحد، ألا وهو يسوع المسيح.

الآية 16: ـ وليست الهبة كمثل ما جرت من العواقب خطيئة إنسان واحد، فإذا كان الحكم على إنسان واحد قد أفضى بالناس إلى الهلاك، فإن هبة النعمة بعد كثير من الزلات أفضت بهم إلىالبر والخلاص.

الآية 17: ـ فإذا كان الموت قد ساد بزلة إنسان واحد، فبالأولى أن يسود في الحياة يسوع المسيح وحده أولئك الذين تلقوا فيض النعمة وهبة الخلاص.

الآية 18: ـ فكما أن زلة إنسان واحد جرت الهلاك على جميع الناس، فكذلك بر إنسان واحد يأتي جميع الناس بالبر الذي يهب الحياة.

---

[1]ـ رسالة بولس إلى أهل رومة الإصحاح 11 / 32، ينظر كذلك رسالته إلى أهل غلاطية 3 / 22

[2]ـ رسالة بولس إلى أهل روما الإصحاح 3 / 22 ـ 23

[3]ـ رسالة بولس إلى أهل روما الإصحاح 8 / 3

الآية 19: ـ وكما أنه بمعصية إنسان واحد جعلت جماعة كثيرة خاطئة، فكذلك بطاعة واحد تجعل جماعة كثيرة بارة ومخلصة.

الآية 20: ـ وقد جاءت الشريعة لتكثر الزلة، ولكن حيث كثرت الخطيئة فاضت النعمة.

الآية 21: ـ حتى أنه كما سادت الخطيئة بالموت: تسود النعمة من أجل الخلاص والحياة الأبدية بيسوع المسيح.[1]

وهكذا فقد جاء يسوع المسيح ليحرر البشر من الخطيئة والموت. لقد كان موته كفارة للخطيئة التي ورثها البشر عن أبيهم آدم هؤلاء البشر الذين ينؤون بثقل خطاياهم، لا يجدون سبيلا إلى النور الإلهي، إلى الخلاص، وقد أراد المسيح أن يهديهم السبيل، أن يخلصهم، فحمل آثامهم وكفر عنها بعذابه وموته، فالمسيح بموته حرر البشر من عبودية الخطيئة ومنحهم الحرية، وبهذا أصبحت "الفضيحة الكبرى" فضيحة الصلب، هي السر الأعظم والهدف والعلة الأولى لمجيء عيسى برسالته: وليس أدل على هذا من قول بولس بأن عمله التبشيري لم يكن سوى حديث للصليب"[2].

إن مشكلة بولس الرئيسية هي خلاص البشر، ذلك أن الخطيئة تجعلهم في خطر الهلاك، وهذا الخلاص لا يكون إلا بيسوع الذي لم يكن لحياته إلا هدف واحد هو الخلاص، إنه جاء على الأرض ليبحث عن الهالك فيخلصه ليخلص العالم لا ليحكم عليه، وإذا ما تكلم فليخلص البشر، إنه الباب من يدخل منه ينال الخلاص[3].

لقد صلب يسوع المسيح ومات من أجل خلاص البشر، لأن ثمة تضامنا يجعل الواحد يموت من أجل الجميع لخلاصهم، لقد اشترى المسيح البشر وفداهم لأنهم كانوا من قبل مباعين للخطيئة: "فقد اشتريتم وأدي الثمن"[4]

وتم هذا الشراء حسب تعبير بولس بأن صار المسيح ملعونا لنا، فالمسيح افتدانا من لعنة الشريعة والخطيئة إذ صار لعنة لأجلنا بموته على الصليب، فقد ورد في الكتاب "ملعون من علق على خشبة"[5].

---

[1] ـ رسالة بولس إلى أهل رومة الإصحاح 5 / 15 ـ 21

[2] ـ Jean CANTINAT: Les Epitres de Saint Paul Expliquées. Paris 1960 page 52

[3] ـ بإشراف المطران: أنطونيوس نجيب: معجم اللاهوت الكتابي ص323

[4] ـ رسالة بولس إلى أهل قورنتس الإصحاح 6 /20 ينظر أيضا نفس الرسالة الإصحاح 7 /25

[5] ـ رسالة بولس إلى أهل غلاطية الفصل 3 /13 و14

لقد أصبح يسوع في لاهوت بولس، الذبيحة التي كفرت عن خطيئة البشر الموروثة عن آدم، ذلك أننا حين نعود إلى العهد القديم نجد أن الذبيحة التي كان الإسرائيلي يقدمها كانت تكفر عن خطاياه، لأن الذبيحة تعبر عن التوبة، وهناك صور كثيرة عن ذلك مثل "كبش الفداء"، و"حمل الفصح" ... إلخ

أما في العهد الجديد فإن بولس يتحدث عن ذبيحة المسيح التي كانت سببا للخلاص بالقضاء على الخطيئة، والنصوص في هذا الموضوع كثيرة في رسائل بولس نورد بعضها.

"ذبح حمل فصحنا وهو المسيح"[1]

المسيح الذي أحبكم وجاد بنفسه لأجلكم ذبيحة وقربانا لله طيبة الرائحة"[2]

جميع الناس قد خطئوا فحرموا مجد الله، ولكنهم نالوا البر مجانا بنعمته، ويعود الفضل إلى الفداء الذي قام به يسوع المسيح، وجعله الله كفارة في دمه، بالإيمان ليظهر ماهو بره، فقد أغضى بحلمه عن الخطايا الماضية"[3].

وهكذا أصبح المسيح ـ في العهد الجديد ـ الذبيحة الوحيدة والنهائية، والوساطة بين الله والبشر التي لم تعد تحتاج إلى غيرها، ولم يعد الإنسان هو الذي يقدم الذبيحة كفارة عن خطاياه، بل الله هو الذي يقدم الذبيحة كفارة عن خطايا الإنسان، إن الله نفسه هو الذي جاد بإبنه ليكفر عن خطايا البشر بأجمعهم داخل علاقة حب ومصالحة.

لقد انتصر اليسوع بموته على الخطيئة وبذلك وهب الحياة الجديدة المبنية لا على الخطيئة، بل على البر والنعمة والخلاص، وبعبارة أخرى إن إنتصار المسيح على الخطيئة إنتصار على الموت بقدر ما الخطيئة هي سبب الموت، إنه إنتصار على الموت الحقيقي، أي الإنفصال عن الله، ذلك أن الله خلق الإنسان في البر والحياة، وتسببت الخطيئة في أنه أصبح خاضعا للحكم والموت، وهذا ما خلصه المسيح منه، إنه بدل وضع الإنسان كليا ونهائيا، ففي حين كانت الحياة البشرية لا تطاق بسبب الخطيئة، خلصها المسيح بموته على الصليب.

هناك نص من رسالة بولس إلى أهل رومة في هذا الموضوع يقول فيه بولس:

* إذا إتّحدنا به (يسوع المسيح) في موت يشبه موته، فكذلك تكون حالنا في قيامته.
* وإننا نعلم بأن إنساننا القديم قد صلب معه ليزول البشر الخاطئ فلا نظل عبيدا للخطيئة.

---

[1]ـ رسالة بولس الأولى إلى أهل قورنتس الإصحاح 5 /7

[2]ـ رسالة بولس إلى أهل أفسس الإصحاح 5 / 2

[3]ـ رسالة بولس إلى أهل رومة الفصل 3 / 23 ـ 25

* لأن الذي مات تحرر من الخطيئة.

* فإذا كنا متنا مع المسيح فإننا نؤمن بأننا سنحيا معه.

* ونعلم أن المسيح بعدما أقيم من بين الأموات، لن يموت ثانية ولن يكون للموت عليه من سلطان.

* لأنه بموته قد مات عن الخطيئة مرة واحدة، وفي حياته يحيا للّه.

* فكذلك احسبوا أنتم أنكم أموات عن الخطيئة أحياء للّه في يسوع المسيح[1].

وهكذا فإن بولس في بيانه لعمل يسوع الخلاصي، لا يكتفي بأن يظهر محبة الله والمسيح عامة، ولكنه يذهب إلى أبعد وأعمق من ذلك في تبيان العلاقة بين الطرفين فيصبح المؤمن "في" المسيح لا "مع" المسيح، أو تحت سلطة المسيح فقط، وهذا أبعد ما يمكن أن يصل إليه المؤمن في علاقته الشخصية بالمسيح.

ويتم هذا الإتحاد بين المؤمنين والمسيح، حسب بولس بما يلي:

1 - **الإيمان**: أي الإيمان بأن يسوع هو المسيح الذي تحمل عن البشر خطاياهم وخلصهم من الخطيئة الأولى، حيث فداهم بنفسه بموته على الصليب "نحن نؤمن بأن المسيح قد مات وقام، فكذلك نؤمن بأن الذين ماتوا في المسيح سينقلهم الله إليه معه".[2]

2 - **العماد أو التعميد**: وهو طقس الإغتسال والتطهير، وبه يتحد المسيحي بيسوع المسيح:"أما أنتم الذين عمدتم في المسيح فقد ارتديتم المسيح"[3] هذا العماد الذي يمنح المسيحي الحياة الجديدة في المسيح:

"قد اعتمدنا في يسوع، إنما اعتمدنا في موته، فدفنا معه بالمعمودية لنموت فنحيا حياة جديدة".[4]

3 - **الأفخارستيا**: وهي كلمة سادت في الإستخدام المسيحي للدلالة على العمل الذي أسسه يسوع عشية موته، بهذا العمل الحاسم أضفى يسوع على أطعمة بسيطة القيمة (الخبز والخمر) الأبدية القائمة على موته الفدائي، وهو عمل يعد قوام الدين وجوهر تدبيره الخلاصي، ففي تقديم يسوع نفسه على الصليب وفي الأفخارستيا تحقق الإنسانية كلها عودتها إلى الله[5].

---

[1]- رسالة بولس إلى أهل رومة الفصل 6 / 5 - 11

[2]- رسالة بولس إلى أهل تسالونيكي الفصل 4 / 14

[3]- رسالة بولس إلى أهل غلاطية الفصل 3 / 27

[4]- رسالة بولس إلى أهل رومة الفصل 6 / 3 - 5

[5]- معجم اللاهوت الكتابي: ص 85

والأفخارستيا عند بولس تحقق الوحدة بالمسيح الذي يحقق وحدة الإنسانية مع الله:"أليست كأس البركة التي نباركها مشاركة في المسيح؟ أليس الخبز الذي نكسره في جسد المسيح؟ [1]

وهذه المشاركة في الخبز توحد المشتركين في "جسد واحد لأنه ليس هناك إلا خبز واحد، ونحن على كثرتنا جسد واحد لأننا نشترك في هذا الخبز الواحد"[2].

وهذا الإتحاد يدمج المؤمن (المسيحي) في المسيح الذي يجمع هكذا كل شيء في شخصه فيصبح "كل شيء في كل شيء"[3]

وهكذا فقد شعر بولس بضرورة الكشف عن المغزى العميق لتقليد "تناول الخبز جماعة". ولقد وجد له تفسيرا ربطه برباط لا ينفصم إلى عذاب عيسى الذي تحمله لتخليص البشرية، وغمره غمرا بذلك المفهوم الخصب للتضحية من أجل التكفير عن الخطيئة، ومن أجل التقرب والمشاركة في الذات الإلهية، فجعل منه غاية لسر رفيع وتذكرة ورمزا حيا أرادهما عيسى نفسه، فيما زعم بولس، لما لقيه من عذاب على الصلب ويقول في رسالته الأولى إلى أهل قورنتس:

"في الليلة التي سلم فيها أخذ السيد يسوع خبزا، وبعد أن شكر الله كسر هذا الخبز وقال "هذا جسدي وهو لكم، فلتفعلوا ذلك دائما تذكرة لي"، وهكذا تناول الكأس بعد العشاء وقال:"هذه الكأس هي العهد الجديد في دمي، فلتفعلوا ذلك كلما شربتم تذكرة لي"، ذلك أنكم كلما أكلتم من هذا الخبز وشربتم من الكأس كأنما تعلنون موت السيد، حتى يأتي إليكم"[4].فإذا آمن المسيحي بيسوع المسيح، وبعمله الخلاصي، ثم إعتمد وتطهر، وشارك في الأفخارستيا اتحد بالمسيح ونال الخلاص، وأصبح آدما جديدا مخلصا مبرءا من الخطيئة، وهذا الخلق الجديد هو ثمرة موت المسيح وغاية عمله الخلاصي.

المسيح والمصالحة مع الله ـ وجه آخر للخلاص:

كما رأينا فإن تفكير بولس اللاهوتي قاده إلى ما تقدم من النتائج والتي نجملها فيما يلي:

ـ أن الخطيئة دخلت البشر على يد إنسان واحد

---

[1]ـ رسالة بولس الأولى إلى أهل قورنتس الفصل 10 / 16 ـ 17

[2]ـ رسالة بولس إلى أهل قورنتس الفصل 11 / 26

[3]ـ رسالة بولس إلى أهل أفسس الفصل 1 / 10

[4]ـ رسالة بولس الأولى إلى أهل قورنتس الفصل 11 / 24، 25، 26

ـ أن الخطيئة سادت وتسلطت على البشر

ـ أن الشريعة عاجزة عن خلاص الإنسان من الخطيئة، فكلما وجدت الشرائع تكاثرت الزلات

ـ أن غاية وجود يسوع المسيح هي خلاص البشرية من الخطيئة

ـ أن عمل يسوع الخلاصي قد تجلى في موته مصلوبا فداء للبشرية

ـ أن نيل الخلاص يكون بالإيمان بعمل يسوع الخلاصي وممارسة ما تقدم ذكره من الطقوس

ـ أن وجود يسوع المسيح وموته كانا لغاية واحدة وهي الخلاص من الخطيئة الأولى.

ـ وأن الإنسان المخلص من الخطيئة هو إنسان جديد نال حياة جديدة، حياة في قرب من الله، بعدما كان بعيدا عنه بالخطيئة، ذلك أن الله ليس حاكما فقط، ولا هو السيد فقط، ولكنه أيضا، الإله الذي يدخل في علاقة شخصية مع البشر ومع الأشخاص في العهد الذي يقطعه معهم، لهذا فلا تتوقف فاعلية موت المسيح (عند بولس) عند حد تسليم نفسه فداء لخلاص جميع البشر، ولكنها ذهبت إلى أن موته صالح البشر مع الله، بقدر ما كانت الخطيئة انفصالا للإنسان عن الله، وكثيرة هي النصوص التي تبرز هذه الفاعلية لموت المسيح.

يقول بولس: "فإن تم الصلح بيننا وبين الله بموت ابنه ونحن أعداؤه فما أحرانا أن ننجو بحياته ونحن مصالحون، ونفخر بالله والفضل ليسوع المسيح الذي نلنا به المصالحة ".[1]

وهذه المصالحة هي مصالحة البشرية في المسيح، أي مصالحة اليهود وغيرهم من الأمم، أولا، ثم مصالحة البشرية جمعاء مع الله:

"صالح بينهما (بين اليهود والغرباء من الوثنيين) وبين الله، وقد قضى على العداوة بصليبه"[2]

لقد عادت البشرية إلى الله واقتربت منه بفعل عمل يسوع الخلاصي

"كنتم أباعد فصرتم أقارب (من الله) بدم المسيح"[3].

إن المسيح بموته قد أعاد العهد الذي قطعه الله مع البشر ونقضه البشر دون وفاء، ولكنه عهد جديد، طرفه إنسان جديد مخلص من الخطيئة، وهذا هو معنى المصالحة التي أتمها المسيح وإلى جانب هذا يستخدم بولس تعبيرا آخر للدلالة على المعنى نفسه، فلا يقول أن المسيح صالحنا مع الله، ولكن الله نفسه صالحنا في شخص يسوع المسيح:

---

[1]ـ رسالة بولس إلى أهل رومة الفصل 5 / 10

[2]ـ رسالة بولس إلى أهل أفسس الفصل 2 / 16

[3]ـ رسالة بولس إلى أهل أفسس الفصل 2 / 13

"الله صالحنا على يد المسيح ... لأن الله صالح العالم في المسيح"[1]، وهذه المصالحة مع البشر هي جزء من المصالحة العامة مع كل الموجودات التي خلقها الله:

"وبه (المسيح) شاء (الله) أن يصالح كل موجود سواء في الأرض أو في السماوات فهو الذي حقق السلام بدمه على الصليب"[2].

وهكذا فإن كل عمل الخلاص قد أكمل فعلا من جانب الله، ولكنه من وجهة نظر أخرى فهو لا يزال في مرحلة التحقيق حتى ظهور المسيح في مجده أي نزوله مرة أخرى، وعليه فإن بولس الرسول يصف النشاط الرسولي بأنه "خدمة المصالحة":

"وهذا كله من الله الذي صالحنا على يد المسيح، وعهد إلينا في خدمة المصالحة، لأن الله صالح العالم في المسيح، ولم يحاسبهم على زلاتهم، وجعل على ألسنتنا كلام المصالحة، فنحن سفراء المسيح، وكأن الله يعظ بألسنتنا فنسألكم بإسم المسيح أن تصالحوا الله"[3]

سبق لنا أن رأينا مفهوم الخلاص في دعوة عيسى المسيح عليه السلام، كما رأينا أيضا في هذا الفصل مفهوم الخلاص عند بولس، وهو مختلف تماما عن المفهوم الأول، إن عيسى عليه السلام الذي كان يبشر بالخلاص داخل مجتمعه اليهودي المحدود كان يدعو إلى التوبة الفورية والتطهر الروحي، كان يدعو الفرد إلى التغيير الباطني، لقد ركز في دعوته على إصلاح الروح التي أفسدتها النزعة المادية التي طغت على تفكير اليهود في ذلك الوقت، ولقد رأينا أيضا أن سبب إعتراض اليهود على عيسى ودعوته، هو ما رأوه من تعارض بين دعوة عيسى المسالمة، وبين ما كانوا يعلقونه من الآمال على ظهور المسيح، تلك الآمال التي لم تكن سوى منافع مادية من إنتصار على الأعداء، وامتلاك لثروات وأراضي الشعوب المجاورة، وإن سبب فشل عيسى في دعوته (إن جاز لنا هذا الكلام) هو نتيجة لذلك التصادم القوي بين ما كان عليه عيسى من وداعة وسلم، وما كانت عليه آمال اليهود من حقد على الشعوب وحب للإنتصار والإنتقام.

أما بولس فقد جعل عيسى في لاهوته محور العمل الخلاصي، وجعل من فضيحة الصليب هدفا وغاية لحياة المسيح، لقد رأى بولس أن البشر عبيد للخطيئة الأولى، وأنه لا سبيل إلى تحررهم منها بالشرائع والممارسات الفردية والجماعية. إن الله قد رسم في مخططه

---

[1]- رسالة بولس الثانية إلى أهل قورنتس الفصل 5 / 18 - 19

[2]- رسالة بولس إلى أهل قولس الفصل 1 / 20

[3]- رسالة بولس الثانية إلى أهل قورنتس الفصل 5 / 18 - 21

الخلاصي أن يرسل إبنه الوحيد في صورة إنسان ليصلب ويكون فاديا للبشر مخلصا لهم من الخطيئة بتحمله لها، وأن المسيح لم يأت إلا ليصلب، فالفداء وخلاص البشر هما غاية مجيئه.

إنه لتحول كبير في مفهوم الخلاص، بل إنه تحول كبير في دعوة عيسى بكاملها، وإنه من الجدير هنا أن نبحث في الأسباب التي كانت وراء العمل الذي قام به بولس. وقبل ذلك أن نفهم الأسباب التي غيرت مجرى تفكيره من يهودي متعصب مضطهد لأتباع عيسى إلى داعية للمسيحية.

لقد رأى بعض الباحثين[1] أن ما ذكره بولس عن سبب تحوله إلى المسيحية والذي ذكرناه آنفا، هو قصة من نسج خيال القديس الداعية، ويذكر الأستاذ شارل جنيبر بعض الأسباب والتي يرجحها إلى أن تكون الباعث الحقيقي على تحول بولس إلى المسيحية، مستندا في ذلك إلى نظريات علم النفس الحديث، ونوردها هنا مع إعادة ترتيبها بحسب ما يخدم موضوعنا:

1 ـ التفاعل الداخلي في ضمير بولس، والذي يكون قد استغرق وقتا طويلا، هذا التفاعل الذي اشترك فيه عنصران

أ ـ خصائص شخصية بولس نفسه، المتقلبة، بل النازعة إلى الهزات والتهيؤات الصوفية.

ب ـ التأثيرات التي تراكمت في أعماق اللاشعور لديه شيئا فشيئا، خاصة تأثيرات أساتذته من اليهود الذين جعلوه يتعلق بالأمل اليهودي في حلول مملكة الله.

2 ـ القلق الديني عميق الجذور الذي نلمحه من خلال بعض الفقرات في رسائل بولس خاصة رسالته إلى أهل رومة، لقد رأى بولس قبل إعتناقه المسيحية أنه غير قادر على مقاومة الخطايا التي تبرزها الشريعة اليهودية، وفي كل مكان من الأرض وفي كل جانب من جوانب الحياة، وتلك بالذات، كانت في ذلك الزمن الحالة النفسية التي تدفع بأهلها إلى البحث في غير ما هوادة عن "المنقذ" عن "الوسيط الإلهي".

أما فيما يخص العوامل أو الأسباب التي جعلته يحول المسيحية الأولى عن خط سيرها العقائدي والفكري، ويحول معها مضمون فكرة الخلاص، فيمكن لنا إستنادا إلى أبحاث بعض[2] من درسوا شخصية بولس وتأثيرها في المسيحية أن نذكر بعضها فيما يلي:

---

[1] ـ منهم الأستاذ شارل جنيبر في كتابه المسيحية نشأتها وتطورها

[2] ـ Michel A. Hubaut : Paul de Tarse
Editions Desclee, Paris 1989, page 103

1 ـ فكرة المنقذ التي كانت موجودة في بيئة بولس ولازمته منذ طفولته، والتي عمادها تحرر الإنسان من الخطيئة ثم الخلاص بواسطة "السيد المنقذ" والتي كانت قريبة في بعض جوانبها من الأمل اليهودي في حلول مملكة الله الذي كان يراوده بإعتباره يهوديا من أهل المهجر.

2 ـ ما إمتاز به بولس من خصائص سبق ذكرها في بداية هذا الفصل عند حديثنا عن شخصية بولس. والتي تقول أنه لم يكن ليكتفي بالإعتناق البسيط للمسيحية وبالإنقلاب من مضطهد لها إلى داعية إليها، والمؤكد أن رؤيا طريق دمشق لم تغير من ذات بولس، بل دفعته فحسب إلى تطبيق مبادئه القديمة في إتجاه جديد، حيث راح يعمل فكره وخياله، ويطبق أساليبه التي إعتادها كيهودي وفريسي من أهل المهجر "على ما تلقاه من قبل" وهو حتى في دفاعه عن عقيدته الجديدة وهجومه على الشريعة اليهودية قد بقي يهوديا كما كان من قبل، وهذا ما عبر عنه أحد الباحثين عندما قال: "إن بولس لم يغير سوى موضوع تعصبه".[1]

3 ـ لقد قلنا من قبل إن بولس نشأ في بيئة انتشر فيها الكثير من الآراء والفلسفات والمعتقدات الدينية، وهو بصدد نشر عقيدته بين غير اليهود أدرك أن فكرة البعث وحلول مملكة الله لاتهم الإغريق كثيرا، بل لم تكن لتجد لها تفسيرا ودعامة إلا بمزجها في عناصر الأمل القومي اليهودي. وإذا أريد للوثنيين أن يتفهموها، كان لابد من توسيع مداها وتقريبها من بعض المفاهيم المعتادة في تعاليم الوثنيين، وحينما يقدم المسيح، لا على أنه الرجل الذي نفخ فيه "يهوه" من روحه وقوته لنجدة الشعب المختار في محنته، وتمكينه من مضطهديه، بل على أنه مبعوث الله حقيقة أرسله ليحمل إلى الناس جميعا "الخلاص". وهكذا فإن عيسى الناصري النبي الذي أرسله الله إلى بني إسرائيل أصبح تحت تأثير أساطير الشفاعة والخلاص التي كانت شائعة في بيئة بولس، والتي أعاد بولس تنظيمها المنطقي حسب سابق تكوينه الفكري كمثقف يهودي، وتحول عيسى بذلك إلى مبعوث الله إلى العالم أجمع، سابق للكون وللزمن تتمثل فيه الروح القدس التي تعتبر جوهره الرباني، ويعمل على تنفيذ خطة الله الكبرى المتعلقة ببعث الإنسانية وخلاصها.

---

[1] ـ Jean CANTINAT: Vie de Sainte Paul Apotre page 237

الفصل الخامس

الخلاص في الإسلام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:

قبل الحديث عن مفهوم الخلاص في الإسلام، ومم يكون؟ وإلى أين؟ وكيف السبيل إليه؟ رأيت من الضروري الحديث عن عقائد إسلامية لها صلة كبيرة بموضوع الخلاص، فهي المقدمات اللازمة لفهم الموضوع. وهذه العقائد هي:

عقيدة البعث، عقيدة الحساب، عقيدة وزن الأعمال، وقد عرضت لها بشيء من الإيجاز معتمد في ذلك على ما ورد في كتاب الله عز وجل. وبعض ما صح نسبه إلى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام من حديث وآثار.

1 ـ عقيدة البعث:

من الحقائق الراسخة في ضمير المسلم وقلبه، أن الحياة على هذه الأرض ما هي إلا مرحلة فقط من رحلة طويلة في عالم الوجود، وأن الحياة هذه تنتهي بالموت، الذي هو حقيقة من آكد الحقائق لدى الإنسان، إن لم يكن الحقيقة الوحيدة المؤكدة في حياته بعد أن تتأكد حقيقة وجوده، وما من إنسان يوجد إلا ويكون الموت نهاية له.

(كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون.)[1]

ولا توجد لدى الإنسان حيلة كي يفر من قدره المحتوم

(أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة.)[2]

(قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل.)[3]

ذلك أن الله كتب على خلقه كلهم الفناء، فلا خلود لأحدهم، حتى الأنبياء لا يستثنون من هذه القاعدة: (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت أفهم الخالدون)[4]

---

[1] ـ العنكبوت / 57

[2] ـ النساء / 78

[3] ـ الأحزاب / 16

[4] ـ الأنبياء /34

ومن العقائد الراسخة في ضمير المسلم ووعيه البعث، إن المسلم يؤمن إيمانا جازما أن الله يعيد الإنسان بعد الموت إلى الحياة روحا وجسدا، كما كان في الدنيا، ولا علم لأحد بهذه الإعادة، متى تكون، أو كيف تكون، لأنها تختلف اختلافا تاما عن النشأة الأولى.

ولقد أورد الله في القرآن الكريم أدلة كثيرة على البعث، يمكن إجمالها فيما يلي:

1 - الإستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الأخرى:

يستدل القرآن الكريم بالنشأة الأولى، أي خلق الإنسان من العدم، على إمكان النشأة الأخرى، أي البعث بعد الموت، فالله قادر على كل شيء، عالم بكل شيء، فلا تعجزه إعادة الأموات إلى الحياة لنفوذ قدرته، وسعة علمه، فالقادر على إنشاء الإنسان من عدم، قادر على إعادته بعد الموت:

(قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم.)[1]

2 - الإستدلال بتطور الإنسان في الخلق وإحياء الأرض بعد موتها:

يقدم القرآن الكريم تطور الإنسان في الخلق وتحوله من حال إلى حال وإحياء الأرض بعد موتها دليلا على على سعة العلم وعظمة القدرة، وآية على إمكان البعث مرة أخرى:

(يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى، ثم نخرجكم طفلا، ثم لتبلغوا أشدكم، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أردل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا، وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى ,انه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها. وان الله يبعث من في القبور.)[2]

3 - القدرة على الخلق والرزق باستمرار:

إذا كان الله سبحانه وتعالى لم يعي بخلق السماوات والأرض والإنسان، ولا يزال يخلق ويرزق ويحي ويميت، فهل سيستبعد بعد هذا أن يعيد الخلق مرة أخرى:

---

[1]- يس / 79

[2]- الحج الآيات / 5 - 7

(أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد.)[1]

4 ـ الخلق ثانية أسهل من الخلق في الأولى:

إن العقل يقود الإنسان بعد التدبر إلى أن إعادة الموتى إلى الحياة بعد الموت أسهل بكثير من إيجادهم من العدم:

(وهو الذي بدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم.)[2]

وهذا البعث بعد الموت، وهذه العودة إلى الحياة، هما لحكمة أخرى، وهي أن توفى كل نفس جزاءها على ما قدمت من الأعمال في حياتها الدنيا، بعد ان ترى حسابها.

2 ـ عقيدة الحساب:

إن الله سبحانه وتعالى متصف بكل صفات الكمال، ومن صفات كماله، العدل والحكمة، هو عادل ومقتضى عدله ألا يظلم أحدا من خلقه، وحكيم ومقتضى حكمته ألا يضع أمرا في غير موضعه.

وليس من مقتضى العدل والحكمة أن يأمر عباده وينهاهم، فيلتزم فريق ويعصي فريق آخر، وتحسن فئة وتسيء أخرى، ثم تنتهي الحياة ويمضي الجميع هكذا دون سؤال أو حساب.

لقد أرسل الله رسله بالآيات والبراهين الساطعة، وأنزل معهم الكتاب، ليكون الناس على هدى من ربهم، ولكنهم اختلفوا فكانوا فريقين، فريق اهتدى إلى الله، وفريق انحرف عن هدايته، فلم يعتقد اعتقادا صحيحا، ولم يعبد الله عبادة صحيحة، ولم يهتد إلى العمل الصالح.

وقد كان للمهتدين جهاد شاقا مع أنفسهم وأهوائهم، فخاضوا حربا على الباطل والشر والفساد، وطال جهادهم، واستمر إلى نهاية حياتهم. فهل يستوي هؤلاء مع الضالين الفاسقين الذين استحبوا الضلال على الهدى، ومالوا عن الحق إلى الباطل وعن العدل إلى الظلم، وتعجلوا حظوظهم في دنياهم وانساقوا خلف شهواتهم مؤتمرين بأمر أنفسهم، سائرين في ركب الشيطان.

---

[1]ـ ق / 15

[2]ـ الروم /27 و 28

فهل من الحكمة والعدل أن يكون مصير هؤلاء جميعا واحد ؟ إن ذلك لا يجوز عند ذي العقل السليم، فما بالك عند الله أعدل العادلين وأحكم الحاكمين.[1]

إنه من الجور والعبث أن يحكم بين الفريقين بالتسوية:

(أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون. وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون)[2]

إن التسوية بين مصير المؤمنين الصالحين والكافرين الفاسدين هو تفكير خاطئ يقول به من يظن الحياة لهوا ولعبا.

(وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار، أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار.)[3]

إن عدل الله سبحانه وتعالى قضى بأن لا يستوي الفريقان في الجزاء كما لم يستويا في العمل من قبل:

(وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون. إن الساعة آتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون)

إن الحقائق لابد أن تتكشف وإن مكنونات الضمير لابد أن تظهر، ذلك أن الله سائل الرسل ومن أرسلوا إليهم:

(فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين. فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين)[4].

وقد نبه القرآن وأرشد فيما يختص بالسؤال إلى أن الأمم الذين أرسل إليهم وبلغتهم دعوة الله عن طريق رسله الكرام. يسألون عن الرسل، وعن تبليغهم إياهم، عما أجابوا به من تصديق أو تكذيب، وعما عملوا من خير مطلوب، أو شر منهى عنه، وكذلك أرشد إلى أن الرسل أنفسهم يسألون عن تبليغهم لأقوامهم وعن إجابة الأقوام وموقفهم منهم، والسؤال للجانبين كثر ذكره

---

[1] السيد سابق: العقائد الإسلامية: دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - بدون تاريخ ص 279.

[2] - الجاثية / 21 و 22

[3] - غافر / 57 - 59

[4] - سورة الأعراف / 6

ومن ذلك (يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا.)[1].

(ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين)[2]

يعلق الأستاذ محمود شلتوت على مثل هذه الآيات بقوله:

"والذي يهمنا هنا أن نقرر أن السؤال لم يكن سؤال استفهام ولا استخبار، وإنما هو سؤال تبكيت وتنديد، فليس في السائل مظنة أن يجهل ولا في المسؤول مظنة أن ينكر، فهو تصوير لما يكون من شعور المكذبين بتكذيبهم، وشعور المرسلين بتليغهم، وهو نوع من تسجيل الحجة على من أنكرها وأعرض عنها في الوقت الذي كان يجديه الإقبال عليها والإيمان بها، وهو نوع من زيادة الحسرة وقطع الآمال في النجاة بوضع يد المجرم على جسم جريمته، وهو في نفس الوقت نوع من زيادة الأمن والطمأنينة للرسل في القيام بدعوتهم وتبليغهم ما أمروا بتبليغه)[3]

بعد أن يرد الله الحياة إلى الناس يحشرهم إليه ليحاسب كل فرد منهم على ما عمل من خير أو شر، وتكون الأرض شاهدة على ما حدث عليها:

(إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان ما لها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها، يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليرو أعمالهم.)[4]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قرأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ "يومئذ تحدث أخبارها". فقال: أتدرون ما اخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها: أن تقول: عمل كذا وكذا، يوم كذا وكذا، قال: فهذه أخبارها.)[5]

وكما تخبر الأرض عن أخبارها، كذلك تشهد الجوارح على صاحبها، يشهد اللسان، واليد، والرجل، والجلد، وبهذا تتم حجة الله على كل إنسان:

(يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين.)[6]

---

[1]ـ الأنعام / 130

[2]ـ القصص / 65

[3]ـ محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم ـ الأجزاء العشرة الأولى ـ دار الشروق الطبعة التاسعة 1982 ص 464.

[4]ـ سورة الزلزلة / 1 ـ 7

[5]ـ أخرجه الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه وصححه.

[6]ـ النور / 24 و25

ويجد الإنسان كل ما تقدم من عمل محضرا أمامه، حتى تلك الأعمال التي نساها بحكم اختلاف الأيام:

(يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد. ألم تر ان الله يعلم ما في السماوات والأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا ادنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا. ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم.)[1]

وإحصاء الأعمال وتسجيلها يكون بواسطة الملائكة المكلفين به كما اخبر عن ذلك القرآن الكريم:

(وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون)[2]

إن كل ما يصدر عن الإنسان يرصد ويسجل، صغيرا كان أم كبيرا، ليحاسب عليه الإنسان يوم القيامة:

(ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد.)[3]

ويوم القيامة يقف الناس لرب العالمين ليحاسبهم، ويؤتى بالكتب التي دونت فيها الأعمال لتعرض على أصحابها قبل أن يلقى كل منهم جزاءه:

(وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا. اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا.)[4]

ويخبر القرآن الكريم أن المسيء يشفق على نفسه مما يجده في كتابه، ويتعجب له كيف أحاط وسجل كل أعماله صغيرة كانت أو كبيرة:

(ووضع الكتاب فترى المجرمين شفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا.)[5]

ويكون الحساب غاية في الدقة حتى يأخذ كل واحد جزاء ما عمل من خير أو شر، سواء أكان عملا مارسه، أو عملا نواه وأصر عليه، حتى يتحقق العدل الإلهي في أكمل صوره:

---

[1]- المجادلة / 6 و7.

[2]- الإنفطار / 10 ـ 12

[3]- ق / 18

[4]- الإسراء / 13 و14

[5]- الكهف / 49

(وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين.)[1]

3 - الميزان والوزن:

وكلاهما مما ورد فيه الخبر في محكم كتاب الله، فكلاهما حق يجب الإيمان به كما أخبر عنه:

(ونضع الموازين للقسط ليوم القيامة)[2]

وهذا الميزان هو الذي يبنى عليه الحساب الأخروي ويوقع بناء عليه إما العذاب، وإما النعيم.

يقول الأستاذ محمود شلتوت بعد أن سرد ما خاض فيه المفسرون من آراء في حقيقة هذا الميزان: "هو الوسيلة في تجلية الحق لمنكريه، وتجلية العدالة في معاملة المصلحين والمسيئين على الوجه الذي يعترف فيه المحسن بحقية ما نسب إليه من إحسان والمسيء بحقيقة ما نسب إليه من إساءة ... إنه ميزان توزن به الأعمال والإيمان والأخلاق والعواطف، وكل ما يجري في النفس ويستقر فيها.)[3]

---

[1]- الأنبياء / 47

[2]- الأنبياء / 47

[3]- محمود شلتوت - مرجع سابق ص 468.

المبحث الثاني

عقيدة الخلاص في الإسلام :

كل ما سبق بحثه هي عقائد إسلامية ثابتة بنصوص القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية الشريفة، وهي على جانب كبير من الأهمية في فهم عقيدة الخلاص في الإسلام، هذه الأخيرة التي تعتبر أهم عقائد الإسلام، فهي الغاية التي ينشدها المسلم من خلال ما يعتقده ويعمله ويتحلى به من أخلاق.

وما تجدر الإشارة إليه هنا أن المسلم وهو يطالع القرآن الكريم، لا يجد فيه كلمة الخلاص، وإنما يأتي بمسميات أخرى، ولعل أصدقها في الدلالة عليه كلمة النجاة واشتقاقاتها. وحتى كلمة النجاة لم ترد إلا مرة واحدة[1] فقط في القرآن الكريم، ولكن اشتقاقاتها كثيرة. وإذا كانت كلمة النجاة واضحة الدلالة بأن المقصود منها هو الخلاص من عذاب النار والحصول على المغفرة التي تكون سببا في دخول الجنة[2]، فإن اشتقاقاتها التي تعددت تعبر عن الخلاص من المصائب الدنيوية تارة وعن الخلاص في الآخرة تارة أخرى:

(وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون.)[3]

(ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا.)[4]

إن بعض الآيات تبين أن الأنبياء والرسل يكون خلاصهم في الدنيا من المصائب المادية والمعنوية، وخاصة تلك المتمثلة في أذى أقوامهم، ولكن رغم هذا فالخلاص في القرآن يعني النجاة من عذاب يوم القيامة أكثر مما هو نجاة من قبضة الشر الدنيوي:

(ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.)[5]

(الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار.)[6]

---

[1]- سورة غافر / 41 وهي قوله تعالى (ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار.)

[2]- الآية الموالية تشرح معنى النجاة (تدعونني لا كفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار.) غافر 42

[3]- الزمر / 61

[4]- مريم / 72

[5]- البقرة / 201

[6]- ال عمران / 16

إن الفكرة التي نخرج من خلال تتبع الآيات التي تتحدث عن النجاة، هي أن المسلم ينتظر النجاة من عذاب النار الأبدي، ودخول الجنة والفوز بالنعيم الأبدي بعد أن يتخلص من نتائج خطاياه بمغفرة الله له؛ ذلك أنه لا يوجد مصير ثالث، فهو عذاب أبدا أو نعيم أبدا، كما أخبر بذلك القرآن الكريم ونبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم.

وإن هذه النتيجة لتدعونا إلى التطلع إلى التعرف أكثر على هذين المصيرين: النار والجنة، ومعرفة ما يوجد في الأولى من عذاب، وما يوجد في الثانية من نعيم، ثم محاولة التعرف على الأسباب أو الأعمال التي تجعل مصير الإنسان إلى عذاب النار، وتلك التي تجعل مصيره إلى نعيم الجنة.

النار:

النار هي النهاية المأسوية والمصير المظلم التي لا مفر منها لكل من كفر وأساء العمل، وهي دركات بعضها فوق بعض، فهي الجحيم وجهنم والسعير والهاوية وسقر والحميم والحطمة والويل ولظى، وأدناها وأسفلها أشدها عذابا، وهي مقر المنافقين. وهي نار لا تفنى، ولا يخفف شيء من عذابها.[1]

ورد في القرآن الكريم ذكر لعدة أسماء لها ولكل اسم منها معنى يبرز صفة من صفاتها، فتسمى:

1 - الهاوية:

والهاوية هي المكان المنخفض كثيرا الذي لا يرجع من يسقط فيه

(وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما ادراك ما هي نار حامية)[2]

2 - السعير:

(واعتدنا لهم عذاب السعير.)[3]

---

[1]- سليمان ناغاوجي الألباني: أركان الإيمان: مؤسسة الرسالة - بيروت ط 3 سنة 1984 ص 289.

[2]- القارعة / 8 - 11

[3]- الملك / 5

3 ـ لظى:

(كلا إنها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى)[1]

4 ـ سقر:

(سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر، عليها تسعة عشر)[2]

5 ـ الحطمة:

(لينبذن في الحطمة وما أدراك ما الحطمة. نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة. إنها عليهم موصدة في عمد ممدة.)[3]

أي أنها كثيرة التحطيم والتكسير لما يلقى فيها وهي ملتهبة التهابا شديدا، ومغلقة بعمد طويلة فلا يخرج منها من يدخل فيها.

أوصاف النار:

ورد في القرآن الكريم ذكر لأوصاف النار، وهي عديدة ومتنوعة في أسلوب عرضها، ويمكن تلخيصها بأنها محيطة بكل ما من شأنه أن يوقظ في الإنسان حاسة الخوف حتى يرتدع الكافرون الغاوون، ويكف الظالمون المفسدون. فهي نار توقد من الناس والحجارة:

(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.)[4]

وهي تأكل كل ما يلقى فيها، ولا تشبع، بل تطلب المزيد دائما، حتى لا يبقى فيها مكان خال:

(يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد)[5]

أما طعام أهلها فهو الزقوم: وهي شجرة من أخبث أنواع الشجر المر المنتن الرائحة:

---

[1]ـ المعارج / 15 ـ 18

[2]ـ المدثر / 26 ـ 30

[3]ـ الهمزة / 4 ـ 9

[4]ـ التحريم / 6

[5]ـ ق / 30

(أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم إنا جعلناها فتنة للظالمين. إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم. طلعها كأنه رؤوس الشياطين. فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون. ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم.)[1]

(إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم. ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم. ذق إنك أنت العزيز الكريم. إن هذا ما كنتم به تمترون)[2]

أما شراب أهل النار فماء كالمهل يشوي الوجوه:

(إنا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا.)[3]

وثياب أهل النار من نار، ليزيد في عذابهم:

(هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد)[4]

(وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد. سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار)[5]

والنار محيطة بالمعذبين من كل جانب، فهي فراشهم وغطاؤهم:

(إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين. لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين.)[6]

كما تظلل المعذبين ظلل من النار، فلا فرصة لهم في النجاة من لهيبها وحرها وعذابها:

(لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون.)[7]

وعذاب المجرمين لا ينقطع، فهو دائم مستمر:

---

[1]- الصافات / 60 - 67

[2]- الدخان / 43 - 50

[3]- الكهف / 29

[4]- الحج / 19 - 21

[5]- ابراهيم / 49 و 50

[6]- الأعراف / 41

[7]- الزمر / 16

(النار يعرضون عليها غدوا وعشيا.)[1]

إن استمرار العذاب واتصاله يدفع المجرمين المعرضين له أن يسألوا خزنة جهنم التخفيف من العذاب ليوم واحد، ولكن الحجة قائمة عليهم، فلا يستجاب لهم:

(وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب. قالوا أو لم تك تأيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال.)[2]

إنه لعذاب شديد وأليم، فكلما أتلفت النار الجلد وما فيه من أعصاب، يجدده الله كي يستمر الألم بلا انقطاع:

(إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما.)[3]

ذلك أن نار جهنم تفوق ما تعود عليه البشر من النار بتسعة وستين جزء. فقد جاء في الأثر عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (إن ناركم جزء من سبعين جزاء من نار جهنم، قيل يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: فضلت بتسعة وستين جزء كلهن مثل حرها.)[4]

إن العذاب الذي يراه المقيم في جهنم ينسيه ما كان يتمتع به في الحياة الدنيا من النعم والملذات والشهوات، بل إن لحظة واحدة في النار يرى فيها الكافر المنعم بالمال والجاه والعمر والسلطان ما ينسيه ما كان له في الدنيا، فكيف على خلوده في النار؟

جاء في الأثر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

(يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ (يغطس في النار) صبغة ثم يقال له يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول: لا والله يا رب ...)[5]

ولشدة العذاب يود المجرم أن يفتدي نفسه بكل حبيب لديه وعزيز عليه ولكنه يوم لا ينفعه فيه فداء، ولا يقبل له رجاء.

(يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تأويه ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه)[6]

---

[1]ـ غافر / 46

[2]ـ غافر / 40 و50

[3]ـ النساء / 56

[4]ـ أخرجه البخاري ومسلم. والرواية عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبي هريرة رضي الله عنه.

[5]ـ أخرجه البخاري ومسلم برواية أنس بن مالك رضي الله عنه.

[6]ـ المعارج / 11 ـ 15

أصحاب النار:

إن النار وهي المصير المعبر عن الهلاك، الشقاء الأبدي، قد أعدت لأصناف من الناس لم يسلكوا السبيل القويم في حياتهم، سواء في اعتقادهم، أو في عبادتهم، أو في سلوكهم، إنهم من أعموا عقولهم عن بصائر الحق، وصموا آذانهم عن سماع صوت الحقيقة، إنهم ضلوا في اعتقادهم، وعبادتهم وضلوا في أعمالهم وعلاقاتهم مع غيرهم.

وبعد قراءة فاحصة للآيات أمكن حصر الصفات التي استحق أصحابها النار فيما يلي:

1 - الكفر:

الكفر هو إنكار الدين كلا أو بعضا وإنكار قيمه جميعها أو بعضها، ووصف ما ينكر منه بعدم الصلاحية.[1]

إن الكفار هم الذين يصفون الحق وهو دين الله بالخرافة مرة، وبالسحر، أو الكذب والخداع مرة أخرى:

(وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم، إن هذا إلا سحر مبين.)[2]

كما أنهم ينكرون اليوم الآخر بكل تفاصيله، من البعث وإلى دخول الجنة أو النار: (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة. قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين.)[3]

وهم الذين يقولون في القرآن ويحرضون على اللغو وقول الزور في شأنه:

(وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون.)[4]

وهم الذين ينفقون جهدهم وأموالهم وأوقاتهم في الصد عن سبيل الله وفي نشر الفساد : إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرات ثم يغلبون.)[5]

---

[1]- د/ محمد البهي: من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك: دار الفكر ط I - بيروت 1973 ص 75

[2]- سبأ / 43

[3]- سبأ / 3

[4]- فصلت / 26

[5]- الأنفال / 36

إنهم ينقادون إلى الإستمتاع بالدنيا ومتعها الحسية في غير قيود من حل وحرمة، وفي غير رعاية لحرمات الآخرين، وفي بعد مطلق عن المقاييس الأخلاقية للمجتمع الإنساني.

لهذا استحق أصحاب هذه الصفة أن يكون مصيرهم النار، وهذه نصوص من القرآن الكريم في بيان مدى الإرتباط الموجود بين هذه الصفة والمصير الذي تؤدي إليه:

(وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير.)[1]

(واتقوا النار التي أعدت للكافرين.)[2]

(إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب.)[3]

(ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار)[4]

(وعقبى الكافرين النار)[5]

(لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير)[6]

(والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور.)[7]

(وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار.)[8]

(وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم من أصحاب النار.)[9]

---

[1]- البقرة / 126

[2]- آل عمران / 131

[3]- النساء / 6

[4]- الأنفال / 14

[5]- الرعد / 35

[6]- النور / 57

[7]- فاطر / 36

[8]- الزمر / 8

[9]- غافر / 6

إن الكفر هو تغطية الحقيقة الكونية الكبرى، إنه الضلال الفكري العقائدي والوجداني، والذي يؤدي بدوره إلى الفساد الأخلاقي الفردي والإجتماعي لذلك فليس من الغريب أن يكون مصير الكافرين ما رأيناه.

الشرك:

الصفة الثانية التي استحق أصحابها أن تكون النار مصيرا لهم، هي الشرك، والمشرك بالله هو ذلك الإنسان الذي لا يستطيع أن يتجه بعبادته إلى الله، الذي هو فوق الموجودات، فلا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير ... لا يستطيع أن يتجه باحترامه الذي يبلغ نهايته إلى خالق الكون كله الذي تمثل صفاته جميع القيم العليا، تلك الصفات التي يجب أن يتقرب منها كل من يريد لنفسه السمو في مستوى حياته الإنسانية، فصفاته جل شأنه تمثل: العلم والقدرة، والخلق والإبداع، والإرادة، والمشيئة، والرحمة، والشدة، والحياة والبقاء ..

والشرك في حقيقته انتقال بالعبادة وتوفير منتهى الإحترام، من الله تبارك اسمه إلى ما عداه من موجودات أخرى ترى وتشاهد في حياة الإنسان، والشرك لهذا، ضلال، بعد عن الحقيقة الكبرى، عن الهدف الأسمى للحياة الإنسانية التي ارتضاها الله لعباده وهو عبادته وطاعته والسير وفق أحكامه، وهو أكبر الكبائر، والذنب الذي لا يغفر، وكثيرة هي الآيات التي ذكرت الشرك كصفة تكون سببا في دخول النار، منها:

(إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار.)[1]

(إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية.)[2]

(إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون.)[3]

3 ـ النفاق:

المنافق هو ذلك الإنسان الذي هو لا إلى الإيمان ولا إلى الكفر بالمبادئ التي ينتسب إليها المجتمع، ومع تردده بين الإيمان والكفر فشره على المجتمع أخطر بكثير من شر العدو الحقيقي الصريح أو المكشوف. وهو انتهازي ونفعي، يوجد في السياسة وفي العلم، وفي الدين، وفي كل

---

[1]ـ المائدة / 72

[2]ـ البينة / 6

[3]ـ الأنبياء / 98

مجال توجد فيه قيم عليا، ويوجد فيه إيمان أو كفر بها. والنفاق في الدين هو عدم الجدية في إعلان قبوله: هو إعلان قبول الإسلام كدين، مع عدم الإيمان بتبعات هذا الإعلان، وهو رفع شعار الإسلام دون الإعتقاد بمبادئه، ودون العمل على تحقيق هذه المبادئ في السلوك والفعل والتفكير.

إن المنافق يشهد الله على إقراره برسالة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ـ وهو في حقيقة أمره يقف في طريق الدعوة إلى الإسلام وقوف الصاد لها والمصمم على منعها من الإنتشار.

إن المنافق يتلاعب بأكبر قضايا الإنسان، إنه يتخذ موقف التمييع لقضية الهداية وقضية النجاة وهي أكبر شاغل للفكر البشري، ولهذا استحق هذا المصير المظلم، والنهاية المشؤومة:

(إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا.)[1]

(إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا.)[2]

(بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما.)[3]

(وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم.)[4]

4 - الإستكبار والتكذيب:

الإستكبار ليس هو العصيان وعدم الطاعة فحسب، وليس هو الكفر وعدم الإيمان فقط، وإنما هو ذلك التعالي والتعدي على ما يكفر به المستكبر ويعصي فيه.

(ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها.)[5]

والمستكبر عادة ما يكون من فئة النخبة والزعماء وأرباب الثروة والجاه، والذين يدعوهم القرآن باسم الملأ:

(قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب.)[6]

---

[1]- النساء / 140

[2]- النساء / 145

[3]- النساء / 138

[4]- التوبة / 68

[5]- الجاثية / 8

[6]- الأعراف / 88

والمصلحة الخاصة للزعماء وأرباب الحياة والثروة، في استكبارهم وتحديهم لدعوة الإيمان الجديدة هي في المحافظة على الزعامة، والإبقاء على الوضع الإجتماعي الذي يتميزون به بين قومهم، وهو وضع يمكنهم من الإستغلال عن طريق النفوذ.

إن المستكبرين يلجأون إلى كل الوسائل لمنع الجديد، الذي يمثل سبيل النجاة، من الوصول إلى الناس، لأنه يحاول نقل المجتمع من وضع احتكار النفوذ والتسلط إلى وضع آخر يسود فيه العدل كما يسود فيه الإعتبار الإنساني لكل فرد فيه، لا يميز فيه واحد عن آخر بنسب، أو ثروة، أو جاه، وإنما يميز فقط بالعمل الصالح الذي يكون في مصلحة المجتمع كله، إنهم يسدون ويغلقون أبواب النجاة أمام المجتمع وأفراده، وهذا ما جعلهم من الهالكين يوم القيامة:

(فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين)[1]

(والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)[2]

(قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين.)[3]

(إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين.)[4]

(ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المنكرين.)[5]

(ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم.)[6]

ومن هنا كانت مواجهة المستكبرين يوم القيامة بأنهم مجرمون، وهي مواجهة تعبر بوضوح عن خطورة موقفهم من قضية الإيمان والهداية:

(وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين.)[7]

---

[1]- النمل / 29

[2]- الأعراف / 36

[3]- الزمر / 72

[4]- غافر / 60

[5]- غافر / 76

[6]- الجاثية / 8 و9

[7]- الجاثية / 31

5 ـ الفسوق:

الفسوق هو الخروج عن دائرة الإيمان والعمل الصالح، والفاسق هو الخارج عن طاعة الله ورسوله، ضعيف الإيمان، غير الملتزم بشرع الله، وبالطريق الذي رسمه للنجاة، ذلك أن دين الله هو وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة إلى الصلاح في الحال والنجاة في المآل، والفاسق فضل اتباع الشهوات، والسير وراء ميول النفس وشهواتها على ضبطها وفق ما أنزله الله من أحكام، ولهذا كانت خاتمته الهلاك ومصيره النار:

(وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها.)[1]

(فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون)[2]

ومن الفسوق الخروج عن طاعة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمعصية الرسول من معصية الله. كما أن طاعة الرسول من طاعة الله:

(ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين)[3]

(ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا.)[4]

6 ـ الصد عن سبيل الله:

الصد عن سبيل الله هو صرف الناس عن الدخول في الإسلام، ويستلزم منع النفس من الدخول فيه، إنه منع الناس من الإقرار بوحدانية الله وتصديق نبيه.

إن الصاد عن سبيل الله لا يكتفي بأن يكون كافرا بالله ورسالة رسوله عليه الصلاة والسلام، بل إنه ينشر الكفر والفساد، ويحرم نفسه من فرصة النجاة، ويحرم منها غيره من الناس، ويبذل في سبيل ذلك جهده وماله، وكل ما يملك:

(إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله.)[5]

ولهذا سيكون جزاؤهم من جنس عملهم، فيضاعف لهم العذاب:

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب.)[6]

---

[1]ـ السجدة / 20

[2]ـ الأحقاف / 20

[3]ـ النساء / 14

[4]ـ الجن / 23

[5]ـ الأنفال / 36

[6]ـ النحل / 88

(وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله.)[1]

7 ـ العمل السيء (عمل السيئات):

العمل السيء هو كل ما خالف العمل الصالح، فهو كل ما يصدر عن المكلف ولا يكون فيه صلاح للدنيا أو الفوز في الآخرة، بل يكون فيه فساد الدنيا وخسران وضياع الآخرة، ولهذا لا يستوي المسيء والمصلح في الجزاء:

(أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ساء ما يحكمون.)[2]

إن الجزاء من جنس العمل، ومن أساء العمل فلا ينتظر إلا سوء الحساب وسوء المصير:

(والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها.)[3]

(ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون)[4]

(وجزاء سيئة سيئة مثلها)[5]

والمستحقون لهذا الجزاء السيء هم الذين عملوا السيئات وأصروا عليها، ولم يتوبوا منها

(وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن)[6]

فالمسيء المصر على عمله السيء حتى الموت جزاؤه جهنم:

(ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون.)[7]

إن الوقوف عند الصفات التي أوردناها في محاولة لقراءتها واستلهام ما فيها يوصلنا إلى النتائج التالية:

1 ـ أن هذه الصفات هي أسباب حرمان الإنسان من النجاة يوم القيامة وسبب سوء مصيره وخاتمته.

---

[1]ـ النحل / 94

[2]ـ الجاثية / 21

[3]ـ الأعراف / 131

[4]ـ القصص / 34

[5]ـ الشورى / 40

[6]ـ النساء / 18

[7]ـ النمل / 90

2 ـ أن هذه الصفات هي فساد ذهني وجداني ينتج عنه فساد عقائدي.

3 ـ أن الفساد العقائدي يكون سببا في الفساد العملي السلوكي الأخلاقي.

4 ـ أن الفساد الأخلاقي يؤدي بدوره إلى الفساد الإجتماعي.

ومعنى هذا أن الإنسان عندما ينحرف عن الأخذ بسبيل النجاة وهي دين الله، فإنه يكون قد تسبب في فساد المجتمع، وحرمانه من النجاة والخلاص مما يعانيه من مفاسد، فالخسارة مزدوجة، خسارة النجاة يوم القيامة، وخسارة النجاة في الدنيا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث

الشق الثاني من مفهوم الخلاص في الإسلام بعد النجاة من النار وعذابها، هو دخول الجنة، والذي يعبر عنه القرآن الكريم بعدة كلمات منها: الفلاح، الفوز، الأجر ... وغيرها.

(قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ... أولئك هو الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون.)[1]

(والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون.)[2]

(فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز.)[3]

(والذين هاجروا في الله من بعدما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون.)[4]

(وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم.)[5]

إذن فللمسلم رجاء مزدوج، أن ينجو من عذاب النار، وأن يفلح ويفوز، عندما يدخل جنة النعيم.

ولكن ماهي الجنة ؟ وماهو نعيمها ؟ وهي الصفات والأعمال التي تؤهل الإنسان إلى الفوز بها؟

الجنة:

الجنة في الأصل البستان من النخل أو الشجر، وهي مأخوذة من جن إذ ستر، وسميت كذلك لأن نخيلها الباسقات وأشجارها المورقة تلتف أغصانها بعضها ببعض، فتكون كالظلمة تستر ما تحتها.

والمقصود بالجنة هنا الدار التي أعدها الله للمتقين جزاء لهم على إيمانهم الصادق وعملهم الصالح.

وقد أطلق عليها القرآن عدة أسماء فهي: جنة المأوى، وجنة عدن، ودار الخلود، والفردوس، ودار السلام، وجنة النعيم، والمقام الأمين، وجنة الخلد.

---

[1]- المؤمنون / 1 ـ 11

[2]- الأعراف / 8

[3]- آل عمران / 185

[4]- النحل / 41

[5]- المائدة / 9

أوصاف الجنة ونعيمها:

وصف الله الجنة بأوصاف كثيرة، تثير رغبة الناس فيها، ليعملوا للفوز بها، فهي دائمة النعيم، وسرورها لا ينفذ، وكل ما فيها بغير حساب، فأنهارها كثيرة متنوعة، ففيها أنهار من ماء غير آسن، وأنهارها من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة الشاربين، وأنهار من عسل مصفى.

ولا يسمع في الجنة اللغو، ولا التأثيم، وإنما يسمع فيها تقديس الله، وإجلاله، وسلام الله على المؤمنين، وسلام الملائكة عليهم، وسلام بعضهم على بعض.

وأهل الجنة نزع الله من صدورهم الغل، فهم إخوان على سرر متقابلين، لا ينالهم فيها تعب ولا يمسهم نصب.

أما الرزق الذي يقدم لأهل الجنة من الطعام والشراب فيطوف به خدم من الولدان إذا رآهم الإنسان حسبهم لفرط جمالهم لؤلؤا منثورا، هؤلاء الولدان يحملون صحافا وأواني من ذهب وأكواب، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

ولباس أهل الجنة فيها حرير من سندس واستبرق، وحليتهم الذهب، ومساكنهم طيبة، وهي غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار.

ويعطى أهل الجنة نعيما لا يستطيع خيال أن يصل إليه، ولا أذن أن تسمع بمثله، ولا أن تتمثله عين، وأيا بلغت صورنا الخيالية في تمثل ذلك النعيم، فنعيم الجنة أعظم من ذلك وأجمل.

فقد ورد في الأثر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال:

(أعددت لعبادي الطائعين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، مصداق ذلك في كتاب الله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون.)[1]

فهذا النعيم الوارد في الآيات جاء على مثال ما هو معروف في هذا العالم الأرضي، وإن كان أرقى منه نوعا وشكلا وطعما، وحقيقته فوق ما يتصوره البشر.

فنعيم الجنة لا يشبهه شيء من نعيم الدنيا، فهو وإن شابهه في الإسم فهو مختلف عنه في الصفة. قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى:

(وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواجا مطهرة ولهم فيها ما يدعون.)[2]

---

[1]ـ أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما برواية أبي هريرة رضي الله عنه.

[2]ـ البقرة / 25

"لا يشبه شيء مما في الجنة ما في الدنيا إلا في الأسماء."

ويدخل المؤمنون الجنة على استقبال الملائكة الكرام وبشائرهم لهم بالسلام والتحيات فيحيون فلا يموتون أبدا، وينعمون فلا ييأسون ويصحون فلا يمرضون أبدا، نعيمهم باق لا يفنى، ويزيدهم الله تعالى فيها يشاؤون.

وقد جاء ذكر الجنة ونعيمها في كل مواضع القرآن تقريبا، ولكن نكتفي بإيراد هذه الآيات الكريمات:

(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا والآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم.)[1]

(وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين. وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين.)[2]

(مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم.)[3]

(فوقاهم ربهم شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا. وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا. ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا. قوارير من فضة قدروها تقديرا ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا. عينا فيها تسمى سلسبيلا. ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا. عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا. إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا.)[4]

---

[1]- فصلت / 30 و 31

[2]- الزمر / 73 و 74

[3]- محمد / 15

[4]- الإنسان / 11 - 22

(إن المتقين في مقام أمين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين.يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم ربهم عذاب الجحيم. فضلا عن ربك ذلك الفوز العظيم.)[1]

أصحاب الجنة:

إن الجنة كما سبق هي المصير المعبر عن النجاة، وحسن الخاتمة، والسعادة الأبدية، وقد أعدها لأصناف من الناس خلاصة القول فيهم أنهم سلكوا السبيل القويم في حياتهم، سواء في الإعتقاد أو في العبادة أو في السلوك. أناس فتحوا آذانهم لسماع صوت الحق، وأعينهم وبصائرهم ليروا نوره فيهتدوا به، ثم استقاموا بعد ذلك في كل صغيرة وكبيرة في حياتهم، وإن الآيات التي ذكر فيها أصحاب الجنة والصفات التي أهلتهم للفوز بها، لتمكن من الإقتراب إلى تحديد تلك الصفات فيما يأتي:

1 - الإيمان:

وهو الإعتقاد المطلق، والتصديق الجازم الذي لا يبقى معه شك في كل ما جاء به الخبر من السماء، عن الله سبحانه وتعالى، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، وهو الأساس في صلاح الإنسان أو في فساده، ,هو أول الصفات التي تؤهل الإنسان للفوز بالجنة والنجاة من النار

(وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم)[2]

(وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون.)[3]

(ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون.)[4]

(سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله.)[5]

---

[1]- الدخان / 50 - 57

[2]- يونس / 2

[3]- النمل / 53

[4]- يوسف / 57

[5]- الحديد/ 21

(يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير.)[1]

وقد جعل الله الإيمان بهذه الأركان واجبا عاما للبشر، وخالدا أبد الدهر، لما له من الأثر الظاهر والنفع الكبير في حياة الأفراد والمجتمعات.

فالإيمان بالله من شأنه أن يفجر في النفس المشاعر النبيلة ويوقظ حواس الخير، ويربي ملكة المراقبة، ويبعث على طلب الخير، ويبعد بالمرء عن الفساد.

والإيمان بالملائكة يدعو إلى التشبه بهم في الطاعة والحق والخير، كما يدعو إلى الوعي واليقظة، فلا يصدر عن الإنسان إلا ما هو حسن.

أما الإيمان بالكتب السماوية فإنما هو عرفان بالمنهج الرشيد الذي رسمه الله للإنسان كي يصل بالسير عليه إلى كماله العملي والأخلاقي، وإلى النجاة.

أما الإيمان بالرسل فهو لترسم خطاهم، والتخلق بأخلاقهم، والتأسي بهم، بإعتبار أنهم يمثلون القيم الصالحة والحياة النظيفة التي أرادها الله لناس.

والإيمان باليوم الآخر هو أقوى باعث على فعل الخير، وترك الشر.

وهكذا يبدو بجلاء أن العقيدة إنما يقصد بها تهذيب السلوك، وتزكية النفوس، وتوجيهها في المثل الأعلى، وهكذا تتجلى أيضا الحكمة من جعل صفة الإيمان من الصفات المؤهلة للفوز بالجنة، في أن الله يريد للناس أن يفلحوا في دنياهم، وينجوا في آخرتهم، فالإيمان هو الدافع إلى الخير في الدنيا، والسبب في النجاة يوم القيامة.

2 ـ العمل الصالح:

العمل الصالح هو كل عمل نافع فيه خير الأفراد والجماعات، وهو ثمرة الإيمان الصحيح الصادق المتمكن من النفس، وهو أساس عمارة الأرض والسعادة فيها، ومن هنا تظهر الحكمة واضحة في جعل العمل الصالح شرطا في الفوز يوم القيامة، وفي جعل الإيمان عاما خالدا لأنه مقدمة ضرورية له:

(وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار)[2]

---

[1]ـ التحريم / 8

[2]ـ البقرة / 25

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[1]

(وما نرسل المرسلين إلا مبشرين منذرين فهن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[2]

(والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا.)[3]

(والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا.)[4]

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا. أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا.)[5]

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا.)[6]

(والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوأنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين.)[7]

إن الوقوف عند هذه النصوص القرآنية يمكن من استنتاج ما يلي:

1 ـ أن الإيمان بمفهوم الإسلام إيمان إيجابي يتفاعل في النفس الإنسانية، وينتج عملا صالحا، كشجرة تطرح ثمرا طيبا، تنتفع به المخلوقات.

2 ـ أن العمل الصالح، وهو كل ما فيه خير ونفع للفرد والجماعة، شرط من شروط نيل الخلاص أو النجاة في الإسلام.

3 ـ إن الخلاص في الإسلام لا يتوقف عند اجتناب العمل السيء، بل يتعداه إلى إجهاد النفس في الأخذ بالعمل النافع.

---

[1]ـ البقرة / 277

[2]ـ الأنعام / 49

[3]ـ النساء / 57

[4]ـ النساء / 121

[5]ـ الكهف / 30 و 31

[6]ـ الكهف / 102 و 103

[7]ـ العنكبوت / 58

3 ـ التقوى:

وهوترك واجتناب كل ما هو باطل في الإعتقاد، والمعاملات والتصرفات وما هو سيء في السلوك، بدافع الخوف من الله. ولذا فالآيات التي تذكر دعوة الرسل السابقين لأقوامهم تطلب منهم التقوى أولا: بمعنى الترك لما كانوا عليه، كتمهيد لقبول الرسالة في جانبها الإيجابي، وهو العمل الصالح على أساس من الإيمان بالله وحده:

(إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون.)[1]

(إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون.)[2]

(إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون.)[3]

(إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون.)[4]

(إذ قال لهم شعيب ألا تتقون.)[5]

كما أن قوله تعالى: (أم نجعل المتقين كالفجار.)[6]

وضع المتقي في مقابل الفاجر، ويفهم منه أن التقوى هي ترك الإنحراف والباطل في الإعتقاد والعمل.

والآيات التي تورد التقوى كشرط في النجاة من العذاب والفوز بالجنة كثيرة جدا، نكتفي بالآتي:

(للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد.)[7]

(ولكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار.)[8]

(مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا.)[9]

---

[1]ـ الشعراء / 106

[2]ـ الشعراء / 124

[3]ـ الشعراء / 142

[4]ـ الشعراء / 161

[5]ـ الشعراء / 177

[6]ـ ص / 28

[7]ـ آل عمران / 15

[8]ـ آل عمران / 198

[9]ـ الرعد / 35

(جنات عدن التي وعد الرحمان عباده بالغيب إنه كان موعده مآتيا.لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا.تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا.)[1]

(وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين. جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك نجزي المتقين.)[2]

(هذا ذكر وإن للمتقين لحسن المآب. جنات عدن مفتحة لهم الأبواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب. وعندهم قاصرات الطرف أتراب.)[3]

(وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولاهم يحزنون)[4]

(إن المتقين في مقام أمين. في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين. كذلك وزوجناهم بحور عين. يدعون فيها بكل فاكهة آمنين. لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم. فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم.)[5]

(إن للمتقين مفازا. حدائق وأعنابا. وكأسا دهاقا. لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا. جزاء من ربك عطاء حسابا)[6]

إن التقوى حسب ما يفهم من الآيات هي ما يسميه الناس اليوم الضمير، الذي يشعر معه الإنسان بالمراقبة المستمرة والتي تجعله يترك كل ما من شأنه أن يكون معصية لله، ويبتعد عن كل ما يكون فسادا وضررا بالحياة التي أرادها الله لبني الإنسان، بل ويجعل الإنسان سعيدا بهذا الترك لأنه يمثل انتصار إنسانيته على الجانب الحيواني فيه، انتصار عنصره السماوي على عنصره الترابي، انتصار الضمير على الميول والشهوات.

ولكن ترك الفساد والمنكر والباطل ومقاومة شهوات النفس وميولها يحتاج إلى عزم قوي، وإرادة نافذة، وقوة صبر وتحمل كبيرة.

---

[1]- مريم / 61 ـــ 63

[2]- النحل / 30 و 31

[3]- ص / 49 ـــ 52

[4]- الزمر / 61

[5]- الدخان / 51 ـــ 57

[6]- النبأ / 31 - 35

4 - الصبر:

إن الصبر قوة احتمال، وعزم على الاستمرار في الإحتمال، وإيمان بالغاية والهدف، وهو لهذا يحتاج إلى ممارسة وتدريب على السيطرة على هوى النفس وانفعالاتها، وعلى الرجوع إلى العقل والتروي في مواجهة الصراع القائم بين الميول والغاية وهي الإبتعاد عن المعاصي لنيل النجاة.

ولهذا كان هذا التحكم في النفس أمام الإغراءات وما تمليه الشهوات المتعددة، من أهم أوصاف أهل الجنة الناجين:

(والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرأون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار. جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب. سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار.)[1]

(وما عندكم ينفذ وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)[2]

(إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون.)[3]

(أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما.)[4]

(وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا.)[5]

(إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب.)[6]

ويكون الصبر ثمرة التدريب الشاق والممارسة الدائمة للتمكن من السيطرة على الغرائز والشهوات، ومن طرق التدريب والممارسة، المحافظة على الصلاة.

5 - المحافظة على الصلاة:

الصلاة هي الصلة الرابطة بين العبد وخالقه، يرتبط به الإنسان بالله ليستمد منه القوة في لحظات الضعف، والعون في لحظات الحاجة والأمن في أوقات الخوف، والطمأنينة عند

---

[1]- الرعد / 22 ــ 24

[2]- النحل / 96

[3]- المؤمنون / 111

[4]- الفرقان / 75

[5]- الإنسان / 12

[6]- الزمر / 10

الإضطراب، ولهذا جعلها الله عبادة دائمة، مستمرة مع كل ظروف الإنسان، لتكون تدريبا لقوة العزيمة والإرادة، ليتحقق انتصار الإنسان على الضعف الساكن فيه ويصل إلى تحقيق النجاة، كما أنها تجسد الغاية التي خلق الله لاجلها البشر والجن.

(قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ... أولئك هك الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون.)[1]

(إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم. والذين يصدقون بيوم الدين. والذين هم في عذاب ربهم مشفقون إن عذاب ربهم غير مأمون. والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون. والذين هم لأماناتهم وعصرهم راعون. والذين هم بشهادتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون. أولئك في جنات مكرمون)[2]

6 ـ الزكاة والنفقة:

إن نوازع النفس كثيرة متشعبة، لذلك تنوعت الوسائل التي تمكن المسلم من التغلب عليها. إن الإنسان كما يخبر الله في القرآن الكريم وثيق الصلة بالمال، علاقته به تصل إلى الحب:

(وإنه لحب الخير لشديد.)[3]

(وتحبون المال حبا جما.)[4]

وقد تتغلب عليه هذه النزعة، فيمسك المال، ويبخل به على المحتاجين إليه، ومن ثم جاء فرض الزكاة كركن من أركان الإسلام لمقاومة تلك النزعة: فيكون الإنسان بين نزوع النفس وتمسكها بالمال وبين الواجب الديني الذي يسأل عنه، وفي هذا امتحان لقدرته على التحكم في النفس، كما فتح الباب بعد ذلك للإنفاق تطوعا كمجال للتسابق في فعل الخير، ليتفاوت الناس في الجزاء بعد ذلك.

---

[1]ـ المؤمنون / 1 و2 ــ 10 و11

[2]ـ المعارج/ 22 ـ 35

[3]ـ العاديات / 8

[4]ـ الفجر / 20

إن المنفق بإنفاقه يكون قد تغلب على جانب كبير من الأنانية في نفسه، وبذلك يكون قد طهرها واستحق أن تكون الجنة مصيره:

(قد أفلح المؤمنون ... والذين هم للزكاة فاعلون)[1]

(إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور.)[2]

(الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة يوقنون. أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون.)[3]

(فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير)[4]

(فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فنيسره لليسرى)[5]

إن الإيمان والعمل الصالح والتقوى والصبر وإقامة وإخراج الزكاة صفات تصل بالإنسان إلى:

1 ـ الطهارة من المعاصي والآثام.

2 ـ سلامة الظاهر والباطن معا.

3 ـ الظفر بالنجاة من عذاب يوم القيامة ودخول الجنة.

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره من الصفات وما لها من أثر، فإن القرآن الكريم يشير في بعض الآيات إلى بعض الصفات الأخرى التي لا تقل أهمية عن السابقة، في الحصول على النجاة، وقد تأتي في بعض الأحيان في سياق واحد كالذي بدأت به سورة المؤمنون:

(قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون. والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون. والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون. والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون. والذين هم على صلواتهم يحافظون. أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون.)[6]

فقد ورد في هذه الآيات ذكر هذه الصفات:

---

[1]ـ المؤمنون / 1 ـ 4

[2]ـ فاطر / 29

[3]ـ لقمان / 4

[4]ـ الحديد / 7

[5]ـ الليل / 4 - 6

[6]ـ الآيات من 1 ـــ 11

- اجتناب الفواحش

- حفظ الأمانة

- الإلتزام بالعهد

كشروط للنجاة والفوز بالجنة، وجاء في سورة أخرى ذكر صفات أخرى هي: صلة الرحم، الإسراع في التوبة، خشية الله والخوف من عقابه.

(أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق. والذين يصلون ما أمر الله أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب. والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرأون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب.)[1]

إن الوقوف عند هذه الصفات وتأملها يقودنا إلى هذه الإستنتاجات:

1 - أن النجاة يوم القيامة من العذاب والفوز بالجنة، مرتبطة بما يقدمه الإنسان في حياته الدنيا من أعمال يكون قد إختارها بنفسه.

2 - أن ما جعله الله صفات أو شروطا في الفوز بنعيم الجنة هو أساس صلاح الإنسان بكل أبعاده العقلية والوجدانية والسلوكية.

3 - أن الإنسان وهو يسعى إلى الإتصاف بصفات أهل الجنة، يكون قد ساهم في إصلاح المجتمع بإصلاح نفسه، ومعنى هذا أن ما يتصف به يكون سببا في سعادته وسعادة غيره في الحياة الدنيا، وفي نجاته يوم القيامة.

---

[1]- الرعد / 19 ــ 23

المبحث الرابع

خصائص الخلاص في الإسلام:

إن دراسة موضوع الخلاص في الإسلام قادنا إلى التعرف على بعض خصائصه والتي نورها فيما يلي:

1 - النجاة من كسب الإنسان:

يعلن القرآن الكريم في كثير من المواضع بأن النجاة يوم القيامة هي نتيجة لما قدمه الإنسان في حياته الدنيا، كما أن هلاكه من صنع يديه، فهو حر فيما يختاره من الأعمال، مسؤول عن اختيار مصيره بعد ذلك، لإرتباط المصير يوم القيامة باختيار في الدنيا، وتردد في القرآن، وبعد بيان المصير، لفظ، أسلف، وقدم، وكسب فالنجاة كسب ولا تعطى مجانا:

(هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت)[1]

(كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية)[2]

(ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد)[3]

(إنا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه.)[4]

فللإنسان كسب، وإرادة خاصة به مستقلة في السلوك السيء أو السلوك الحسن، وبسبب إرادته المستقلة في كسبه كانت مسؤوليته الشخصية، وكان جزاؤه بالسوء أو بالحسنى على ما يكون عليه كسبه إن باشر عملا سيئا أو حسنا.

(واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.)[5]

(فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.)[6]

(ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.)[7]

---

[1]- يونس / 30

[2]- الحاقة / 24

[3]- آل عمران / 182

[4]- النبأ / 40

[5]- البقرة / 281

[6]- آل عمران / 25

[7]- آل عمران / 161

(اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب)[1]

(وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون.)[2]

وفي آيات أخرى يذكر القرآن أن الإنسان يسعى بنفسه إلى العمل الصالح أوالعمل السيء، وهو على هذا يلقى جزاء سعيه يوم القيامة كما تقدم في حياته الدنيا.

(ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا)[3]

(إن الساعة آتية أكاد أخفيها كل نفس بما تسعى.)[4]

(وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى)[5]

(يوم يتذكر الإنسان ما سعى)[6]

(وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية)[7]

ولهذا فما يجده الإنسان من الجزاء يوم القيامة هو نتائج أعماله في الدنيا، وحصاد ما زرع فيها، فالجزاء من جنس العمل، فالإنسان يعاين يوم القيامة عمله، ويتعرف عليه، ويقر بنسبته إليه، فلا مجال يومئذ للإنكار، لأنه يوم تكشف فيها الحقائق، ثم يكون الجزاء وفقا لذلك:

(يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا.)[8]

(ووجدوا ما عملوا محضرا ولا يظلم ربك أحدا.)[9]

(فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون.)[10]

(وما تجزون إلا ما كنتم تعملون.)[11]

---

[1]- غافر / 17

[2]- الجاثية / 22

[3]- الإسراء / 19

[4]- طه / 15

[5]- النجم / 39 ــ 41

[6]- النازعات / 35

[7]- الغاشية / 9

[8]- آل عمران / 30.

[9]- الكهف / 49

[10]- يس / 54

[11]- المؤمنون / 118

إن النجاة في الإسلام لا تعطى مجانا، وإلا كانت الحياة عبثا، فكيف ينجي الله فئة من الناس، ويهلك فئة أخرى دون أن يكون مقياس ومعيار يفرق بين الفئتين. إن النجاة من عمل الإنسان وسعيه وكسبه ونتيجة لما قدم، ومن الفائدة أن ما يلاحظ في نصوص الإسلام هو عدم وجود ما يسمى بمذهب التبرير بالأعمال، لأنه وحسب ما ورد في النصوص فأحسن أعمالنا لا ترقى بنا إلى الجنة التي ننشدها، بل بإيماننا برحمة الله بنا وعفوه، عما يصدر منا وقبوله لتوبتنا هو الذي يمنحنا فرصا جديدة لتجاوز معوقات النجاة:

(قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)[1]

(ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين)[2]

(وقال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين)[3]

(وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين.)[4]

2 ـ الخلاص مسؤولية فردية:

خاصية أخرى من خصائص الخلاص في الإسلام، والتي تم الإعلان عنها في الكثير من آيات القرآن الكرين، تلك التي تقرر مسؤولية الإنسان الفردية عن خلاصه، فلا يتحمل هو خطايا الغير، ولا يتحمل الغير شيئا من خطاياه، وهذا يوصلنا إلى تقرير ما يلي:

1 ـ لا يوجد في الإسلام حديث عن الخطيئة الأصلية التي ورثها أبناء آدم عن أبيهم.

2 ـ لا يوجد في الإسلام انتظار للوسيط المنقذ الذي يتحمل مسؤولية إنقاذ غيره.

3 ـ لا يوجد في الإسلام عن الفداء وهو تحمل العذاب أو الموت لأجل خلاص الآخرين من الخطيئة الأصلية.

والآيات التي تعلن ما تقدم كثيرة:

(واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا.)[5]

---

[1]ـ الأعراف / 23

[2]ـ الأعراف / 149

[3]ـ هود / 47

[4]ـ المؤمنون / 118

[5]ـ البقرة / 48

(واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا.)[1]

(ولا تزر وازرة وزر أخرى.)[2]

(وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم.)[3]

(يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون)[4]

(فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا.)[5]

وحتى الأقارب، لا ينفع بعضهم بعضا، فلا الأب يحمل عن إبنه، ولا الإبن يحمل عن أبيه أو أمه

(ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى)[6]

(يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون.)[7]

(يوم يفر من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه)[8]

فلا يحمل أثقال الإنسان سوى الإنسان نفسه

(كل نفس بما كسبت رهينة.)[9]

والرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يملك لنفسه ولا للناس شيئا، إنه لا يعدو أن يكون هاديا، مبشرا بالنجاة، ومنذرا من عذاب الله وعقابه، وأتباعه لن يجدوا إلا ما كانوا يعملونه لأنفسهم بمشيئتهم:

(قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون.)[10]

---

[1]- البقرة / 123

[2]- الأنعام / 164

[3]- إبراهيم / 21

[4]- النحل / 111

[5]- سبأ / 42

[6]- فاطر / 18

[7]- الدخان / 41

[8]- عبس / 34 ـ 37

[9]- المدثر / 38

[10]- الأعراف / 188

إن ميزة النجاة في الإسلام أنها نتيجة الضمير المسؤول الذي يحمل تبعته، والذي لا ينتظر شفاعة ولا كفارة من سواه، لأنها لن تغنيه:

(واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون.)[1]

(فما تنفعهم شفاعة الشافعين.)[2]

وقد جاء في الأثر عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مخاطبا أهله:

(يا بني هاشم لا تأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم)

إن الإنسان في الإسلام أمين على خلاصه، مسؤول عنه، فالأمانة هي التي يقوم عليها الخلاص ويرجع إليها التكليف وتكتب عليها تبعته في حياته غير مسؤول عما سلف من قبله.[3]

3 ـ عالمية الخلاص

قبل بحث الخاصية الثالثة للخلاص في الإسلام، وهي العالمية، يجدر بنا أن نثبت أن الإسلام أعلن ما يلي:

1 ـ وحدة البشر، لأنهم يشتركون في أصل واحدة، فهم جميعا أبناء رجل واحد وامرأة واحدة ضمتهم هذه البنوة الواحدة المشتركة:

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء.)[4]

2 ـ عالمية الرسالة الإسلامية: إن القرآن الكريم يقرر أن رسالة الإسلام عالمية جاءت لكل البشر على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم وبيئاتهم. وما دام هدف الرسالة الأسمى هو بيان سبيل النجاة للإنسان، فإن هذه النجاة هي لكل الناس لا يختص بها جنس دون آخر ولا أمة دون أخرى.

---

[1] ـ البقرة / 123

[2] ـ المدثر / 48

[3] ـ عباس محمود العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه منشورات المكتبة العصرية ـ صيدا بيروت ـ دون تاريخ ص 81

[4] ـ النساء / 1

إن المعيار الذي يحسب به المصير هو شيء آخر غير العرق، وغير اللون، وغير اللغة، إنه الإيمان والعمل الصالح.

(إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[1]

ونفس السياق تقريبا في سورة المائدة مع تقديم فئة للصابئين على النصارى:

(إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحافلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.)[2]

وقد علق الأستاذ أحمد مصطفى المراغي على الآية الأولى بقوله:

"إن المؤمن إذا ثبت على إيمانه ولم يبدله واليهودي والنصراني والصابئ إذا آمنوا بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبما جاء به واليوم الآخر وعملوا صالحا. ولم يغيروا حتى ماتوا على ذلك، فلهم ثواب عملهم عند ربهم، ولا خوف عليهم ولا يعتريهم حزن، فمدار الفلاح هو الإيمان الصحيح الذي له سلطان على النفس والعمل الصالح الذي به تتم سعادتها ويكتب لها به الفوز في الدنيا والآخرة.)[3]

إن وضع الإيمان والعمل الصالح كمدار للنجاة، معناه فتح المجال للجميع ولكل الناس على اختلاف الزمان والمكان، إنها النجاة التي تستغرق كل المؤمنين الذين يعملون الصالحات في كل العصور والأجيال، لأن الله هو رب العالمين، الأولين والآخرين، فهو الذي يمنح الخلاص لكل إنسان يشترك على سواء مع إخوانه من البشر في عبادته وحده، فهو ليس بالرب الذي يخلق نعمته لسلالة واحدة من خلقه أو لعشيرة واحدة يدركها الخلاص بفضل لم تفضله وعمل لم تضعه في موازينها بعمل يمينها[4]

وهذا ما تقرره الآية:

(إن أكرمكم عند الله أتقاكم.)[5]

---

[1]ـ البقرة / 62

[2]ـ المائدة / 69

[3]ـ أحمد مصطفى المراغي ـ تفسير المراغي ـ الطبعة الثالثة، دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان دون تاريخ ـ المجلد 1 الجزء 1 ص 134.

[4]ـ عباس محمود العقاد: الإنسان في القرآن الكريم ـ منشورات مكتبة الحياة ـ صيدا ـ بيروت دون تاريخ ص 24.

[5]ـ الحجرات / 13

4 ـ قيام الأمل في الخلاص إلى آخر الحياة:

يفتح الإسلام بسماحته الآفاق أمام الإنسان، ويبقى على أمله في النجاة قائما مدى الحياة، ذلك أن الإعتقاد الفاسد، والعمل السيء ليسا قدرا محتوما على الإنسان، فبإمكانه التحرر منهما، وذلك بإخلاص النية والتوكل على الله، إن الإنسان في مفهوم الإسلام يقدر على الإفلات من حياة تكون نهايتها الهلاك والعذاب الأبدي، إلى حياة تكون نهايتها الفوز بالجنة والسعادة الأبدية، ويكفيه لهذه النقلة الكبيرة، الإرادة الحسنة، ومقاومة المعوقات، والتي عادة ما تكون من داخل نفسه، من اتباع للشهوات والميول، وتمسك بالعناد والكبر، وكذلك الغفلة عن الهدف الأسمى للحياة الإنسانية. وكل ما سبق يمكن أن نجد له تلخيصا فيما يسميه القرآن الكريم بالتوبة، والتي يتبعها بالضرورة إصلاح العمل:

(فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه)[1]

(وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى)[2]

(والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها غفور رحيم)[3]

(وهو الذي يقبل التوبة عند عباده ويعفو عن السيئات)[4]

إن تتبع الآيات التي تتحدث عن التوبة، يكشف أن الأمر يذهب إلى أبعد من مغفرة الذنوب.عندما تكون التوبة سببا في تبديل السّيئات إلى حسنات إذا أتبعها صاحبها بالإستقامة مدى الحياة:

(إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات)[5]

وقد يحجم الإنسان عن التوبة متعللا بأن فرصته في النجاة قد فاتت وبأن سجل أعماله قد امتلأ بالعمل السيئ، فيجد في القرآن ما يعيد الأمل إليه في النجاة، ذلك أن الله لا يبالي بذنوب الإنسان إذا ما هو طرق باب التوبة مستغفرا من شر أعماله:

(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم.)[6].

---

[1] ـ المائدة / 39

[2] ـ طه / 82

[3] ـ الفرقان / 71

[4] ـ الشورى /25

[5] ـ الفرقان / 70

[6] ـ الزمر / 53

يقول الدكتور يوسف القرضاوي في التعليق على هذه الآية،

"ما اجمل وأرق هذا النداء (يا عبادي) فرغم خطاياهم وإسرافهم على أنفسهم، لم يطردهم من ساحته، ولم يحرمهم شرف عبوديته، وأضافهم إلى ذاته القدسية، إيناسا لهم، وتحببا إليهم "[1]

إن ما تفعله توبة الإنسان إذا كانت صادقة هو أبعد من هذا بكثير، عندما تكون سببا في نجاته من عذاب النار وفوزه بالسعادة الأبدية ودخول الجنة:

(إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا.)[2]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1] ـ د/ يوسف القرضاوي: الخصائص العامة للإسلام الطبعة 3 ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت 1985 ص 81

[2] ـ مريم /60

نتائج الدراسة :

تتفق كل الأديان التي عرضنا لمفهوم الخلاص فيها، سواء كانت أديانا وضعية أم سماوية على أنه يوجد كائن يحتاج إلى الخلاص أو النجاة، هذا الكائن هو الإنسان، ولكنها تختلف فيما بينها في الإجابة عما يلي: مم يجب تخليص الإنسان؟ وما السبيل إلى الخلاص؟ وإننا نريد هنا أن نعرض بعض ما توصلنا إليه من نتائج مع مقارنتها ببعضها البعض، وخاصة تلك التي تعنينا نحن المسلمين.

إن الهنود يجعلون للقدر الحكم الذي لا حكم بعده في جميع الموجودات، ومنها الآلهة والناس والأحياء، والنبات والجماد، ولا فكاك من قبضة الكارما في أدوارها التي تتعاقب بين الوجود والفناء إلى غير انتهاء، إلا اجتناب الولادة واللياذ بعالم الفناء أو الإنطلاق أو النرفانا، وذلك بالتوقف عن كل نشاط يترتب عليه جزاء خيرا كان أم شرا.

ولا توجد في الإسلام مثل هذه الجبرية، ذلك أن ما يكون سببا في الهلاك وسوء المصير وعذاب النار، ليس قدرا محتوما على الإنسان.

فالإنسان بمفهوم الإسلام قابل للنهوض بعد السقوط، مستعد للتوبة بعد الخطأ، والعودة إلى جادة الصواب بعد الضلال والإنحراف، ما لم يفارق الحياة، ولا يكون تخلصه من خطيئته بالهروب من الحياة، بل بمواجهتها والسعي فيها بالإيمان الصادق والعمل الصالح، والخلق الحسن.

وإذا جئنا للحديث عما يمكن استنتاجه من عرض موضوع الخلاص في الديانة اليهودية فإننا نقول:

1 ـ إن الخلاص في الديانة اليهودية مادي، يعني أولا وقبل كل شيء تحرير اليهود، شعب الله المختار، من وضعية تاريخية صعبة مروا أو يمرون بها.

2 ـ إن خلاص اليهود عادة ما يكون على حساب شعوب أخرى، ومعنى هذا أن يهوه ولكي يخلص اليهود يهلك شعوبا مثل المصريين عند الخروج من مصر، أو الكنعانيين والفلسطنيين عند دخول فلسطين.

3 ـ إن خلاص اليهود لا يكتمل إلا بإعادة بناء دولة اليهود على أرض فلسطين وجمعهم من الشتات.

4 ـ إن الخلاص لا يتم إلا عن طريق الوسيط الذي يكلفه يهوه بخلاص بني إسرائيل، والذي يعرف بالمسيح المخلص.

وإذا جئنا للنظر في أول نقطة، قلنا إن الإسلام يتجاوز هذه النظرة الضيقة، وهذه المادية القاتلة، فقد يكون الفرد بمفهوم الإسلام، مرتاحا ماديا، ولكنه بحاجة إلى خلاص من نوع آخر، أن ينجو بنفسه من عذاب النار يوم القيامة. إن النجاة بالنسبة للمسلم هي النجاة يوم القيامة وإن الإنسان مكلف شرعا بالسعي إليها وبدعوة أهله إلى سعي مماثل (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة.)[1]

وهذا النوع من النجاة لا مجال له في تفكير الإنسان اليهودي وسعيه، وإن نسيان اليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء، يغرق الإنسان في مادية عمياء قاتلة تأتي على سعادته في الدنيا والآخرة.

أما النقطة الثانية، فإنه مما يؤمن به اليهود أن الله اختارهم شعبا يؤثره على سائر الشعوب، وذرية يؤثرها على سائر الذراري، وأناسا يؤثرهم على سائر الناس قبل خروجهم من بطون الأمهات. وهذا منتهى التجسيد للعنصرية التي طبعت العقلية اليهودية عبر تاريخها، والتي أسقطها اليهود على تصور الله عندهم، حيث جعلوا منه إلها عنصريا قوميا، وجعلوا من الخلاص منحة لشعب الله المختار آثره بها على سائر الخلق.

والإسلام كما سبق في ذكر خصائصه يجعل من الخلاص قضية الإنسان أينما كان، وأيا كان أصله، دون تمييز على أساس من اللون أو الجنس أو اللغة، فهو سبيل للخلاص لكل الناس، وما جعل الإيمان والعمل الصالح، كمقدمات للخلاص، إلا دليل على عالميته، وتساميه على العنصرية.

ويرتبط الخلاص عند اليهود بظهور المسيح المخلص، والذي يملك وحده القدرة على تغيير الأوضاع، وذلك كما سبق الذكر، أن الخلاص عند اليهود مادي يتمثل في تغيير وضعية إجتماعية تاريخية، ولكنه تغيير لا يخضع كأي تغيير لمقدمات قائمة على أسس نفسية واجتماعية، بل هو تحول مفاجئ في مجرى أحداث التاريخ لصالح اليهود، يقوم به رجل ينصبه يهوه مخلصا لشعبه المختار. ثم إن تطور مفهوم المسيحانية، والذي سمح لليهود بإطلاق لفظ المسيح المخلص على كل منقذ وإن لم يكن من أصل يهودي، جعل اليهود يستغلون كل الشخصيات الفاعلة في التاريخ، أو الدول والحكومات لصالحهم لتغيير أوضاعهم في التاريخ، كما حدث في بداية القرن العشرين عندما حصلوا على وعد بلفور، واستغلال الإنتداب

---

[1] - التحريم / 6

البريطاني كغطاء لإقامة دولتهم في فلسطين، أو كما يحدث في الوقت الراهن من استغلال لقوة الدولة الأولى في العالم لحماية دولتهم.

والخلاص في الإسلام سواء أكان بالمفهوم الدنيوي أو الأخروي، يخضع لمقدمات لابد منها، إن المسلم وهو يرجو الخلاص يقدم ما يبرر رجاءه من إيمان صادق وعمل صالح يعمر به الأرض على أساس الحق والخير.

وإن المسلم يعلم أن التاريخ الذي جعله الله خاضعا لنواميس، لا يمكن لأي كان أن يغيره، إلا بفهم تلك النواميس والعمل وفقها، وإلا لصار سعي الإنسان في الحياة عبثا، مادامت القوى الخارجية الغيبية تتدخل من حين إلى آخر لتغييره وفقا لرغبة جماعة من البشر، لا تفضل غيرها إلا بدعوى أنها شعب الله المختار.

وحتى ما ورد من حديث حول المهدي المنتظر وطبيعة عمله، لابد من إعادة وضعه في حجمه الحقيقي في الفكر الإسلامي، حتى لا يصبح ذريعة إلى التواكل، وقد علق الأستاذ المودودي على هذه القضية، فبعد أن أثبت مسألة ظهور المهدي، نفى أن يكون شيخ زاوية يصرف السبحة بيده ويتلو الأوراد بلسانه، وينصره الدراويش المعتكفون في خلواتهم، ويستعمل السيف في جهاده، ويعمل بالبركات والتصرفات الروحية، ويحرز الظفر والإنتصار بفضل النفثات والأوراد حيث يرمي بنظره إلى الكفار فيخرون مغشيا عليهم، ويرفع يديه بالدعاء على الأعداء فتخور هممهم وتنخر الديدان في طائراتهم ودباباتهم.[1]

ثم يورد ما يفهمه هو من أمر المهدي وعمله، وهو على عكس التصور السابق:

- فسيكون زعيما من الطراز الأحدث في زمانه
- وهو بصير بالعلوم الجديدة بصر المجتهد المطلع، جيد الفهم لمسائل الحياة
- راجح العقل بارع في تفكيره السياسي، حذق بفنون الحرب
- لا يختلف في بنيته وهيئته عن عامة البشر
- ولا مجال في عمله للخوارق والكرامات والكشف والإلهام
- لن تكون له مندوحة عن أن يجتاز من مراحل الجهد والكفاح والسعي الشديد ما يضطر إلى اجتيازه كل زعيم
- ينشئ مذهبا جديدا للفكر قائما على أسس الإسلام الخالص

---

[1]- يراجع: أبو الأعلى علي المودودي: موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ـ دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة 1968 ص 60

- يقلب عقلية الناس ويبعث حركة قوية تكون ثقافية وسياسية في الوقت الواحد
- يشيد دولة إسلامية موطدة الدعائم تجري في هيكلها روح الإسلام الخالصة يبلغ رقيها في العلوم التجريبية والطبيعة ذروة الكمال.[1]

إن النجاة في الإسلام حتى وإن فهمت بمعناها المادي، وهو خلاص المجتمع المسلم من كل ما يعوق وصول رسالته إلى العالم، وحتى ولو كان بتدخل منقذ، فلن يكون إلا بالمفهوم الذي سبق عرضه، فلا مجال في الإسلام، لأن يفكر الناس في تدخل الله لتغيير مسيرة التاريخ لصالحهم، وهم قاعدون عن الأخذ بأسباب التغيير النفسية والإجتماعية والتي لا يتسع المقام هنا للحديث عنها.

أما ما يمكن استنتاجه من عرض موضوع الخلاص في الديانة المسيحية، فيمكن أن يكون على النحو الآتي:

بالنسبة لمفهوم الخلاص والسبيل إليه والذي رأيناه في دعوة المسيح عيسى عليه السلام، قبل تحريفها، فإنه يتوافق مع ما عرضنا له منه في الإسلام، إنه خلاص الإنسان من نتائج خطاياه يوم القيامة ونجاته من عذاب النار ودخول ملكوت الله أو جناته، والفوز بالسعادة الأبدية، والسبيل إليه طاعة الله، والخضوع لمنهجه الذي رسمه للخلاص ظاهرا وباطنا، وأساس ذلك الإيمان والعمل الصالح، ولا عجب في ذلك، فالذي أوحى بذلك إلى عيسى عليه السلام أوحى به إلى محمد عليه السلام، كما أنه لا يمكن أن يتغير مفهوم الخلاص من دعوة رسول إلى دعوة رسول آخر، وكلهم مرسلون من قبل الله، وموضوع الخلاص من أمور العقيدة التي لا تتغير كما يتغير التشريع.

أما بالنسبة للخلاص في المسيحية التي نشأت وانتشرت بعد عيسى المسيح عليه السلام، فيمكن أن نستنتج ما يلي:

- أن البشرية قد ورثت الخطيئة عن أبيها آدم، وهذا ما يسمى بالخطيئة الأصلية.
- وقد صار الناس جميعا عبيدا للخطيئة
- إن خلاص الناس من الخطيئة يكون ببر الله الذي يظهره للناس
- إن بر الله قد تجلى في إنزال ابنه يسوع إلى الأرض لكي يهب بموته الخلاص للناس ويفديهم بنفسه

---

[1]- أبو الأعلى المودودي: مرجع سابق ص 61 و 62

- إن المسيح قد مات وصلب وفدا الناس وحررهم من ثقل الخطيئة الأصلية، فهو قد مات وتحمل بموته فداء البشرية

- ويكفي لنيل الخلاص في المسيحية، الإيمان برسالة عيسى الخلاصية، وبأنه ابن الله أنزله إلى الأرض ليفدي به البشر، ثم ببعض الطقوس كالعماد والأفخارستيا.

وإذا تأملنا ما سبق ذكره، ثم عرضناه على عقائد الإسلام فيمكننا القول: إن الإسلام يتفق مع المسيحية في قولها بأن آدم أخطأ وعصى:

(وعصى آدم ربه فغوى)[1]

وكان عصيانه باستجابته لأمر الشيطان وأمر نفسه واقترافه لما نهاه الله عنه.

ولكن مما هو مقرر في الإسلام ونصوصه، ان آدم تاب من خطيئته بعد أن ندم ورجع إلى الله

(ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى)[2]

(فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم)[3]

فمعصية آدم غسلتها التوبة، وانتهى أمره بالإجتباء والهداية من ربه، فلا مجال للحديث عن خطيئة موروثة عن آدم عليه السلام، فلا يجوز في منطق العدل الإلهي أن يحمل الإبن وزر أبيه أو الحفيد وزر جده:

(لا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى)[4]

يقول أحد الباحثين المسيحيين في التعليق على هذه المفارقة بين المسيحية والإسلام :

لا يوجد في الإسلام (خطيئة أصلية) فالمسلمون لا يتصورون أن الإنسان بطبيعته ساقط في الخطيئة فخطأ آدم قد غفر، ولم يكن له من أثر على نسله سوى أنهم حكم عليهم بالوجود خارج الجنة التي وجد فيها أبوهم من قبل.)[5]

إذا فمن منظور الإسلام: فأبناء آدم ليسوا عبيدا للخطيئة الأصلية وإنما هم من طبيعة قابلة للخطأ والتوبة للسقوط والنهوض. يقول الأستاذ العقاد:

---

[1]- طه / 121

[2]- طه / 121

[3]- البقرة / 37

[4]- الأنعام / 164

[5]- Jean Luc-BRUNIN : RENCONTRER L'ISLAM
Les éditions de l'Atelier PARIS 1993 page 164, 165

"فهذا الإنسان يتردى من أحسن تكوين إلى أسفل سافلين، ولا يزال في الحالين إنسانا مكلفا قابلا للنهوض بنفسه بعد العثرة، قابلا للتوبة بعد الخطيئة، محاسبا بما جنت يداه، غير محاسب بما جناه سواه.) [1]

وإن رفع هذه الخطيئة عن كاهل الإنسان منة عظمى بمثابة نفخ نسمة جديدة فيه، بل هو ولادة جديدة حقا، ورد اعتبار لاشك فيه، إنه تمزيق صحيفة السوابق، ووضع زمام كل إنسان بيد نفسه.

ثم إن الله أظهر نعمته للعالم، وللبشر، ولكن هذه النعمة لها مفهوم آخر في الإسلام، إنها نعمة تتمثل في بعثة الرسل وإنزال الكتب لهداية الناس ورسم سبيل النجاة لهم حتى لا يضلوا ويشقوا، وقد كان آخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم، وكان آخر الكتب القرآن الكريم، حتى لا تبقى للناس حجة على الله يوم القيامة، على ما يلقونه من حساب وجزاء.

أما إذا جئنا إلى ما يعتقده المسيحيون من فداء، وأن عيسى عليه السلام ابن الله الوحيد، قد فدا البشرية بتحمل خطيئتها التي أثقلت كاهلها، وذلك بموته على الصليب، فإنه من حق السائل أن يسأل: كيف يهلك الله ملايين البشر الذين وجدوا قبل موت المسيح، ويتركهم دون فرصة للنجاة ؟

ثم ما معنى أن يُخَلِّصَ آخرون من الخطيئة دون سعي منهم؟

إن الخلاص بمفهوم الإسلام يتطلب من الإنسان الإحساس بالخطأ أولا ثم يتبعه بالندم عليه، فبالعزم على عدم العودة إليه، ثم الإنقلاب في السلوك إلى العكس تماما، إلى الطاعة والعمل الصالح. إنها التوبة مع الوعي والرجوع إلى الله مع إدراك أبعاد الخطأ وأخطاره على حاضر الإنسان ومستقبله يوم القيامة وإدراك آخر لأبعاد الصلاح أيضا. ولا مجال للحديث عن الخلاص المجاني الذي يكفيه الإيمان بأن فردا من أفراد البشر مات لخلاص الآخرين، فليس مما يعتقده المسلم أنه يرث الخطيئة من غيره، أو يقبل الكفارة عنها بعمل غير عمله.

---

[1]- عباس محمود العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص 79.

اقتراحات الباحث

لا أدعي أنني وفيت في بحثي هذا الموضوع حقه، وأنه لم يبق فيه جانب إلا طرقته، أو ثغرة إلا سددتها، فما هو إلا بحث متواضع، ولابد ان فيه عيوبا ونقائص أتمنى أن يسدد غيري في إزالتها أو إكمالها، خاصة تلك المتعلقة بمفهوم الخلاص في الإسلام، والذي أظن أنه مازال في حاجة إلى إجلاء أكثر.

ولهذا فإني أقترح:

- الإهتمام أكثر بمثل هذه الدراسات المقارنة والتي تتخذ من قضايا الإنسان المشتركة بين الأديان مجالا للبحث.

- إقامة الندوات والملتقيات مع أصحاب الأديان الأخرى لبحث موضوع الخلاص، الذي لا يخفى على الجميع أنه قضية الإنسان في كل وقت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس آيات القرآن الكريم التي وردت في البحث

(1) البقرة

رقم الآية	الصفحة
25	165/162
37	185
48	176
62	178
123	177/176
126	154
201	148
277	166
281	173

(2) آل عمران

رقم الآية	الصفحة
15	167
16	148
25	173
30	174
38	93
39	93
45	97
131	154
161	174
182	173
185	161
198	167

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(3) النساء

رقم الآية	الصفحة
1	177
6	154
14	158
18	159
56	152
57	166
78	141
121	166
138	156
140	156
145	156
157	116

(4) المائدة

رقم الآية	الصفحة
9	161
39	179
46	105
69	178
72	155

(5) الأنعام

رقم الآية	الصفحة
49	166
130	145
161	185
164	176

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(6) الأعراف

رقم الآية	الصفحة
6	144
8	161
23	175
36	157
41	151
88	156
131	159
149	175
188	176

(7) الأنفال

رقم الآية	الصفحة
14	154
36	158/153

(8) التوبة

رقم الآية	الصفحة
68	156

(9) يونس

رقم الآية	الصفحة
2	164
30	173

(10) هود

رقم الآية	الصفحة
37	175

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(11) يوسف

رقم الآية	الصفحة
57	164

(12) الرعد

رقم الآية	الصفحة
19	172
20	172
21	172
22	169
23	169
24	169
35	154

(13) إبراهيم

رقم الآية	الصفحة
21	176
49	151
50	151

(14) النحل

رقم الآية	الصفحة
30	161
88	159
94	159
96	169
111	176

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(15) الإسراء

رقم الآية	الصفحة
13	146
14	146
19	174

(16) الكهف

رقم الآية	الصفحة
29	151
30	166
49	174/146
102	166
103	166

(17) مريم

رقم الآية	الصفحة
19	97
20	97
21	97
60	180
72	148

(18) طه

رقم الآية	الصفحة
15	174
82	179
121	185

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(19) الأنبياء

رقم الآية	الصفحة
31	141
47	147
98	155

(20) الحج

رقم الآية	الصفحة
5	142
6	142
7	142
19	151
20	151
21	151

(21) المومنون

رقم الآية	الصفحة
11-1	171/170/161
111	169
118	175/174

(22) النور

رقم الآية	الصفحة
24	145
25	145
57	154

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(23) الفرقان

رقم الآية	الصفحة
70	179
71	179
75	169

(24) الشعراء

رقم الآية	الصفحة
106	167
124	167
142	167
161	167
177	167

(25) النمل

رقم الآية	الصفحة
29	157
53	164
90	159

(26) القصص

رقم الآية	الصفحة
34	159
65	145

(27) العنكبوت

رقم الآية	الصفحة
57	141
58	166

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(28) الروم

رقم الآية	الصفحة
27	143
28	143

(29) لقمان

رقم الآية	الصفحة
4	171

(30) السجدة

رقم الآية	الصفحة
20	158

(31) الأحزاب

رقم الآية	الصفحة
16	141

(32) سبأ

رقم الآية	الصفحة
3	153
42	176
43	153

(33) فاطر

رقم الآية	الصفحة
18	176
29	171

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(34) يس

رقم الآية	الصفحة
54	174
79	142

(35) الصافات

رقم الآية	الصفحة
60	151
67	151

(36) ص

رقم الآية	الصفحة
25	167
49	168
50	168
51	168
52	168
53	180

(37) الزمر

رقم الآية	الصفحة
8	154
10	169
16	151
61	168/148
72	157
73	163
74	163

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(38) غافر

رقم الآية	الصفحة
6	154
17	174
41	148
46	152
49	152
57	144
58	144
60	157
76	157

(39) فصلت

رقم الآية	الصفحة
26	153
30	163
31	163

(40) الشورى

رقم الآية	الصفحة
25	179
40	159

(41) الدخان

رقم الآية	الصفحة
41	176
43	151
50	151
57	164

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(42) الجاثية

رقم الآية		الصفحة
7	.....	157
8	.....	156
9	.....	157
21	.....	159/144
22	.....	174/144
31	.....	157

(43) الأحقاف

رقم الآية		الصفحة
20	.....	158

(44) محمد

رقم الآية		الصفحة
15	.....	163

(45) الحجرات

رقم الآية		الصفحة
13	.....	178

(46) ق

رقم الآية		الصفحة
15	.....	143
18	.....	146
30	.....	150

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(47) النجم

رقم الآية		الصفحة
39	.....	174
40	.....	174
41	.....	174

(48) الحديد

رقم الآية		الصفحة
7	.....	171
21	.....	164

(49) المجادلة

رقم الآية		الصفحة
6	.....	146
7	.....	146

(50) الصف

رقم الآية		الصفحة
14	.....	111

(51) التحريم

رقم الآية		الصفحة
6	.....	182/150
8	.....	165

(52) الملك

رقم الآية		الصفحة
5	.....	149

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(53) الحاقة

رقم الآية	الصفحة
24	173

(54) المعارج

رقم الآية	الصفحة
11	150
12	150
14	150
15	150
16	150
17	150
18	150
35-22	170

(55) الجن

رقم الآية	الصفحة
23	158

(56) المدثر

رقم الآية	الصفحة
26	150
30	150
38	176
48	177

(57) الإنسان

رقم الآية	الصفحة
11	163
12	169/163
22	163

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(58) النبأ

رقم الآية	الصفحة
31	168
35	168
40	173

(59) النازعات

رقم الآية	الصفحة
33	174

(60) عبس

رقم الآية	الصفحة
34	176
37	176

(61) الإنفطار

رقم الآية	الصفحة
10	146
11	146
12	146

(62) الغاشية

رقم الآية	الصفحة
9	174

(63) الفجر

رقم الآية	الصفحة
20	170

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(64) الليل

رقم الآية	الصفحة
4	171
5	171
6	171

(65) البينة

رقم الآية	الصفحة
6	155

(66) الزلزلة

رقم الآية	الصفحة
7-1	145

(67) العاديات

رقم الآية	الصفحة
8	170

(68) القارعة

رقم الآية	الصفحة
11-8	149

(69) الهمزة

رقم الآية	الصفحة
9-4	150

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس نصوص العهد القديم الواردة في البحث

رقم الإصحاح	رقم النص (1) سفر التكوين	الصفحة
1	27	21
2	1	22
4	1	21
4	17	21
6	10	22
6	14	22
17	8	23
17	9	23
17	10	23
17	11	23
17	12	23 و 26
17	20	24
17	25-46	24
25	26	24
25	27	24
29	30	25
45	17-21	26

رقم الإصحاح	رقم النص (2) سفر الخروج	الصفحة
1	14	28
1	15	28
1	23	23

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

30 ..... 7 3
30 ..... 8 3
30 ..... 9 3
30 ..... 11 3
31 ..... 2 5
31 ..... 10 5
31 ..... 5 6
31 ..... 8 6
33 ..... 26 12
33 ..... 27 12
33 ..... 11-8 13
34 ..... 10 14
34 ..... 12 14
35 ..... 13 14
34 ..... 12 15
36 ..... 16 15
35 ..... 7 17
37 ..... 2 18
38 ..... 6 ,5 19
37 ..... 6 20
38 ..... 3 24
39 ..... 4 32
39 ..... 31 32
39 ..... 10 34
39 ..... 11 34
39 ..... 12 34

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رقم النص

رقم الإصحاح	(3) سفر العدد	الصفحة
14	1	40
14	2	40
14	3	40
14	22	40
14	23	40

رقم النص

رقم الإصحاح	(4) سفر تثنية الاشتراع	الصفحة
30	20-1	42

رقم النص

رقم الإصحاح	(5) سفر القضاة	الصفحة
4	4	44

رقم النص

رقم الإصحاح	(6) سفر صموئيل الأول	الصفحة
8	21-5	47
10	1	48
15	11	48
16	13-12	49

رقم النص

رقم الإصحاح	(7) سفر صموئيل الثاني	الصفحة
52	1	50
52	2	50
52	3	50
52	4	50

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رقم النص

رقم الإصحاح	(8) سفر الملوك الأول	الصفحة
2	24	51
2	25	51
2	26	51
2	27	51
2	27-24	51
3	3	52
5	32-19	51
6	1	51
9	9-1	52
11	11	53
11	12	53
11	24-13	53

رقم النص

رقم الإصحاح	(9) سفر الملوك الثاني	الصفحة
1	28-20	57
24	10	57
24	12	57
24	14	58
24	15	58

رقم النص

رقم الإصحاح	(10) سفر عزرا	الصفحة
1	1	65
1	2	65

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 ..... 3 65
1 ..... 4 65

رقم النص

رقم الإصحاح	(11) سفر الحكمة	الصفحة
16	20	37
16	21	37

رقم النص

رقم الإصحاح	(12) سفر أشعيا	الصفحة
1	28-20	57
11	كل الفقرات	61
12	كل الفقرات	61
40	11	63
41	21	63
43	6	63
45	10	64
45	13	64
49	15	63
49	16	63

رقم النص

رقم الإصحاح	(13) سفر أرميا	الصفحة
23	5	61
23	6	61

رقم النص

رقم الإصحاح	(14) سفر حزقيال	الصفحة
37	14-1	60

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رقم النص

رقم الإصحاح	(15) سفر حجاي	الصفحة
2	9-1	67

رقم النص

رقم الإصحاح	(16) سفر ملاخي	الصفحة
3	كل الفقرات	68
4	كل الفقرات	68

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس نصوص العهد الجديد الواردة في البحث

رقم الإصحاح	رقم النص (1) إنجيل متى	الصفحة
1	25-20	99
2	23-13	101
3	10-7	94
4	17-13	107-103
5	17	105
5	19	108
6	كل الفقرات	108
7	كل الفقرات	109-108
9	27	110
10	5	127
10	6	127
10	23	111
15	22	112
15	24	127
18	4-1	108
18	11	108
20	2	119
20	16-13	107
21	14-1	119
26	56-50	114
27	23-15	115
27	24	115
27	25	115
27	26	115

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رقم الإصحاح	رقم النص (2) إنجيل مرقس	الصفحة
2	27	106
8	29	112
8	30	112
14	50	114
14	51	114
14	52	114
15	22	116
15	23	116
15	24	116

رقم الإصحاح	رقم النص (3) إنجيل لوقا	الصفحة
1	28	98
1	33-30	98
1	35	98
1	50-44	99
1	68	94
2	7-1	99
2	14-10	100
3	16	95
3	17	100
3	18	100
3	51-41	102
10	26	104
18	20	104

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

22	52-51	114
23	2	115

رقم النص

(4) إنجيل يوحنا

رقم الإصحاح		الصفحة
1	19	95
1	20	95
1	21	95
1	22	95
1	23	95
4	25	112
4	26	112
4	29	111
7	40	111
7	41	111
7	42	111
7	43	111
9	22	112
12	41	111
12	45	111
12	49	111
18	19	114
18	20	114
18	21	114
18	36	108
19	12	115
19	17-16	115
21	14-1	119

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رقم النص

رقم الإصحاح	(5) إنجيل برنابا	الصفحة
32	19	
32	20	

رقم النص

رقم الإصحاح	(6) أعمال الرسل	الصفحة
2	32	120
2	36	120
5	38-36	70
8	3	123
9	1	123
9	2	123
9	5-3	123
9	20	123
22	3	122
23	6	122

رقم النص

رقم الإصحاح	(7) رسالة بولس إلى أهل روما	الصفحة
3	23-22	133-131
3	24	133
3	25	133
5	10	136
5	21-15	132
6	3	134
6	4	134
6	11-5	134

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

8	.....	3	131

رقم النص

رقم الإصحاح	(8) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتس		الصفحة
5	.....	8	133
6	.....	20	132
7	.....	25	132
10	.....	16	135
10	.....	17	135
11	.....	24	135
11	.....	25	135
11	.....	26	135
15	.....	19	120

رقم النص

رقم الإصحاح	(9) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنتس		الصفحة
5	.....	18	137
5	.....	19	137
5	.....	20	137
5	.....	21	137

رقم النص

رقم الإصحاح	(10) رسالة بولس إلى أهل غلاطية		الصفحة
1	.....	11	125
1	.....	12	125
1	.....	13	122
2	.....	13	132
2	.....	14	132

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3 ..... 22 136
3 ..... 14-12 128
3 ..... 27 134

رقم النص

رقم الإصحاح	(11) رسالة بولس إلى أهل أفسس	الصفحة
1	10	135
2	12	128
2	13	128 و 136
2	14	128
2	15	136
5	2	133

رقم النص

رقم الإصحاح	(12) رسالة بولس إلى أهل قولسي	الصفحة
1	20	137

رقم النص

رقم الإصحاح	(13) رسالة بولس إلى أهل تسالونيكي	الصفحة
4	14	134

رقم النص

رقم الإصحاح	(14) رسالة بولس الأولى إلى تيموتاوس	الصفحة
1	11	126
6	21-20	126

رقم النص

رقم الإصحاح	(15) رسالة بولس إلى تيطس	الصفحة
1	3	126

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المصادر والمراجع المستعملة والمقروءة

أ.العربية

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس، العهد القديم والجديد بمنشورات دار المشرق - بيروت - لبنان 1983
- إنجيل برنابا - تحقيق سيف الله أحمد فاضل - دار القلم الكويت الطبعة الثانية 1982
- منو سمرتي، قوانين مانو - الكتاب المقدس عند الهندوس دار اليقظة العربية
- أبو الأعلى المودودي: موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم دار الفكر، بيروت - الطبعة الثالثة 1968
- إحسان حقي: مقدمة على قوانين مانو، دار اليقظة العربية الطبعة الأولى دون تاريخ
- أحمد شلبي
- أديان الهند الكبرى مكتبة النهضة العربية الطبعة الثامنة القاهرة 1986
- اليهودية مكتبة النهضة العربية الطبعة الثامنة القاهرة 1986
- أحمد مصطفى المراغي: تفسير القرآن الكريم المسمى تفسير المراغي ـ دار الفكر بيروت الطبعة الثالثة دون تاريخ الأجزاء العشرة.
- أرنولد توينبي: تاريخ البشرية في جزئين نقله إلى العربية د/ نقولا زيادة دار الأهلية للنشر والتوزيع بيروت 1985
- الرازي فخر الدين : تفسير الفخر الرازي الشهير بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ـ دار الفكر القاهرة دون تاريخ.
- إسطفان شربنتيه:
- دليل إلى قراءة الكتاب المقدس ـ منشورات دار المشرق ـ الطبعة الثانية بيروت 1986
- المسيح قام - منشورات دار المشرق - الطبعة الثانية بيروت 1986
- إسماعيل راجي الفاروقي : الملل المعاصرة في الدين اليهودي - مكتبة وهبة القاهرة 1988.
- أنطونيوس نجيب: معجم اللاهوت الكتابي دار المشرق الطبعة الثانية بيروت 1988

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- بولس إلياس اليسوعي: خلاصة الدين المسيحي: منشورات دار المشرق الطبعة الثالثة بيروت لبنان 1987.
- جاك جوميه ومارتن إدوار سيانج: المسيح بن مريم - دار المشرق - بيروت لبنان دون تاريخ.
- جعفر هادي حسن: فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام - دار المغرب العربي للنشر والتوزيع الجزائر 1989.
- جوزيف كايد: حكمة الأديان الحية - ترجمة حسين الكيلاني - دار مكتبة الحياة - بيروت - دون تاريخ.
- حسن ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي تطوره ومذاهبه، إصدار قسم البحوث والدراسات الفلسطينية القاهرة 1986.
- سبنتيو موسكاتي: الحضارات السامية القديمة - ترجمة السيد يعقوب بكر - دار الرقي - بيروت 1986.
- سليمان مظهر: قصة الديانات - دار الوطن العربي - دون تاريخ
- سيد سابق: العقائد الإسلامية - دار الكتاب العربي - بيروت.لبنان دون تاريخ
- شارل جنيبر: المسيحية نشأتها وتطورها - ترجمة د/عبد الحليم محمود - المكتبة العصرية - بيروت، دون تاريخ.
- صبحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي دار المشرق بيروت.لبنان 1994
- عباس محمود العقاد:
  - الإنسان في القرآن الكريم - المكتبة العصرية بيروت صيدا، دون تاريخ
  - الفلسفة القرآنية - المكتبة العصرية بيروت صيدا، دون تاريخ
  - حقائق الإسلام وأباطيل خصومه - المكتبة العصرية بيروت صيدا، دون تاريخ
- عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، الدار التونسية للنشر - تونس - المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986
- عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء مكتبة رحاب الجزائر 1987
- علي عبد الواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام - نهضة مصر 1964.
- فاضل سيدراوس اليسوعي: مدخل إلى رسائل القديس بولس - دار المشرق - بيروت 1989
- فؤاد محمد شبل: حكمة الصين في جزئين دار المعارف - مصر 1968

- فيليب حتي: خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى في جزئين ـ الدار المتحدة للنشر بيروت - الطبعة الثانية 1982
- محمد أبو زهرة: مقارنات الأديان - الديانات القديمة - دار الفكر العربي - القاهرة 1965
- محمد البهي: من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك ــ دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الأولى 1973
- محمد جابر عبد العال الحسيني: في العقائد والأديان - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة 1971
- محمد خليفة حسن أحمد:
- تاريخ النبوة الإسرائيلية - دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة 1985
- دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة ـ دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة 1985.
- محمد شلبي شتيوي: مقارنات الأديان
- التوراة دراسة وتحليل - مكتبة الفلاح - الكويت الطبعة الأولى 1984
- الإنجيل دراسة وتحليل - مكتبة الفلاح - الكويت الطبعة الأولى 1984
- محمد عزة دروزة : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم - مكتبة الفلاح - الكويت ط1. دون تاريخ
- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم - الأجزاء العشرة الأولى دار الشروق - بيروت - الطبعة التاسعة 1982.
- مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم ـ جامعة الدول العربية ــ معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة 1968
- ول ديورانت: قصة الحضارة - ترجمة محمد بدران - دار التأليف والترجمة والنشر ــ القاهرة 1964.
- وهبي سليمان ناغاوجي الألباني: أركان الإيمان: مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الثالثة بيروت 1984
- يوسف القرضاوي: الخصائص العامة للإسلام:مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الثالثة ـ بيروت 1985
- يوسف نعمات: بشرى الخلاص ميلانو - إيطاليا 1981

المجلات والجرائد

- سلسلة دراسات في الكتاب المقدس - الأعداد من 1 إلى 23
نشر دار المشرق - بيروت - لبنان
- جريدة الحياة اللندنية.

ب- الأجنبية

- ADOLPH-LODS : ISRAEL des origines jusqu'au milieu de 8eme siècle éditions - ALBIN- MICHEL PARIS 1949.

marie Dumantier, les éditions ouvriers PARIS 1979

- ANDRE NEHER : Moïse et la révolution Juive, éditions du seuil France 1956

- BERNARD RE : Jesus le christ, éditions PAULINES la croix PARIS 1988.

- BERNARD SESBOÛE
- Les Récits du salut Dexlee PARIS 1991
- Jesus christ à l'image des hommes Dexlée PARIS 1997

- CHARLES AUGRAIN: Paul maître de la vie spirituelle, éditions FLEURUS PARIS 1962

l'allemand par PAUL-ANDRE le sort
éditions du seuil PARIS 1972.

nombre d'auteurs PARIS 1895.

- ENECLOPEDIA JUDAICA Jerusalen 1972

Angletere 1992.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- G.RICCIOTTI: Histoire d'Israël
traduit par Paul Auvay
éditions Auguste PICARD PARIS 1939

- HENRI-GAUBERT
- L'exil a babylove PARIS 1966
- La Renaissance d'Israel du 5eme au 2eme S.AV.J.C
PARIS 1967.

- Jaques Guillet: Jesus dans la Foi des premiers disciples Desclee PARIS 1995

- Jean CANTINAT: - les épîtres de saint Paul expliquées. Paris 1960
- Vie de saint Paul Apôtre. Paris 1964

- Jean duc. BRUNIN: RENCONTRER L'ISLAM
les éditions de l'atelier PARIS 1993

- Jean STEINMANN: saint Jean Baptiste et la spiritualité du désert
éditions du seuil BOURGES 1955

- JOACHIM JEREMIAS: Jenusalen au temps du christ
éditions du cerf PARIS 1967

- Le monde de la bible: traduction Française par étienne Huser PARIS 1982

- PIERRE GRELOT: sens chrétien de l'ancien testament Desclee PARIS 1962

- P.P. WINNER: Dictionnary of history of Ideas, London.

- ROLF-RENTORFF: introduction à l'ancien testament, les éditions du cerf
PARIS 1989

- Sous la direction de FRANCOIS REFOULE:
Initiation à la pratique de la théologie dogmatique
Editions du cerf PARIS 1982

- Sous la direction d'Henri-CHARLES PUECH
Histoire des religions PARIS 1970

- WALTER-KASPER: Jesus le christ traduit de l'Allemend par J.Désignaux
les éditions du cerf PARIS 1976

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

المقدمة 1

مدخل إلى دراسة الخلاص في الفكر الديني القديم 7

1. مصر القديمة 8

2. بلاد ما بين النهرين 11

3. الشرق الأقصى القديم

- الخلاص في البرهمية 12
- الخلاص في الجينية 14
- الخلاص في البوذية 16

4. الخلاص في ديانة اليونان القديمة 17

الفصل الأول

الخلاص في اليهودية من عهد الآباء إلى عهد القضاة

تمهيد

المبحث الأول :

- الخلاص في مرحلة الآباء إلى الخروج من مصر 21
- الخطيئة والخلاص 21
- الإنتخاب، العهد، والوعد بالأرض والخلاص 22
- إسرائيل وبنوه في مصر 26

المبحث الثاني :

- ظهور فكرة الوسيط في الخلاص 29
- موسى وسيط الخلاص بين الرب وشعبه 29
- إقامة موسى بمدين إلى موت ملك مصر 30

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث :

- الخلاص من الخروج من مصر إلى عهد القضاة 34
- الخروج من مصر وإنجاز الخلاص 34
- الخلاص في صحراء سيناء 36
- القطيعة السريعة للعهد 38
- قطيعة أخرى للعهد 39
- إكمال الوعد بالخلاص ودخول أرض كنعان 41
- دخول بني إسرائيل فلسطين واستقرارهم فيها 43

الفصل الثاني

الخلاص والمسيح المخلص في اليهودية من قيام مملكة إلى العصر الحديث

المبحث الأول :

- الملكية في إسرائيل وظهور فكرة المسيحانية 47
- شاؤول، وداوود 47
- المملكة في عهد سليمان 53
- عهد الإنقسام وزوال ملك بني إسرائيل 53

المبحث الثاني :

- أنبياء بني إسرائيل بين الإنذار والتبشير بالخلاص 55
- الأنبياء ينذرون بخراب المملكتين 56
- سقوط يهوذا وتدمير أورشليم 57
- السبي البابلي والأمل المسيحاني 58
- حياة المنفيين اليهود ببابل 58
- الوضعية الروحية للمنفيين 59
- رسالة حزقيال 60
- إعلان مجيء المسيح المخلص 61

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- النبي أشعياء يكمل عمل حزقيال 63
- تحقيق الخلاص : قورش يمنح للمنفيين حريتهم 65

المبحث الثالث :

- الخلاص والأمل المسيحاني بعد العودة من السبي 67
- اليهود والأمل المسيحاني إلى العصر الحديث 69
- شبتاي صبي أشهر من ادعى أنه المسيح المخلص 74
- دولة إسرائيل وخلاص اليهود 81
ـ حركة غوش أمونيم : دولة إسرائيل بداية تحقيق الخلاص 81
ـ ألستماريم : دولة إسرائيل صهيونية وليست خلاصا لليهود 82

الفصل الثالث

الخلاص في دعوة عيسى عليه السلام

تمهيد

المبحث الأول :

- البيئة التي خرج منها عيسى عليه السلام 87
ـ الحالة السياسية 87
ـ الحالة الثقافية 89
- اليهود والأمل المسيحاني في عصر المسيح 92
- يوحنا المعمدان 93
- اليهود ودعوة يوحنا المعمدان 95

المبحث الثاني :

- حياة المسيح عيسى عليه السلام 96
- المصادر المسيحية وحياة يسوع 96
ـ ميلاد يسوع 97
ـ المجوس ويسوع 101
ـ تعميد يسوع 103

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث :

- رسالة يسوع ودعوته 104
- الخلاص في دعوة عيسى 105
- الأول : التصدي لمعوقات الخلاص 106
- الثاني : التبشير بقرب مملكة الله 107
- طريق الخلاص في دعوة عيسى 109
- يسوع ومسيح إسرائيل 121
- موقف يسوع 112
- نهاية حياة يسوع ورسالته عند المسيحيين 112

الفصل الرابع

الخلاص في المسيحية بعد عيسى عليه السلام

المبحث الأول :

- يسوع وأتباعه 118

المبحث الثاني :

- شاؤول والنصرانية : 122
- شخصية شاؤول 122
- تحول شاؤول إلى النصرانية 123
- عمل شاؤول 125
- شاؤول وعالمية المسيحية 127

المبحث الثالث :

- الفداء والخلاص عند شاؤول 129
- الخطيئة والخلاص 129
- المسيح والخلاص في لاهوت شاؤول 130
- المسيح والمصالحة مع الله وجه آخر للخلاص 135

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الخامس

الخلاص في الإسلام

المبحث الأول :

- عقيدة البعث 141
- عقيدة الحساب 143
- عقيدة الميزان والوزن 147

المبحث الثاني :

- عقيدة الخلاص في الإسلام 148
- النار 149
- أوصاف النار 150
- أصحاب النار: 153
. الكفر 153
. الشرك 155
. النفاق 155
. الاستكبار والتكذيب 156
. الفسوق 158
. الصد عن سبيل الله 158
. العمل السيئ 159

المبحث الثالث :

- الجنة 161
- أوصاف الجنة 162
- أصحاب الجنة 164
. الايمان 164
. العمل الصالح 165
. التقوى 167

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

. الصبر 169
. المحافظة على الصلاة 169
. الزكاة والنفقة 170

المبحث الرابع :

- خصائص الخلاص في الإسلام 173
1. النجاة من كسب الإنسان 173
2. الخلاص مسؤولية فردية 175
3. عالمية الخلاص 177
4. قيام الأمل في الخلاص إلى آخر الحياة 179

نتائج الدراسة 181
اقتراحات الباحث 187

الفهارس

1. فهرس آيات القرآن الكريم الواردة في البحث 188
2. فهرس نصوص العهد القديم الواردة في البحث 203
3. فهرس نصوص العهد الجديد الواردة في البحث 209
4. فهرس المصادر والمراجع 215
5. فهرس الموضوعات 221

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية